

البشارة بنبي الإسلام

في كتب اليهود والنصارى



د. سامي عامري

البشارة بنبيِّ الإسلام
في كتب اليهود والنَّصارى


بسم الله الرحمن الرحيم

البشارة بنبيِّ الإسلام

في كتب اليهود والنَّصارى

د. سامي عامري

البـشارة بـنـبـيِّ الإسـلام

في كتب اليهود والنَّصارى

د. سامي عامري

الطبعة الـثـانـيـة

١٤٤٣هـ/٢٠٢١م

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتـاب
لا تعبر بالضرورة عن نظر المركز»



Business Center 2 Queen
Caroline Street, Hammersmith
London W6 9Dx, UK

www.Takween-center.com
info@Takween-center.com

الموزع المعتمد

+966555744843

المملكة العربية السعودية - الدمام

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مقدمة أ. فيصل عازر
رئيس «مبادرة البحث العلمي
للمذاهب المعاصرة والأديان»

بسم الله، والصلام والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله، وأخويه عيسى كلمة الله، وموسى كليم الله، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

انتهيتُ للتوّ من قراءة كتاب البشارة للدكتور سامي عامري حفظه الله. وهو مشروع انتظرته طويلًا؛ لأنّه يوضّح الرؤية الإسلاميّة وأدلّتها بشواهد قويّة من اللغتين العبرية واليونانية. والكتاب، رغم أنّه لم يطلب استيعاب كلّ البشارات في الكتاب المقدس، إلّا أنّه أقام الحجة بالبيّنة والبرهان، وتتبّع الاعتراضات بالردّ الواضح، وكشف كيل النصارى بمكيالين عند النقاش حول البشارات، وأبان عن اضطرب منهجهم في تأصيل دعوى بشارة التوراة بيسوع.

وموضوع البشارات أحد المواضيع التي انشغل بها ذهني خلال مرحلة البحث والنظر، قبل اعتناق الإسلام، خاصة بشارة المسيح بالفارقليط، روح الحق، في الإنجيل المنسوب إلى يوحنا. وقد قرأت في هذه البشارة مؤلّفات كثيرة لكتّاب مسلمين ونصارى؛ لمعرفة الموقفين الإسلامي والنصراني منها. وفوجئت أنّ بعض النصارى الأوائل (الذين نُسبوا إلى الهرطقة) قد ذهبوا إلى أنّها بشارة بنبي قادم، وأنّها ليست بشارة بالروح القدس، الأقنوم الإلهي الثالث. وبعدها شرح الله صدري للتصديق بنبوة محمد ﷺ النبي العربي الأمي الذي بُشِّر به في التوراة والانجيل.

وختامًا، أدعو كل باحث عن الحق وطالب للهداية أن يقرأ الكتاب بعقل منفتح؛ لأهميّة هذا الموضوع في معرفة الدين الحق. كما أدعو الله أن يجزي الدكتور سامي عنّا وعن المسلمين خير الجزاء، ويرفع قدره ويبارك في علمه.

سبحان ربي ربّ العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أمّا بعد؛ فإنّ دلائل النبوة الخاتمة متنوعة جنسًا، كثيرة عددًا. وقد ألّف فيها علماء الإسلام مصنّفات كثيرة. وكان من أوسع فصولها خبر البشارة بمحمّد ﷺ في الكتاب المقدس[١]. كما صنّف علماء الإسلام كتبًا كثيرة في بحث أمر البشارة حصرًا، خاصة في القرنين الأخيرين، بعد أن توسّعت المجادلات ودقّت مباحثها؛ بما استدعى إفراد هذا الموضوع بدراسات مستقلّة.

وهو موضوع حريّ أن يهتم به المسلم والنصراني واليهودي. أمّا المسلم؛ فلحديث القرآن عن بشارة التوراة والإنجيل بنبيّه ﷺ، وأمّا اليهوديّ والنصراني؛ فلاعتقادهما بشارة كتبهما بعظيم أخبار المستقبل، ولا شكّ أنّ البعثة المحمّدية واحدة من أعظم أحداث التاريخ؛ بما يجعل الإخبار عن هذه الدعوة بشارة أو تحذيرًا[٢]، واردًا بقوّة.

(١) انظر مثلًا: قِوام السنة، دلائل النبوة، تحقيق: مساعد الحميد (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٢هـ)، ٨٣٥-٨٤٢، أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق: محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ١/ ٧١-٩٥، أبو الحسن الماوردي، أعلام النبوة (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص١١٨-١٣٠، أبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام (الرياض: دار الأصالة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ٢٠١-٢١٢.

(٢) انظر مثلًا كتاب المنصّر أ. برنكمان:

A. Brinckman, *Notes on Islam* (London: Church Press Company, 1868), pp.239-270.

وسنتناول في هذا الكتاب الذي بين يديك مسألة البشارة، بانتخاب نصوص قليلة، دون طلب الاستيعاب، مع استعراض معارضات النصارى وتوجيههم لمعانيها؛ ليطّلع القارئ بذلك على أهم نصوص البشارات، ومسالك المسلمين ومخالفيهم في تأويلها في ضوء دلالات الألفاظ وسياقاتها. ويكون حُكمه في الموضوع بعد النظر في مذهب الفريقين.

وقد كانت النيّة أن يكون هذا البحث ضمن كتاب أكبر يتناول بشارات الكتاب المقدس بمحمّد ﷺ من جهة، وما يدّعيه العهد الجديد من البشارات بعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في التوراة، غير أنّني انتهيت إلى أن تصدر هذه الدراسة في كتابين اثنين؛ لِتَضَخُّمِ حجم البحث في البشارة -المزعومة- بيسوع المسيح في التوراة.

وقد اخترتُ لهذا الكتاب أن يكون مختصرًا، في أدنى حدود العرض، ولم أتتبّع كلّ البشارات بالنظر، وإنّما اكتفيتُ بنخبة منها، مع العناية بعرض الأدلة وتتبّع الاعتراضات.

وقسمته إلى بابين، أوّلهما في المعارضات الأوّلية الكبرى في شأن بشارة أسفار أهل الكتاب بمحمّد ﷺ، وثانيهما في تفصيل عرض بشارات هذه الأسفار بنبيّ الإسلام ﷺ، مع دفع المعارضات عنها[(١)].

ولعلّ ميزة هذا الكتاب، أنّ الصفحات التالية موجّهة بصورة خاصّة إلى المهتمين بالحوار الإسلامي-النصراني؛ فلم ننظم الحديث في كتابنا على الطريقة المألوفة في عرض البشارات؛ بسوق النصوص التوراتية والإنجيلية، والاكتفاء ببيان دلالتها على المقصود، وإنّما اهتمَمْنا ببيان الأسئلة التي سيواجهها المسلم في مقدمة النقاش في هذا الموضوع، والاعتراضات التفصيلية اللاحقة على البشارات، وكيف يتحوّل المسلم من مقام الدفاع إلى مقام الهجوم الإيجابي؛ بإلزام النصراني بإلزامات تمنعه أن يبقى على نصرانيته، إن كان صادقًا في طلب الحق.

---

(١) هذا الكتاب الذي بين يديك ناسخ لكتابين أصدرتهما منذ زمن. وهما أوّل ما كتبت في بداية التصنيف: «محمّد ﷺ في الكتب المقدسة»، و«بشارة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمحمّد ﷺ». وقد ألّفتهما على نمطٍ قديم لا أرضى بعضه الآن في الاستدلال والتوثيق، بالإضافة إلى ميلي اليوم إلى القول إنّ إنجيل برنابا، كِتابٌ مَنْحولٌ مُلفَّقٌ في العصر الإسلامي، والتوقّف في البشارات المذكورة في كتب غير اليهود والنصارى حتى يُعْلَمَ أنّها قد كُتِبَتْ قبل البعثة. فلا يُنْسب إليّ في باب الحديث عن البشارة إلّا ما في هذا الكتاب الجديد.

ومن أسباب اختيارنا هذا الطريقَ في العرض، رغم مشقّته على القارئ الذي ليست له قراءات سابقة في النصرانية والكتاب المقدس النصراني، ظنّ المنصّرين أنّ موضوع البشارة بنبيّ الإسلام صلّى الله عليه وسلّم في التوراة والإنجيل، موضع ضعف في الخطاب الإسلامي. فوجب لذلك ترشيد هذا الحوار؛ لإظهارات دلالات نص الكتاب المقدس للكنيسة على مطلوبنا، وبيان تناقض النصراني إن رفض حجّتنا، والإشارة إلى ما في الكتاب المقدس من إشكالات يتجاهلها النصراني عند النقاش.

ولا يفوتني -في الختام- أن أشكر فضيلة الدكتور منقذ السقار على تعليقاته النافعة على مسودة الكتاب.

ربِّ اشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واحلل عقدة من لساني؛ يفقهوا قولي!

ربّ اغفر لي حظّ النفس من هذا الكتاب!

الباب الأول
معارضاتٌ أوّليۃ

تتمحور معارضات أهل الكتاب لبشارة أسفارهم المقدسة بمحمّد ﷺ، في النقاط التالية:

- تخطئة القرآن، بالقول إنّ فيه إحالة إلى بشارات ليست موجودة في نسخنا اليوم.
- القول بامتناع تحريف الكتاب المقدس وبشاراته
- القول بختم النبوة ببعثة يوحنّا المعمدان/ يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.
- القول إنّه لم يكن أحد ينتظر نبي آخر الزمان زمن المسيح أو بعده.
- لا معنى للنبوّة بعد ظهور المسيح المنتظر.
- لا سبيل لحمل نصوص البشارات التي يستدلّ بها المسلمون، محمل الجدّ؛ إذ لم يهتدِ بها أحد من أهل الكتاب إلى الإسلام.
- إنكار البشارات التي يُحيل إليها علماء الإسلام؛ لأنّها غير صريحة في الدلالة على البشارة المزعومة.
- المسلمون يتعسّفون في استنطاق النصوص التي يستدلّون بها للبشارة بنبيّهم، على خلاف البشارات التي يستدلّ بها النصارى من التوراة لظهور يسوع المسيح، وولادته، وصلبه، وقيامته.

وحول المعارضات السابقة سندندن.

الفصل الأول
البشارات بين النص الأصلي ونسخ القرن السابع

ينكر اليهود والنصارى بشارة كتبهم المقدسة بمحمّد ﷺ، مكرّرين أنّ نسخ كتبهم المقدّسة التي يتداولونها منذ القرن السابع الميلادي وإلى اليوم، ليس فيها خبر النبي العربي القادم. وهو أمر يستدعي طرح سؤال أوّلي، قبل الكلام في النصوص التي نعتقد أنها بشارات ببعثة محمّد ﷺ. وهو:

«هل البشارات التي جاءت الإحالة إليها في الآيات القرآنية واردةٌ في النصوص الأصلية للكتب السماوية -سواء حرّفت لاحقًا أم لا- أم هي إحالة إلى نسخ الكتاب المقدس في القرن السابع الميلادي، عصر البعثة الخاتمة؟»

وللوصول إلى مطلوبنا -جوابًا للسؤال السالف-؛ علينا جمع الآيات القرآنيّة المصرّحة بالبشارة بنبي الإسلام ﷺ في التوراة والإنجيل؛ لمعرفة مقصود الإحالات: النص الأصلي أم النسخ المعاصرة للبعثة أم غير ذلك؟

وبالنظر في آيات البشارات، بإمكاننا أن نلاحظ أنّها على ثلاثة أنواع:

١. نصوص صريحة في الإشارة إلى النص الأصلي للتوراة والإنجيل كما أُنْزِلا.
٢. نصوص غير متعلّقة بالبشارة -على الراجح-.
٣. نصوص تحتمل الإحالة إلى الأصول أو النسخ اللاحقة.

وهي كما يأتي:

أولا: الإحالة الصريحة إلى النص الأصلي للتوراة والإنجيل:

عامّةُ آيات البشارة دالّة على الإحالة الصريحة إلى النصوص الأصلية التي نزلت على الأنبياء قبل أن تُتداول لاحقًا بين الناس. وقد جاء ذلك في أكثر من صورة:

- الحديث عن الأنبياء في عصرهم:

﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

والآية في أخذ العهد على الأنبياء أن يؤمنوا بمن بعدهم من الرسل وأن ينصروهم. قال ابن كثير: «يخبر تعالى أنّه أخذ ميثاق كلّ نبي بعثَهُ من لدن آدم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، إلى عيسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة، وبَلَغَ أيَّ مبلغ، ثم جاءه رسولٌ من بعده، ليؤمننّ به ولينصرنّه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتّباع من بعث بعده ونصرته»[1].

- الخطاب صادر عن الأنبياء أنفسهم:

﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧-١٢٩].

- الخطاب على لسان المسيح عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ:

﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [الصف: ٦].

ثانيا: الإحالة إلى غير البشارة بالنبي المنتظر:

اختلف المفسّرون في تعلّق قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠] بالبشارة بمحمّد ﷺ في كتاب السابقين. والأظهر أنّ الآية في أنّ القرآن وحيٌ من عند الله -سبحانه- لا البشارة بالنبي الخاتم.

قال القاسمي -المفسّر-: «﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: القرآن مُنَزَّلًا من لَدُنْهُ عَلَيَّ. لا سِحْرًا ولا مفترًى كما تزعمون ﴿وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي: من الواقفين على أسرار الوحي بما أُوتوا من التوراة ﴿عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ أي: مثل القرآن، وهو ما في

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة (دار طيبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ٢/ ٦٧.

التوراة من الأحكام المصدّقة للقرآن من الإيمان بالله وحده، وهو ما يتبعه، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨-١٩]، أو على مثل ما ذُكِرَ من كونه من عند الله تعالى. أو على مثل شهادة القرآن؛ فجعل شهادته على أنه من عند الله، شهادةً على مثل شهادة القرآن، لأنه بإعجازه كأنه يشهد لنفسه بأنه من عند الله، أو (المثل) صلة و(الفاء)، في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ﴾ للدلالة على أنه سارَعَ إلى الإيمان بالقرآن، لمّا علم أنه من جنس الوحيِ الناطق بالحقّ ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أي: عن الإيمان به بعد هذه الشهادة»[1].

وأمّا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]؛ فقد اختلف في معناه المفسّرون. قال القرطبي: «أي يعرفون نبوّته وصدق رسالته، والضمير عائد على محمد ﷺ، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما. وقيل: يعرفون تحويل القِبْلة عن بيت المقدس إلى الكعبة أنه حقٌّ، قاله ابن عباس وابن جريج والربيع وقتادة أيضًا»[2].

لا يلزم من التفسير الأوّل الذي ساقه القرطبي أنّ أهل الكتاب يعرفون نبوّة محمّد ﷺ من البشارة به؛ فإنّ علمهم بذلك قد يكون بعلمهم صِدْقَهُ، وإخباره عمّا في كتبهم ممّا لا يعرفه إلّا كبار الأحبار، وإعادته رسالة النبوّة التي كانت في أنبياء إسرائيل صافية، أو من خلال معجزاته الماديّة..

ثالثًا: الإحالة غير الصّريحة إلى النصّ الأصليّ للتوراة والإنجيل:

- قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، ٨/ ٤٤٢.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ٢/ ١٦٢.

إحالة آية الفتح إلى بشارة التوراة والإنجيل لا تصرّح بثبوت هاتين النبوءتين في النسخ المتأخرة لهذين الكتابين بعد تحريفهما، ولا تنفي ذلك. والقول إنّ الآية تحيل فقط إلى التوراة والإنجيل الأصليّين سائغٌ لغةً، ولا يمنعه السِّياقُ.

- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

نقل الرازي (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره الخلاف في معنى الآية؛ بين توجيهها إلى السابقين من بني إسرائيل، وربطها ببني إسرائيل زمن الرسول ﷺ. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واختلفوا في ذلك فقال بعضهم: المراد بذلك أنْ يتّبعوه باعتقاد نبوّته من حيث وجدوا صِفَتَهُ في التوراة، إذ لا يجوز أن يتّبعوه في شرائعه قبل أن يُبعث إلى الخَلْق، وقال في قوله: ﴿وَٱلْإِنجِيلِ﴾ أن المراد سيجدونه مكتوبًا في الإنجيل، لأنّ من المحال أن يجدوه فيه قبل ما أنزل الله الإنجيل، وقال بعضهم: بل المراد مَنْ لَحِقَ من بني إسرائيل أيّام الرسول»[١].

وقد اختار أبو السعود (ت ٩٥١هـ) القول الأول. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا﴾ باسمِهِ ونُعُوتِه بحيث لا يَشُكّون أنه هو لذلك عَدَلَ عن أن يُقال: يجدون اسمَه أو وَصْفه مكتوبـاً ﴿عِندَهُمْ﴾ زيد هذا لزيادة التقريرِ وأنّ شأنه -عليه الصلاة والسّلام- حاضرٌ عندهم لا يَغيب عنهم أصلاً ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ اللّذَيْنِ تُعبِّد بهما بنو إسرائيلَ سابقًا ولاحقًا، والظرفان متعلقان بيجدونه أو بمكتوبًا. وذِكرُ الإنجيلِ قبل نزولِه من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي -عليه الصلاة والسلام- والقرآنِ الكريم قبل مجيئِهما»[٢].

وقال أبو حيان (ت ٧٥٤ هـ) في تفسيره: «﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾.

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ)، ١٥/ ٣٨٠.

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ٣/ ٢٧٩.

هذا من بقيّة **خطابه تعالى لموسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ وفيه تبشير له ببعثة محمد ﷺ، وذِكرٌ لصفاته، وإعلام له أيضًا أنه ينزل كتابًا يُسمّى الإنجيل»[1].

ولذلك قال الإمام ابن القيم (ت ٧٥١هـ) في بيان أنّ عدم وجود البشارة التي أحالت إليها الآيات القرآنية في نسخ عصر النبوة الخاتمة أو ما بعدها، لا يمنع أن تكون في النص الأصلي لما نزل على الأنبياء: «لَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ لا ذِكْرَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِنَعْتِهِ ولا صِفَتِهِ ولا عَلَامَتِهِ فِي الْكُتُبِ الَّتِي بِأَيْدِي أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَوْمَ، لَمْ يَلْزَمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ لا يَكُونَ مَذْكُورًا فِي الْكُتُبِ الَّتِي كَانَتْ بِأَيْدِي أَسْلَافِهِمْ وَقْتَ مَبْعَثِهِ ولا تَكُونُ اتَّصَلَتْ عَلَى وَجْهِهَا إِلَى هَؤُلَاءِ، بَلْ حَرَّفَهَا أُولَئِكَ وَبَدَّلُوا وَكَتَمُوا، تَوَاصَوْا وَكَتَبُوا مَا أَرَادُوا، وَقَالُوا: هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، ثُمَّ اشْتُهِرَتْ تِلْكَ الْكُتُبُ وَتَنَاقَلَهَا خَلَفُهُمْ عَنْ سَلَفِهِمْ، فَصَارَتِ الْمُغَيَّرَةُ الْمُبْدَلَةُ هِيَ الْمَشْهُورَةُ، وَالصَّحِيحَةُ بَيْنَهُمْ خَفِيَّةٌ جِدًّا، ولا سَبِيلَ إِلَى الْعِلْمِ بِاسْتِحَالَةِ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ فِي غَايَةِ الْإِمْكَانِ. فَهَؤُلَاءِ السَّامِرَةُ غَيَّرُوا مَوَاضِعَ مِنَ التَّوْرَاةِ ثُمَّ اشْتُهِرَتِ النُّسَخُ الْمُغَيَّرَةُ عِنْدَ جَمِيعِهِمْ؛ فَلَا يَعْرِفُونَ سِوَاهَا، وَهُجِرَتْ بَيْنَهُمُ النُّسْخَةُ الصَّحِيحَةُ بِالْكُلِّيَّةِ، وَكَذَلِكَ التَّوْرَاةُ الَّتِي بِأَيْدِي النَّصَارَى»[2].

وقد يسأل سائل هنا: «لِمَ يُخبر القرآن عن البشارة بنبيّ الإسلام ﷺ في التوراة والإنجيل، إذا كانت هذه النصوص ستندثر قبل القرن السابع الميلادي؟»

وجواب ذلك أنّ من يرى هذا الوجه من تفسير الآيات المتعلّقة بالإشارة إلى البشارة بمحمّد ﷺ في التوراة والإنجيل، له أن يقول: إنّ هذه الآيات قد نزلتْ لبيان عظيم منزلة النّبوّة الخاتمة التي علم خبرها الأنبياء الأوّلون وأتباعهم، وللتنبيه إلى تحريف أهل الكتاب أسفارهم؛ فقد حرّفوا خبر البشارة، كما حرّفوا ما هو أعظم من ذلك، وهو ما تعلّق بصفات الله وأسمائه. كما أنّ الكشوف الأثريّة في المستقبل قد تكشف عمّا أسقطه أهل الكتاب من أسفارهم الأولى؛ ليكون ذلك حجّة لصدق الخبر القرآني.

وخلاصة الكلام أنّه لا توجد آيةٌ في القرآن لا تحتمل من التفسير إلّا الإشارة إلى أنّ البشارة بالنبيّ الخاتم موجودةٌ في نُسَخِ القرن السّابع الميلاديّ. فيبقى بذلك أنّ في القرآن

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ)، ٥/ ١٩٣.

(٢) ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (جدة: دار القلم- دار الشامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، ص ٣١٤-٣١٥.

إعلامًا أنّ الأنبياء قد بَشَّرُوا بالبعثة المحمّدية في أُصولِ كُتُبِهم الموحاة إليهم أو في خطابهم الشّفهيّ إلى قومهم. والبحثُ في بقاء هذه البشارات في نسخ القرن السابع، عَمَلٌ اجتهاديٌّ في احتمالٍ قائمٍ سَعَت الكتب الإسلاميّةُ إلى إظهار شواهِدِه.

عدم ثبوت البشارة بمحمد ﷺ في نسخ الكتاب المقدس المتأخّرة، ليس مَطْعَنًا في صدق إحالة القرآن إلى ذلك؛ لأننا نعتقد أنها بشارات ثابتة في النصوص الأصلية المندثِرة.

الفصل الثاني
امتناع تحريف البشارات

يقول النصراني المعترض: الحديث عن تحريف البشارات في التوراة والإنجيل الأصليين، دعوى لا أصل لها؛ إذ لا يُعقل أن تضيع البشارة بنبيّ آخر الزمان من الكتاب المقدّس الذي لا سبيل للبشر إلى تحريفه؛ لانتشار مخطوطاته في كلّ بقاع الأرض منذ زمن بعيد!

وجواب الاعتراض السابق، من أوجه:

الوجه الأول: الإجماع العلمي قائم على تحريف الكتاب المقدس؛ فالكتب الخمسة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لها ثلاثة أصول قديمة: النص العبريّ، والنص اليوناني السبعينيّ المترجم عن نص عبريّ قديم -أقدم من النص العبري الذي نملكه اليوم-، والنص السامريّ. وبين هذه النصوص الثلاثة اختلافاتٌ كثيرة، كما هو معلوم ومشهور.

ورغم ميل النقّاد إلى النص العبري عند الاختلاف، إلّا أنهّم كلّهم يرّجحون السبعينيّ أو السامري أحيانًا. ولمّا اكتُشفت أقدم مخطوطة عبرية تعود إلى عصر ما قبل المسيح، وجد النقّاد أنّ في قراءاتها ما يخالف النص العبري (الماسوري) ويوافق النص السبعيني أو السامري[1].

ومما يؤكّد الإجماع على تحريف التوراة، اتّفاق علماء النقد النصي للعهد القديم على القول بضياع النص الأصلي من كل المخطوطات المتاحة والاقتباسات القديمة، في مواضع

---

(1) See Emanuel Tov, *Textual Criticism of the Hebrew Bible* (Minneapolis: Fortress Press, 2012);

كثيرة، بما ألجأهم إلى التخمين المحض لمعرفة القراءة الصحيحة، دون أي دليل مادي. وهو ما أكّده دانيال والس -أشهر ناقد نصي للعهد الجديد، محافظ- في نقله عنهم، بقوله: «في مواضع عديدة [في العهد القديم] كل الشواهد [أي: المخطوطات العبرية، الترجمات القديمة...] محرّفة بصورة بالغة؛ بما يوجب المسير إلى استعمال التخمين الحدسي»(١).

وأمّا العهد الجديد؛ فالتحريف فيه معلوم، تعترف به الطبعات التجاريّة للعهد الجديد؛ بإشارة عددٍ كثير منها في الهوامش إلى النصوص المحرّفة. والتحريف في أسوأ صوره؛ وهو أن يكون السِّفر من تأليف جماعة من الناس (لا مؤلّف واحد، على الدعوى الرسميّة للكنيسة)، على مراحل مختلفة، قد اعترف به رأس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، البابا تواضروس الثاني (وُلِّي البابويّة ٢٠١٢م-)، بقوله في كتابه «مفتاح العهد الجديد»: «نلاحظ أنّ إنجيل يوحنا بدون المقدمة (يو١/ ١-١٨) يبدو كتابًا يهوديًّا، ولكن بإضافة المقدمة يتّضح أنّه يتناسب مع العالم اليوناني، ولذلك فمن المحتمل أنّ المقدمة **أُضيفت على العمل الأصلي** -بعد ذلك- لجذب مزيدًا (كذا) من القراء، كذلك الإصحاح الأخير في (٢٠/ ٣٠-٣١). هذه الأمور تجعلنا نقول أنه **من المحتمل جدًا أن هذا الإنجيل قد تكوّن على عدّة مراحل**»(٢). وهذا اعتراف في غاية الخطورة؛ لأنّه يُصرّح بوجود تحريفات لاهوتيّة

---

(1) Daniel B. Wallace, ‘The Majority-Text Theory: History, Methods And Critique’, *Journal of the Evangelical Theological Society*, 37:2 (Jun 1994), p.203.

(٢) البابا تواضروس الثاني، مفتاح العهد الجديد، الجزء الأول، البشائر الأربع (القاهرة: بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالقاهرة، ٢٠١٣) ص١٦٧.

ظاهر نص بابا الكنيسة المصرية صريح في القول بالتحريف. وقد حاول بعض النصارى إنكار ذلك بالقول إنّ المؤلّف يقصد أنّ يوحنا نفسه قد أضاف المقدمة لاحقًا. وهذا الاعتذار للمؤلّف بعيدٌ؛ إذ إنّ المؤلف قد استعمل صيغة المبني للمجهول "أُضيف"، ولم ينسب الأمر صراحة إلى يوحنا. ونحن حتى لو سلّمنا أنّ المؤلّف يعتقد أنّ يوحنا هو صاحب الزيادة؛ فذاك لا يرفع الإشكال؛ لأنّ المؤلف يعتقد أنّ المقدمة متأخرة عن إنجيل يوحنا في صورته الأولى، موافقًا لكثير من النقّاد (انظر في عرض الخلاف في أصالة المقدمة Robert H. Gundry, *Jesus the word According to John the Sectarian*, Cambridge: William B. Eerdmans Publishing Company, 2001, p. 230)، غير أنّه لم يقدّم دليله على نسبة هذه المقدمة إلى المؤلّف. ولذلك نحن نوافقه على الطبيعة الإلحاقية للمقدمة، ولم نجد له -في الآن نفسه- حجة لنسبتها إلى يوحنا، مع الاختلاف البيّن بين هذه المقدّمة وبقية الإنجيل.

في النص (مقدمة إنجيل يوحنا)، وأنّ النص بعدما كتبه المؤلّف، تّم تغييره أكثر من مرّة في القرن الأول.

الوجه الثاني: الكتاب المقدس نفسه مخبر عن كتبٍ كانت متاحة بين أيدي بني إسرائيل، لا أثر لها اليوم ولا في القرن السابع الميلادي:

- سفر حروب الرب ספר מלחמת יהוה: ورد ذكره في سفر العدد ٢١/ ١٤.
- سفر ياشر ספר הישׁ ר: ورد ذكره في سفر يشوع ١٠/ ١٣ وسفر صموئيل الثاني ١/ ١٧.
- سفر أخبار أيام ملوك إسرائيل: ورد ذكره في سفر الملوك الأول ١٤/ ١٩ و١٦/ ٥ و١٦/ ٤.
- سفر تاريخ ملوك إسرائيل ويهوذا ספר מלכי-ישראל ויהודה: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ٢٧/ ٧ و٣٦/ ٨
- سفر أخبار أيام ملوك يهوذا ספר דברי הימים--למלכי יהודה: ورد ذكره في سفر الملوك الثاني ٢٤/ ٥ و٢١/ ٢٥.
- أخبار جاد النبي דברי גד החזה: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الأول ٢٩/ ٢٩.
- رؤى النبي يعدو חזות יעדי החזה: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ٩/ ٢٩ .
- نبوءة أخيا الشيلوني נבואת אחיה השילוני: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ٩/ ٢٩.
- تاريخ عدو الرائي דבר עדו החזה: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ١٢/ ١٥ و١٣/ ٢٢.
- تاريخ شمعيا النبي דבר שמעיה הנביא: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ١٢/ ١٥.
- تاريخ ياهو بن حناني דברי יהוא בן-חנני: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ٢٠/ ٣٤.
- سفر كتاب إشعياء النبي عن الملك عزيا: ورد ذكره في أخبار الأيام الثاني ٢٦/ ٢٢.
- مدراش سفر الملوك מדרש ספר המלכים: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ٢٤/ ٢٧.

- أخبار الرائين דברי חוזי: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ٣٣/ ١٩.
- سفر أخبار سليمان ספר דברי שלמה: ورد ذكره في سفر الملوك الأول ١١/ ٤١ .
- سفر يهوه ספר יהוה: ورد ذكره في سفر إشعياء ٣٤/ ١٦.
- سفر أخبار الأيام ספר דברי הימים: ورد ذكره في سفر نحميا ١٢/ ٢٣ .
- تاريخ ناثان النبي דברי נתן הנביא: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ٩/ ٢٩

كما جاء في سفر عزرا ٩/ ١٠-١٢: «وَالآنَ، فَمَاذَا نَقُولُ يَا إِلهَنَا بَعْدَ هذَا؟ لأَنَّنَا قَدْ تَرَكْنَا وَصَايَاكَ الَّتِي أَوْصَيْتَ بِهَا عَنْ يَدِ عَبِيدِكَ الأَنْبِيَاءِ قَائِلًا: إِنَّ الأَرْضَ الَّتِي تَدْخُلُونَ لِتَمْتَلِكُوهَا هِيَ أَرْضٌ مُتَنَجِّسَةٌ بِنَجَاسَةِ شُعُوبِ الأَرَاضِي، بِرَجَاسَاتِهِمِ الَّتِي مَلَؤُوها بِهَا مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ بِنَجَاسَتِهِمْ. وَالآنَ فَلاَ تُعْطُوا بَنَاتِكُمْ لِبَنِيهِمْ وَلاَ تَأْخُذُوا بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكُمْ، وَلاَ تَطْلُبُوا سَلاَمَتَهُمْ وَخَيْرَهُمْ إِلَى الأَبَدِ لِكَيْ تَتَشَدَّدُوا وَتَأْكُلُوا خَيْرَ الأَرْضِ وَتُورِثُوا بَنِيكُمْ إِيَّاهَا إِلَى الأَبَدِ» .. وهذا الاقتباس الوارد في سفر عزرا، لا وجود له في أيّ سفر من أسفار التناخ (العهد القديم)؛ فهو اقتباس عن سفر ضائع.

الوجه الثالث: العهد الجديد فيه نُقُولٌ غير موجودة في العهد القديم، وهي على ما يظهر عن أسفار ضائعة أو تراث شفويٍّ يجب أن يكون عن وحي أوّلٍ؛ حتّى لا يقع العهد الجديد في نقل كلام البشر على أنّه وحي ربّانيّ:

- رسالة يهوذا ٦: «وَأَمَّا الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ لَمْ يُحَافِظُوا عَلَى مَقَامِهِم الرَّفِيعِ، بَلْ تَرَكُوا مَرْكَزَهُمْ، فَمَازَالَ الرَّبُّ يَحْفَظُهُمْ مُقَيَّدِينَ بِسَلاَسِلَ أَبَدِيَّةٍ فِي أَعْمَاقِ الظَّلاَمِ، بِانْتِظَارِ دَيْنُونَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ».
- الرسالة إلى العبرانيين ١٢/ ٢١: «وَالْوَاقِعُ أَنَّ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ كَانَ مُرْعِبًا إلى دَرَجَةٍ جَعَلَتْ مُوسَى يَقُولُ: «أَنَا خَائِفٌ جِدًّا بَلْ مُرْتَجِفٌ خَوْفًا».
- الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ٣/ ٨: «وَمِثْلَمَا قَاوَمَ (السَّاحِرَانِ) يَنِّيسُ وَيَمْبِرِيسُ مُوسَى، كَذَلِكَ أَيْضًا يُقَاوِمُ هَؤُلاَءِ الْحَقَّ؛ أُنَاسٌ عُقُولُهُمْ فَاسِدَةٌ، وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُمْ غَيْرُ أَهْلٍ لِلإِيمَانِ».
- أعمال الرسل ٧/ ٢٣- ٢٨: «وَلما بَلَغَ الأَرْبَعِينَ مِنَ الْعُمْرِ خَطَرَ بِقَلْبِهِ أَنْ يَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ إِخْوَتِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَى وَاحِدًا مِنْهُمْ يَعْتَدِي عَلَيْهِ مِصْرِيٌّ، فَتَدَخَّلَ لِيُدَافِعَ عَنِ الْمَظْلُومِ، وَانْتَقَمَ لَهُ فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ، عَلَى أَمَلِ أَنْ يُدْرِكَ إِخْوَتُهُ أَنَّ اللهَ سَيُنْقِذُهُمْ عَلَى يَدِهِ. غَيْرَ

أَنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا! وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي وَجَدَ اثْنَيْنِ مِنْ إِخْوَتِهِ يَتَعَارَكَانِ، فَحَاوَلَ أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، قَائِلًا: أَنْتُمَا أَخَوَانِ، فَلِمَاذَا يَعْتَدِي أَحَدُكُمَا عَلَى الآخَرِ؟ فَمَا كَانَ مِنَ الْمُعْتَدِي عَلَى قَرِيبِهِ إِلاَّ أَنْ دَفَعَهُ بَعِيدًا، وَقَالَ: مَنْ أَقَامَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ أَمْسِ؟».

القصّة السالفة جاء ذكرها في سفر الخروج ٢/ ١١- ١٤: «وَحَدَثَ بَعْدَ أَنْ كَبُرَ مُوسَى أَنَّهُ ذَهَبَ لِيَفْتَقِدَ إِخْوَتَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ وَيَشْهَدَ مَشَقَّتَهُمْ، فَلَمَحَ رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا، فَتَلَفَّتَ حَوْلَهُ، وَإِذْ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا هُنَاكَ قَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ . ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلاَنِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَضَارَبَانِ، فَقَالَ لِلْمُسِيءِ: «مَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟ فَأَجَابَهُ: «مَنْ أَقَامَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟ أَعَازِمٌ أَنْتَ عَلَى قَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ؟» فَخَافَ مُوسَى وَقَالَ: «حَقًّا إِنَّ الْخَبَرَ قَدْ ذَاعَ».

وكما هو ظاهر، فإنّ نص أعمال الرسل قد أضاف تفاصيل لم تُذكر في نص سفر الخروج.

• الرسالة الثانية لبطرس ٢/ ٤: «فَإِنَّ اللهَ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ الَّذِينَ أَخْطَأُوا، بَلْ طَرَحَهُمْ فِي أَعْمَاقِ هَاوِيَةِ الظَّلاَمِ مُقَيَّدِينَ بِالسَّلاَسِلِ، حَيْثُ يَظَلُّونَ مَحْبُوسِينَ إلى يَوْمِ الْحِسَابِ».

الوجه الرابع: اعترف بعض آباء الكنيسة بوجود أسفار مقدّسة ضائعة؛ ومن ذلك قول قديس الكنيسة يوحنا ذهبيّ الفم في تعليقه على ١ كورنثوس ٣[1]:

حتى قبل السَّبْيِ، تمَّ **طَمْسُ العديد من الكتب** وانجرفَ اليهود إلى أسوأ درجات المعاصي. هذا واضح من نهاية سفر الملوك الرابع؛ لأنّه قد عُثِر بصعوبة على سفر التثنية، وقد دُفن في مكان ما في مزبلةٍ.

καὶ γὰρ πρὸ τῆς αἰχμαλωσίας πολλὰ ἠφάνιστο βιβλία, τῶν Ἰουδαίων εἰς ἐσχάτην ἀσέβειαν ἐξοκειλάντων. καὶ δῆλον ἐκ τοῦ τέλους τῆς τετάρτης τῶν Βασιλειῶν· τὸ γὰρ Δευτερονόμιον μόλις που εὕρηται ἐν κοπρίᾳ κατακεχωσμένον

(1) Chrys. hom. 3 in 1 Cor. 3.

كما قال يوحنا ذهبي في تعليقه على الفصل الرابع من إنجيل متّى[١]:

تم طمس كثير من الأسفار النبويّة. ومن الممكن إدراك ذلك من تاريخ أخبار الأيام. بادت بعض الأسفار المقدّسة بسبب الإهمال وسقوط اليهود المستمر في المعصية، كما حرق اليهود أنفسهم بعض الأسفار الأُخرى ومزَّقُوها.

πολλὰ γὰρ τῶν προφητικῶν ἠφάνισται βιβλίων· καὶ ταῦτα ἐκ τῆς ἱστορίας τῶν Παραλειπομένων ἴδοι τις ἄν. ῥᾴθυμοι γὰρ ὄντες, καὶ εἰς ἀσέβειαν συνεχῶς ἐμπίπτοντες, τὰ μὲν ἠφίεσαν ἀπόλλυσθαι, τὰ δὲ αὐτοὶ κατέκαιον καὶ κατέκοπτον

الوجه الخامس: النصارى أنفسهم اتّهموا اليهود بتحريف التوراة لإخفاء البشارة بالمسيح. ومن هؤلاء قديس الكنيسة جيروم (توفي ٤٢٠م) الذي قال -وهو ينتقد أخطاء الترجمة السبعينية للتوراة-: «ليس هدفي، كما يظنّ أصحاب النوايا السيّئة، إدانة الترجمة السبعينيّة أنّها واقعة في الخطأ. ولا أرى أنّ عملي يحطُّ من قَدْرِ من قاموا على هذه الترجمة. والحقيقة أنّهم -بسبب أنّ عَمَلَهُم قد تمّ لأجل الملك بطليموس الإسكندري- لم يختاروا الكشف عن جميع الأسرار التي تحتويها الكتابات المقدسة، خاصة تلك التي تَعِدُ بمجيء المسيح»[٢].

كما شهد جستين «الشهيد» في القرن الثاني، في حواره مع تريفو، أنّ أصحاب الترجمة السبعينيّة قد حرّفوا النبوءات عن المسيح القادم وحياته[٣]. ومعلومٌ أنّ عامة اقتباسات العهد الجديد من العهد القديم كانت من الترجمة السبعينية.

---

(1) Chrys. hom. 9 in Mt. 4.

(2) Jerome, Preface to the Book of Hebrew Questions.

(3) Justin Martyr, Dialogue with Trypho, 71.

الفصل الثالث

انقطاع النبوة بعد يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ!

يزعم عامّة النصارى أنّ باب النبوّة قد أُقْفِل مع يوحنّا المعمدان (يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، النبي المعاصر للمسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقريبه؛ فلا نبوّة بعد ذلك[1]. ولا حُجّة عند هؤلاء سوى أنّ موت ابن الله على الصّليب قد أنهى الحاجة إلى النبوّة، بالإضافة إلى أنّهم يقولون إنّه لا يُعرف نبيٌّ بعد رفع المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى السَّماء.

وقد أجاب على الدعوى السابقة الدكتور مجيل إيرناندث في بحثه الذي قدّمه في قرطبة بإسبانيا عام ١٩٧٧ في المؤتمر الثاني للحوار الإسلامي المسيحيّ الذي عُقِد سنة ١٩٧٧ بعنوان: «الجذور الاجتماعية والسياسية للصُّورة المزيّفة التي كوَّنتها النصرانيّة عن النبيّ محمّد»؛ إذ قال فيه: «لا يوجد صاحب دعوة تعرَّض للتجريح والإهانة ظلمًا على مدَى التاريخ مثل محمد، وإنَّ الأفكار حول الإسلام والمسلمين ونبيِّهم محمّد استمرَّت تسودُها الخرافات حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، ولَم يمنع الاحتكاك المباشر بين الطائفتين من انتشار هذه الخرافات.

لقد سبَق أن أكَّدتُ في مناسبة سابقة الاستحالة –من الوجهة التاريخية والنفسية– لفكرة

---

(١) المسيح نفسه نبي في النصرانية، وإن جهل ذلك عوام النصارى لاعتقادهم أنّ الألوهية لا تجتمع مع النبوة. انظر مثلا كتاب اللاهوت النظامي الشهير:

Wayne A. Grudem, *Systematic Theology: An Introduction to Biblical Doctrine* (Grand Rapids, MI: Zondervan.com, 2000), 764-766.

النبي المزيَّف التي تُنسب لمحمد، **ما لَم نرفضْها بالنسبة لإبراهيم وموسى، وأصحاب النبوَّات الأخرى من العبريِّين الذين اعتُبِروا أنبياءَ.**

إنَّه لَم يحدثْ أنْ قال نبيٌّ بصورة بيِّنة وقاطعة أنَّ عالَم النبوَّة قد أُغْلِق، وفيما يتعلَّق بالشعب اليهودي، فإنَّ عالَم النبوَّة ما يزال مفتوحًا، ما داموا ينتظرون المسيح المخلِّص.

أمَّا فيما يتعلَّق بالنصرانية، فإنَّه لا يوجد تأكيد قطْعيٌّ يدلُّ على انتهاء عالَم النبوة، وأيُّ قارئ لرسائل القدِّيس بولس وآثار الحواريّين وسِفر الرؤيا، يعلم ذلك جيّدًا.

وفيما يتعلَّق بي، فإنّ لديّ يقينٌ أنَّ محمدًا نبيٌّ لدرجة أنّي حاولت في دراسةٍ لي كُتِبَتْ سنة ١٩٦٨ أن أشرح أنّ محمّدًا كان نبيًّا حقًّا من وجهة النظر الدينية المسيحيّة»[١].

كما جاء في المؤتمر التنصيري الثالث لطائفة الإنجليكانيّين الذي انعقد في كندا سنة ١٩٦٣، قول كانون وارن -سكرتير جمعية التبشير الكنسيّة- في بحثه المقدّم إلى هذا المؤتمر: «لقد تجلّى الله بطرق مختلفة، ومن الواجب أن تكون لدينا الشجاعة الكافية لنصرّ على القول بأنّ الله كان يتكلّم في ذلك الغار الذي يقع في تلك التلال خارج مكة»[٢].

وشهد لعدم معارضة نصوص الكتاب المقدّس الإقرار بنبوّة محمّد ﷺ؛ عدد من الأعلام في الغرب؛ منهم عميد المستشرقين، القسيس مونتجمري واط[٣]، واللاهوتي الكاثوليكي الشهير والبارز هانس كونج[٤] الذي أنكر على مجمع الفاتيكان الثاني عدم ذكره لنبيّ الإسلام، وشجّع النصارى على الإيمان بمحمّد ﷺ أنّه نبيّ[٥]، ورأى أنّ قبول نبوّة

---

(١) ملف الحوار الإسلامي المسيحي بقرطبة- سكرتارية المؤتمر (نقله أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطوّرات مهمَّة في المسيحيّة (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧، ص٦٣-٦٤).

(2) Peter Whiteley, *Frontier Mission* (Toronto: Anglican Book Center, 1963), p.18.

(٣) وليام مونتغمري واط William Montgomery Watt (١٩٠٩-٢٠٠٦): مستشرق ومؤرّخ شهير. كان له اهتمام خاص بدراسة السيرة النبوية. درّس اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة إدنبرة.

(٤) هانس كونج Hans Küng (١٩٢٨-٢٠٢١): قسيس كاثوليكي سابق، وأستاذ اللاهوت في جامعة إيبرخارد كارلس. شارك كمستشار لاهوتي في مجمع الفاتيكان الثاني. هاجمه الفاتيكان بشدّة بعد إنكاره عقيدة عصمة البابا. وهو أحد أعلام اللاهوتيين الألمان في عصرنا.

(٥) الجمع بين الإيمان بالنصرانية ونبوّة محمّد ﷺ، باب من النظر يختلف عن الحديث عن منع الكتاب المقدس نفسه (بعيدًا عن تفاسير الكنيسة) نبوّة محمّد ﷺ. ونحن مع ذلك نشهد أنّ النصارى الذين شهدوا لنبوّة محمّد ﷺ، دون الانخلاع عن النصرانية، في فهمهم لنبوّة محمّد ﷺ قصور وانحراف.

عاموس وهوشع وإشعياء وإرمياء في العهد القديم ورفض نبوّة محمّد ﷺ رغم أنّ رسالة التوحيد بينهم واحدة- «تحيّز عقدي»[1].

كما شهد لنبوّة محمّد ﷺ كيث وارد[2]، القسيس واللاهوتي والفيلسوف البريطاني الذي يُعتبر من أشهر الرموز الفكرية في الغرب في الرد على تيار الإلحاد الجديد، خاصة أطروحات ريتشارد داوكنز. بل الأبعد من ذلك أنّه قال إنّ عامة اللاهوتيين الأكاديميين النصارى من زملائه يؤمنون هم أيضًا بنبوّة محمّد ﷺ![3]

إنّ نصوص العهد الجديد لا تضمّ أيّ تصريح عن نهاية النبوة بعد رفع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ. بل نحن نقرأ في العهد الجديد تصريحًا بوجود أنبياء بعد مفارقة المسيح للناس. ومن ذلك ما جاء في أعمال الرسل ١١/ ٢٧: «وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ انْحَدَرَ أَنْبِيَاءُ [بروفيتاي προφῆται] مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ».

ومن الأنبياء الذين جاء التصريح بنبوّتهم بعد رفع المسيح:

- فيليب الإنجيلي: «ثُمَّ إِنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ كَلَّمَ فِيلُبُّسَ قِائِلًا: «قُمْ وَاذْهَبْ نَحْوَ الْجَنُوبِ، عَلَى الطَّرِيقِ الْمُنْحَدِرَةِ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى غَزَّةَ الَّتِي هِيَ بَرِّيَّةٌ. «فَقَامَ وَذَهَبَ. وَإِذَا رَجُلٌ حَبَشِيٌّ خَصِيٌّ، وَزِيرٌ لِكَنْدَاكَةَ مَلِكَةِ الْحَبَشَةِ، كَانَ عَلَى جَمِيعِ خَزَائِنِهَا. فَهذَا كَانَ قَدْ جَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيَسْجُدَ. وَكَانَ رَاجِعًا وَجَالِسًا عَلَى مَرْكَبَتِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ النَّبِيَّ إِشَعْيَاءَ. فَقَالَ الرُّوحُ لِفِيلُبُّسَ: «تَقَدَّمْ وَرَافِقْ هذِهِ الْمَرْكَبَةَ»». (أعمال الرسل ٨/ ٢٦-٢٩).
- أغابوس: «وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ انْحَدَرَ أَنْبِيَاءُ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ. وَقَامَ وَاحِدٌ مِنْهُمُ اسْمُهُ أَغَابُوسُ، وَأَشَارَ بِالرُّوحِ أَنَّ جُوعًا عَظِيمًا كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَصِيرَ عَلَى جَمِيعِ الْمَسْكُونَةِ، الَّذِي صَارَ أَيْضًا فِي أَيَّامِ كُلُودِيُوسَ قَيْصَرَ». (أعمال الرسل ١١/ ٢٧-٢٨).

---

(1) See Anna Bonta Moreland, *Muhammad Reconsidered: A Christian Perspective on Islamic Prophecy* (Notre Dame, Indiana University of Notre Dame Press, 2020).

(٢) كيث وارد Keith Ward (١٩٣٨-): عضو الأكاديمية البريطانية. له اهتمام خاص باللاهوت المقارن وعلاقة العلم بالدين.

(٣) حوار مصوّر بين الداعية البريطاني بول ويليامز وكيث وارد:
AMAZING! Revd Professor Keith Ward on Muhammad as a Prophet of God
< https://www.youtube.com/watch?v=FkeoGRT_ATE >. Retrieved 5.10.2021.

- يهوذا برسابا وسيلا: «وَيَهُوذَا وَسِيلاَ، إِذْ كَانَا هُمَا أَيْضًا نَبِيَّيْنِ، وَعَظَا الإِخْوَةَ بِكَلاَمٍ كَثِيرٍ وَشَدَّدَاهُمْ». (١٥/ ٣٢).

وَسِمْعَان، وَلُوكِيُوسُ الْقَيْرَوَانِيُّ: «وكَانَ فِي أَنْطَاكِيَةَ فِي الْكَنِيسَةِ هُنَاكَ أَنْبِيَاءُ وَمُعَلِّمُونَ: بَرْنَابَا، وَسِمْعَانُ الَّذِي يُدْعَى نِيجَرَ، وَلُوكِيُوسُ الْقَيْرَوَانِيُّ، وَمَنَايِنُ الَّذِي تَرَبَّى مَعَ هِيرُودُسَ رَئِيسِ الرُّبْعِ، وَشَاوُلُ». (أعمال الرسل ١٣/ ١).

لم تكن مشكلة الكنيسة الأولى غياب الأنبياء، وإنّما في كثرتهم؛ وهو ما ألجأها إلى إلغاء النبوّة لاحقًا. وقد جاء في «معجم هاربر للكتاب المقدس»: «تسبّب وجود كثرة من الأنبياء في مشكلات كبيرة مع النبوّة الكاذبة، وجعل من الضروري ابتكار اختبارات لتحديد صحّة الأقوال النبوية (متّى ٧/ ١٥؛ ٢٤/ ١١، ٢٤؛ مرقس ١٣/ ٢٢؛ أعمال ١٣/ ٦؛ ٢ بطرس ٢/ ١؛ ١ يوحنا ٤/ ١؛ رؤيا ٢/ ٢٠؛ ١٩/ ٢٠؛ ٢٠/ ١٠). قد تكون الصعوبات في التعرّف على الأنبياء الكَذَبَةِ هي التي دفعت قادة الكنيسة إلى محاولة إلغاء النبوة كليّة، وربما عجّلت في اختفاء الأنبياء من المجتمع المسيحي»[1].

ولا يُعترض علينا هنا بالقول إنّ النبوّة اللاحقة لزمن المسيح تختلف في جوهرها عن السابقة لها. فإنّ الاسم وجوهر النبوّة فيهما واحد؛ فهي «نبوّة» في الحالين، ووحي إلهيٌّ للبلاغ، والإنباء عن الغيب. ومن المعلوم أنّ «النبيّ» في الكتاب المقدس هو «شخص مُوحى إليه من الله ليبلّغ الناس ما يريده الله من شعبه، ويكشف لهم المستقبل»[2]. وما كان الأنبياء في بني إسرائيل -سابقًا- على درجة واحدة؛ ففيهم كبار الأنبياء، وفيهم مَنْ دائرة نبوّته محدودة التأثير. فالأنبياء الذين ظهروا في القرن الأول، بعد رفع المسيح، أشبه بالأنبياء الذين عاشوا في بني إسرائيل في عصرٍ وُجد فيه أنبياء كِبار كان صوتهم أعلى من بقيّة الأنبياء[3].

---

(1) P. J. Achtemeier, *Harper's Bible Dictionary* (San Francisco: Harper & Row, 1985), p.830.

(2) Art. “Prophet”, M. F. Unger, *et al*. *The New Unger's Bible Dictionary* (Chicago: Moody Press, 1988).

(٣) هذا من باب الإلزام. وفي الإسلام، لا نبيّ بعد عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ غير محمّد ﷺ؛ لقوله ﷺ: **«أنا أولى الناس بابن مريم. والأنبياء أولاد علّات، ليس بيني وبينه نبيّ»** (رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، (ح/ ٣٢٥٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، (ح/ ٢٣٦٥)).

وأمّا الاستدلال بقول المسيح: «احْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلٍ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ! مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ عِنَبًا، أو مِنَ الْحَسَكِ تِينًا؟ هكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، لا تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، ولا شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا جَيِّدَةً. كُلُّ شَجَرَةٍ لا تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. فَإِذًا مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ». (متّى ٧/ ١٥-٢٠)؛ فليس بحجّة للقول بانقطاع النبوة بعد يوحنّا المعمدان، وإنّما هو -في الحقيقة- حجّة على استمرار النبوّة بعد المسيح.

وقد بيّن ذلك المهتدي إلى الإسلام بشرى زخارى ميخائيل في كتابه: «محمد رسول الله، هكذا بشّرت به الأناجيل»، بقوله: «لم يقل السيّد المسيح احترزوا من الأنبياء؛ فيكون التقرير قاطعًا بأنّه لم يعد هناك أنبياء بعده، ثم أخبر بأنّ نمتحِن الأنبياء من ثمارهم فكأنّ هناك أنبياء سنعرفهم من ثمارهم الرديئة وغيرهم من ثمارهم الجيّدة. وهذه بشارة بأن بعده سيكون أنبياء ونعرفهم من ثمارهم .

والقول بقيام أنبياء كذبة بعد المسيح لا يمنع من البحث الموضوعيّ الأمين في دعاوى الرسالات بعد المسيح حتى يتبيّن الصادق من الكاذب، والصحيح من الزائف! فالمسيح قد تكلّم عمّن جاؤوا قبله؛ فوصف بعضهم بأنّهم سُرّاق ولصوص، ولا يعني هذا طبعًا خلوَّ الزمان قبله من النبوات الصادقة الصحيحة .

وما أدقّ من ميزان ذلك الذي نصبه المسيح ليفرق بين الأدعياء والأصلاء. «السارق لا يأتي إلاّ لِيَسْرِقَ ويَذْبَحَ ويُهْلِكَ، وأمّا أنا فقد أتيتُ لتكون لهم حياةٌ، وليكون لهم أفضلُ... والرَّاعي الصَّالح يبذل نفسه عن الخراف، أمّا الذي أجير وليس راعيًا الذي ليست الخراف له فيرى الذّئب مُقْبِلًا ويَتْرُكُ الخِرافَ»[1].

ويُنَبِّهُنَا النّاقد القسّيسُ لي مارتن ماك دونالد[2] في تعليقِه على نصِّ متّى ٢١/ ٤٣: «لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ الله يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ»، أنّ النصارى

(١) زخارى ميخائيل، محمد رسول الله، هكذا بشّرت به الأناجيل (القاهرة: عالم الكتب، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ص ٧٠-٧١.

(٢) لي مارتن ماك دونالد Lee Martin McDonald (١٩٤٢-): قسيس أمريكي وناقد معروف. أستاذ دراسات العهد الجديد في Acadia Divinity School.

وفريقًا من اليهود في القرن الأول -بعد رفع المسيح- كانوا لا يرونَ انقطاع النبوّة؛ فقد قال: «من الواضح أنّه ليس كلُّ اليهود في زمن يسوع قد تمسّكوا بالآراء نفسها حول هذه المسألة. تحدَّثَ يوسيفوس نفسُه عن استمرار النّبوّةِ في شخص يهوذا الأسيني (حوليات اليهود ١٣. ٣١١-٣١٣) ... كما لاحظ إيرل إليس أنّه يبدو بصورة واضحة أنّ أهل منطقة قمران والمجتمع المسيحي المبكر لم يوافقوا على أن النبوّة قد توقَّفَتْ في إسرائيل. تشير مقاطع [محفوظة من تراث] مجتمع قمران، والمجتمع المسيحي، ومؤلف ٤ عزرا ١٤/ ١٩-٤٨ (حوالي سنة ١٠٠م) جميعها إلى أن العديد من اليهود لم يؤمنوا بأنَّ الروح النبويّ قد رحل عن إسرائيل»[١].

وممّن ادّعوا النبوة من النصارى بعد القرن الأول، إلكساي/ إلخساي الذي كان من النصارى الداعين إلى التزام التوراة (=اليهود المسيحيين) في بداية القرن الثاني الميلادي في بلاد الرافدين؛ وزعم أنّه قد أُنزل عليه كتاب على يد مَلَك عظيم الحجم[٢]. كما ادّعى النبوّة في النصف الثاني من القرن الثاني، منتانوس الذي انتشرت دعوته في أكثر من مكان في الإمبراطورية الرومانية، واستمرّت حتّى القرن السادس. وقد تحوّل إلى المونتانية ترتليان، وهو من أهم آباء الكنيسة في بداية القرن الثالث[٣].

---

(1) Lee Martin McDonald, *Forgotten Scriptures: The Selection and Rejection of Early Religious Writings* (Kentucky, Westminster John Knox Press, 2009), p.138

(2) Hippolytus of Rome, *Refutation of All Heresies*, IX, 8-13.

(3) Ferdinand Christian Baur, *The Church History of the First Three Centuries* (London: Williams and Norgate, 1878), 1/245-256.

الفصل الرابع
النبي المنتظر

يتكرّر في خطابات المنصّرين أنّه لم يكن أحدٌ ينتظِرُ «نبيّ آخِرِ الزّمان» عصرَ المسيح وبعده؛ وبالتالي ففكرة «النبيّ المنتَظَرِ» الواردة في البشارات القرآنية نقلًا عن أهل الكتاب، لا أساس لها.

وهذا الاعتراض لا يخلو من جهل واضح بالأناجيل والتاريخ؛ فإنّنا نقرأ في إنجيل يوحنّا ١/ ١٩-٢١ أنّه حين قال يوحنّا المعمدان للكهنة واللّاويين إنّه ليس المسيح (المنتظر)، سألوه: «أَوَ أَنْتَ النَّبِيُّ؟»، بأداة التعريف لكلمة «نبيّ»؛ دلالة على نبيّ معلوم، ومنتظَر[1]. ولمّا أنكر أنّه «النبيّ». عَجِبُوا من أمره.

كما جاء في إنجيل يوحنّا ٦/ ١٤-١٥: «فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ **النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ!**» وَأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكًا، انْصَرَفَ أَيْضًا إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ». فيهود القرن الأوّل كانوا في انتظار «النبيّ الآتي إلى العالم». وكانوا يعلمون أنّ أعظم صفاته أنّه سيكون على خلاف كلّ أنبياء بني إسرائيل الذين ظهروا بعد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، ملِكًا، صاحب سلطان سياسيّ وعسكريّ.

ويُعلِّق فردناند دكسنجر -رئيس قسم الدراسات اليهودية في جامعة فيينا- على ما سبق

---

(1) See F. Godet & T. Dwight, Commentary on the Gospel of John: With an historical and critical introduction (New York: Funk & Wagnalls, 1886), p.304.

بقوله: «بإمكاننا أن نتعلّم من إنجيل يوحنّا (١/ ٢١، ٦/ ١٤، ٧/ ٥٢، ٩/ ١٧) أنّ توقّع ظهور «النبيّ» كان عظيمًا جِدًّا (بين الناس زمن المسيح)»[١].

وانتظار نبيّ آخر الزمان ثابتٌ أيضًا قبل عصر المسيح؛ فإنّنا نعلم من خلال مخطوطات البحر الميت أنّ اليهود قبل عصر عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كانوا ينتظرون «مُعلّم الاستقامة» "מורה הצדק" الذي عرّفوه أنّه النبي الذي جاءت البشارة به في سفر التثنية ١٨/ ١٨. وهو نبيّ آخر الزمان eschatological prophet، وهو غير المسيح المنتظر[٢].

ويقول الناقد ل. ستيفن كوك[٣]: «توجد أدلّة صلبة تُظهر أنّ جماعة قمران نفسها كانت تنتظر عودة النبوّة (1QS 9.9-11). توقَّعَ هذا المقطع مجيء ثلاث شخصيات أُخرويّة، مسيحان ونبيّ. ويعتقد النقّاد عادة أنّ هذه الشخصيات الثلاث قد وردت الإشارة إليها أيضًا في نص 4QTestimonia (4Q175)، وهو وثيقة تتمثّل في سلسلة مقاطع من الكتاب المقدس يبدو أنّها ذات طابع مسيحانيّ/ أُخرويٍّ صارخ»[٤].

ولا يبدو أنّ التراث اليهودي -قبل القرن الأول- كان مستقرًّا في أمر ختم النبوة (قبل ظهور نبي آخر الزمان)؛ فقد قيل إنّ إرمياء هو آخر الأنبياء، وقيل أيضًا إنّ النبوة توقّفت عند حجي وزكريا وملاخي؛ ولذلك اضطرّ بعضهم لمحاولة التوفيق بين هذين القولين[٥]. ويبدو من خلال موقف أصحاب مغاور قمران أنّه لا يوجد موقف يهوديٌّ يجمع اليهود؛ لمخالفتهم الرأيين السابقين.

---

(1) Ferdinand Dexinger, “Reflections on the Relationship Between Qumran and Samaritan Messianology,” in James H. Charlesworth; Hermann Lichtenberger and Gerbern S. Oegema, *Qumran-Messianism: studies on the Messianic expectations in the Dead Sea scrolls* (Tu¨bingen: Mohr Siebeck, 1998), p.94

(2) David Noel Freedman and Pam Fox Kuhlken , *What Are the Dead Sea Scrolls and Why Do They Matter?* (Grand Rapids, Mich.: W.B. Eerdmans, 2007) 93

(٣) ل. ستيفن كوك L. Stephen Cook (١٩٦٢-): أستاذ لغة العهد القديم وأدبياته في Virginia Theological Seminary.

(4) L. Stephen Cook, On the question of the "Cessation of Prophecy" in Ancient Judaism (Tu¨bingen Mohr Siebeck, 2011), p.81.

(5) Pesiq. Rb. Kah. 13.14.

وقد نبّه الناقد دافيد أون[1] إلى تواصل النبوة وعدم انقطاعها عند اليهود قبل المسيح (على خلاف المشهور)، فقال: «اشتهر القول إنّ النبوّة قد توقّفت في اليهوديّة في القرن الخامس قل الميلاد؛ لتظهر لاحقًا مع صعود المسيحية. ولكنّ الحجّة تخالف ذلك بصورة مباشرة. لم تختف النبوّة الإسرائيليّة. مثل كلّ المؤسسات الدينيّة والاجتماعيّة، تعرّضت النبوّة الإسرائيليّة لعدد من التطوّرات الكبيرة أو الراديكاليّة أثناء عصر الهيكل الثاني (٥١٦ق.م- ٧٠م)»[2].

لقد استمرّ اليهود في إظهار تشوّفهم لهذا النبي الملك/ المسيح الملك في أكثر من عصر، ومن ذلك ما وقع منهم في فتنة شمعون بار كوخبا **שמעון בר כוכבא** الذي ثار، وحاول إقامة دولة يهوديّة في فلسطين في القرن الثاني الميلادي (بعد المسيح). وكتب الفيلسوف والفقيه اليهودي الأشهر في العصور الوسطى موسى بن ميمون -في سياق بيان أنّه لا يُشترط للإيمان بالمسيح الرئيس أن يكون صاحب معجزات-[3]:

يمكن تقديم دليل على ذلك من حقيقة أن الحاخام عكيفا [٤٠-١٣٧م] -أحد حكماء المشناه العظماء- كان أحد مؤيدي الملك بار كوزيبا[4]، وكان يصفه بأنّه الملك المسيّاني. **اعتبره هو وجميع حكماء جيله الملك المسيح** حتى قُتل بسبب الخطايا.

שֶׁהֲרֵי רַבִּי עֲקִיבָא חָכָם גָּדוֹל מֵחַכְמֵי מִשְׁנָה הָיָה. וְהוּא הָיָה נוֹשֵׂא כֵּלָיו שֶׁל בֶּן כּוֹזִיבָא הַמֶּלֶךְ. וְהוּא הָיָה אוֹמֵר עָלָיו שֶׁהוּא הַמֶּלֶךְ הַמָּשִׁיחַ. **וְדִמָּה הוּא וְכָל חַכְמֵי דּוֹרוֹ שֶׁהוּא הַמֶּלֶךְ הַמָּשִׁיחַ.** עַד שֶׁנֶּהֱרַג בַּעֲוֹנוֹת.

(١) دافيد أون David Aune (١٩٣٩-): أستاذ العهد الجديد وأصول المسيحية في جامعة نوتردام.

(2) David Aune, Prophecy in Early Christianity and the Ancient Mediterranean World (Grand Rapids: Eerdmans, 1983), p.103.

(3) Maimonides, Mishneh Torah, Sefer Shoftim, Melachim, Milchamot, 11.3.

(٤) أي بار كوخبا.

وانتظار اليهود لهذا النبيّ ثابت أيضًا عصر البعثة المحمّدية؛ فقد جاء في القرآن: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، أي إنّ اليهود المجاورين للعرب زمن البعثة، كانوا ينتظرون ظهور نبيّ ينصرهم على أعدائهم، ويُعيد عِزَّهم. قال أبو العالية التابعيّ (توفي حوالي ٩٠هـ): «كانَتِ الْيَهُودُ تَسْتَنْصِرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ابْعَثْ هَذَا النَّبِيَّ الَّذِي نَجِدُهُ مَكْتُوبًا عِنْدَنَا حَتَّى يُعَذِّبَ الْمُشْرِكِينَ وَيَقْتُلُهُمْ. فَلَمَّا بَعَثَ الله مُحَمَّدًا وَرَأَوْا أَنَّهُ مِنْ غَيْرِهِمْ كَفَرُوا بِهِ حَسَدًا لِلْعَرَبِ»[1].

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م)، ٢/ ٢٤٠.

الفصل الخامس
لا نبي بعد المسيح المنتظر

يقول النصراني المعترض: إذا كان يسوع هو المسيح الذي كان اليهود ينتظرونه؛ فلا معنى لبعثة نبيّ بعده!

وجواب الاعتراض السابق -باختصار-، من أوجه:

الوجه الأول: على مذهب اليهود، «المسيح المنتظر» لم يأت بعد؛ فيسقط الاعتراض السابق، وعلى مذهب النصارى يظهر الإشكال إن سلّمنا أنّ المسيحانيّة تقتضي انقطاع النبوّة. ولم يكشف لنا المعترض سبب وجوب انقطاع النبوّة بعد ظهور «المسيح المنتظر».

الوجه الثاني: إن زعم المعترض أنّ ظهور «المسيح المنتظر» موجب لانقطاع النبوّة؛ لأنّه بظهوره يأتي الخلاص النهائي للبشريّة، وتنقطع الحاجة إلى طلب هداة للبشريّة؛ فجوابه أنّ الأناجيل نفسها مخبرة عن أنبياء في القرن الأول بعد المسيح -كما سبق بيانه-. كما أنّنا نعلم أنّه لمّا ظهر يسوع لم يأتِ الخلاص النهائي الذي يرفع عن البشريّة الحاجة إلى وحي جديد، ولم يأت السلام العالمي الموعود.

وقد عرّف معجم «معجم JPS للكلمات اليهوديّة» «العصر المسيحاني» أنّه «الوقت الموعود والمتوقّع للسّلام العالمي في المستقبل. يقال إنّه في العصر المسيحاني، سيعود الناس إلى التوراة وأرض إسرائيل، وسيُعاد بناء الهيكل في أورشليم، وستنتهي الحرب والمجاعة، وسيأتي عصر سلام وازدهار على الأرض»[1]. وهو ملخّص جيّد لحقيقة

---

(1)J. Eisenberg and E. Scolnic, *The JPS dictionary of Jewish* (Philadelphia, PA: Jewish Publication Society, 2001), p.105.

منجزات المسيح المنتظر. وهو ما يظهر في الأناجيل في شأن الصفات التي كان ينتظرها اليهود في مسيحهم المنتظر. ولم يظهر بظهور يسوع العصر المسيحاني. وليس في خبر اليهود عن هذا العصر أنّه سيظهر في العودة الثانية للمسيح؛ فإنّ التراث اليهودي صريح في أنّ المسيح المنتظر سيظهر مرّة واحدة فقط يأتي معها العصر المسيحاني.

الوجه الثالث: كلمة «المسيح» من العبرية [هماشيح] "הַמָּשִׁיחַ". وهي من فعل «مسح» "משח" [ماشح] العبري. ومن أهم استعمالاتها الإشارة إلى «أيّ شخص معيّن بصورة إلهيّة لمهمّة تؤثر على مصير الشعب المختار»[1].

وقد كان عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مسيحًا من المسحاء، كداود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ جعله الله هاديًا ومبشّرًا ونذيرًا. ولذلك يقترن لقب المسيح في القرآن عادة بعبارة «ابن مريم»؛ دلالة على أنّه واحد من المسحاء؛ فهو المسيح المولود من مريم عليها السلام. وليس في القرآن أو السنّة النبويّة أيّ إشارة إلى أنّه «المسيح المنتظر».

الوجه الرابع: التراث اليهودي الذي يستدلّ به النصرانيّ علينا لإثبات أنّ يسوع هو «المسيح المنتظر»، في حقيقته قاطع أنّ يسوع ليس هو هذا الموعود.

يقول موسى بن ميمون، في مشناه توراة، التي تُعدّ من أهم الكتب المرجعية عند اليهود، مختصِرًا صفات المسيح المنتظر[2]:

(1) P. J. Achtemeier, *Harper's Bible Dictionary*, p.630.

(2) Maimonides, *Mishneh Torah*, Sefer Shoftim, Melachim, Milchamot, 11.1.

سيظهر الملك المسيح ويستعيد مملكة داود القديمة إلى سيادتها الأولى. وسيبني الهيكل ويجمع منفيي اسرائيل. ثم، في أيامه، سيعود احترام جميع الشرائع كما كان الأمر سابقًا. سنقدّم الذبائح والأضاحي، ونحفظ أيام السبت وأعياد اليوبيل حسب كل تفاصيلها كما هي مذكورة في التوراة.

הַמֶּלֶךְ הַמָּשִׁיחַ עָתִיד לַעֲמֹד וּלְהַחֲזִיר מַלְכוּת דָּוִד לְיָשְׁנָהּ לַמֶּמְשָׁלָה הָרִאשׁוֹנָה. וּבוֹנֶה הַמִּקְדָּשׁ וּמְקַבֵּץ נִדְחֵי יִשְׂרָאֵל. וְחוֹזְרִין כָּל הַמִּשְׁפָּטִים בְּיָמָיו כְּשֶׁהָיוּ מִקֹּדֶם. מַקְרִיבִין קָרְבָּנוֹת. וְעוֹשִׂין שְׁמִטִּין וְיוֹבְלוֹת כְּכָל מִצְוָתָן הָאֲמוּרָה בַּתּוֹרָה.

وأضاف قائلًا[1]:

إذا نشأ ملك من بيت داود يفكر بجديّة في الشريعة، والالتزام بالوصايا بحسب التوراة المكتوبة والشفوية كداود سلفه، ويجبر إسرائيل على السير في (طريق التوراة) وإصلاح القصور في ذلك، ويقيم الحروب في سبيل الله؛ فمن الممكن بكلّ تأكيد أن نعتبره المسيح.

إذا نجح في ما سبق،

וְאִם יַעֲמֹד מֶלֶךְ מִבֵּית דָּוִד הוֹגֶה בַּתּוֹרָה וְעוֹסֵק בְּמִצְוֹת כְּדָוִד אָבִיו. כְּפִי תּוֹרָה שֶׁבִּכְתָב וְשֶׁבְּעַל פֶּה. וְיָכֹף כָּל יִשְׂרָאֵל לֵילֵךְ בָּהּ וּלְחַזֵּק בִּדְקָהּ. וְיִלָּחֵם מִלְחֲמוֹת ה'. הֲרֵי זֶה בְּחֶזְקַת שֶׁהוּא מָשִׁיחַ. (אִם עָשָׂה וְהִצְלִיחַ וּבָנָה מִקְדָּשׁ בִּמְקוֹמוֹ וְקִבֵּץ נִדְחֵי יִשְׂרָאֵל הֲרֵי זֶה מָשִׁיחַ בְּוַדַּאי. וִיתַקֵּן אֶת הָעוֹלָם כֻּלּוֹ לַעֲבֹד אֶת ה' בְּיַחַד

(1) Maimonides, *Mishneh Torah*, Sefer Shoftim, Melachim, Milchamot, 11.٤.

وبنى الهيكل في مكانه، وجمع المشتتين من إسرائيل، فهو بالتأكيد المسيح. سيطوّر بعد ذلك العالم بأسره، ويحفّز جميع الأمم على خدمة الله معًا.

ثم قال عن يسوع الكنيسة[(١)]:

تحدّث جميع الأنبياء عن المسيح على أنه مخلّص إسرائيل الذي سيجمع المشتتين ويقوي احترامهم للوصايا. في المقابل، تسببت المسيحية في قتل اليهود بالسيف، وشتات بقاياهم وذلّهم، وتغيير التوراة، وأخطأ غالبية العالم وخدموا إلهًا غير الرب.

שֶׁכָּל הַנְּבִיאִים דִּבְּרוּ שֶׁהַמָּשִׁיחַ גּוֹאֵל יִשְׂרָאֵל וּמוֹשִׁיעָם, וּמְקַבֵּץ נִדְחֵיהֶם וּמְחַזֵּק מִצְוֹתָן, וְזֶה גָּרַם לְאַבֵּד יִשְׂרָאֵל בַּחֶרֶב, וּלְפַזֵּר שְׁאֵרִיתָם וּלְהַשְׁפִּילָם, וּלְהַחֲלִיף הַתּוֹרָה, וּלְהַטְעוֹת רוֹב הָעוֹלָם לַעֲבֹד אֱלוֹהַ מִבַּלְעֲדֵי ה'.

وملخّص الكلام: يسوع الأناجيل أبعد الناس عن صفات «المسيح المنتظر» عند اليهود، وإن اشترك النصارى مع اليهود في الاستدلال بالنصوص نفسها -تقريبًا-[(٢)] في البشارة به.

---

(1) Ibid.

(٢) قائمة النصوص التوراتية عند اليهود أوسع؛ لولع اليهود بربط كلّ شيء بالمسيح المنتظر (٤٥٦ نبوءة في التناخ/ العهد القديم). وأضاف النصارى نصوصًا أخرى ليست عند اليهود.

انظر في النبوءات المسيحانية المزعومة في الأدبيات الحاخامية:

Edersheim, *Life and Times of Jesus* (New York: Longmans, Green, 1906), Appendix ٩.

مسيح اليهود	يسوع النصارى
المسيح المنتظر من نسل داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. والنسب عند اليهود يُحدّد من جهة الأب لا الأم. (إرمياء ٣٣/ ١٧، ٢ صموئيل ٧/ ١٢-١٦).	يسوع ليس له أب. يسوع من نسل يهوياقيم (كما يُفهم من متّى ١/ ١١). والتوراة تمنع أن يجلس على كرسيّ داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أحد من نسل يهوياقيم (سِفر إرمياء ٣٦/ ٣٠).
يُعظّم التوحيد وعبادة إله إسرائيل. ويؤمن العالم بسببه بالإله الحق الأحد (إشعياء ٢/ ٣، ١١/ ١٠، ميخا ٤/ ٢-٣).	ألّه نفسه، ودعا إلى الشرك (التثليث).
عند ظهوره تجتمع كلّ الأمم على معرفة الإله الواحد وعبادته. (إشعياء ١١/ ٩، ٤٥/ ٢٣، ٥٤/ ١٣، ٦٦/ ١٨-١٩، إرمياء ٣/ ١٧، حزقيال ٣٨/ ٢٣، زكريا ٨/ ٢٠-٢٣).	نشرت النصرانية عقيدة التثليث في أنحاء الأرض.
يتّبع التوراة ويأمر بالعمل بها (إشعياء ١١/ ٢-٥، إرمياء ٣٣/ ١٥، حزقيال ١١/ ٢٠، ٣٦/ ٢٧).	ألغى بموته الكفاريّ العمل بالتوراة (رسالة بولس إلى غلاطية ٢/ ١٦).
بطل قوميّ، يتّبعه بنو إسرائيل. (٢صموئيل ٧/ ١١)	لم يتّبع بنو إسرائيل يسوع. «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ». (يوحنا ١/ ١١). لم يخض يسوع حروبًا.
يجمع شمل اليهود المشتتين في الأرض في «أرض إسرائيل». (إشعياء ٢٧/ ١٢-١٣، ١١/ ١٢).	عاش بنو إسرائيل في ذلّ زمن المسيح. عاش يسوع في ظل الدولة الرومانية. وطالب بدفع الجزية لها؛ قائلًا: «أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ» (مرقس١٢/ ١٧).

ستستمر مملكته الأرضية إلى الأبد. (٢ صموئيل ٧/ ١٣).	ليس للمسيح مملكة أرضية؛ فهو القائل: «مملكتي ليست من هذا العالم» (يوحنا ١٨/ ٣٦).
يبني الهيكل في أورشليم (إشعياء ٢/ ٢، إرمياء ٣٣/ ١٨، ميخا ٤/ ١).	لم يبنِ هيكلًا.
يعرف العالم السلام النهائي عند ظهوره وبعده. (إشعياء ٢/ ٤، ١١/ ٦، ميخا ٤/ ٣، هوشع ٢/ ٢٠).	أعظم الحروب في تاريخ البشرية ظهرت بعد عصر يسوع.
عند ظهور المسيح، سيتوّقف الناس عن ارتكاب الذنوب. (إرمياء ٥٠/ ٢٠، حزقيال ٣٦/ ٢١).	معتقد الكنيسة أنّ الإنسان خاطئ، ولا سبيل لصلاحه (رسالة بولس إلى روما، وإلى غلاطية).

خلاصة الأمر أنّ الإيمان بفكرة «المسيح المنتظر» اليهوديّة، يُفضي إلى الإيمان أنّ يسوع مسيح مزيّف. وليس على المسلم أن يسلك طريق اليهود في اتّهام عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنّه مسيح مزيّف، ولا متابعة النصارى أنّه المسيح المنتظر عند اليهود. وإنّما للمسلم أن يقف واحدًا من موقفين:

الموقف الأول: الإيمان أنّ الأنبياء قد بشّروا بالمسيح الرئيس المنتظر، لكنّهم حرّفوا خبره؛ فأضافوا إلى صفاته ما يجعله مخلّص اليهود من الذلّ، ومَنْ يُعيد بناء الهيكل... وليس في ذلك حرج؛ فإنّ الكتاب محرّف، ولا شكّ في ذلك.

الموقف الثاني: القول إنّ مسألة «المسيح الرئيس» برمّتها، أكذوبة يهوديّة دخلت التراث اليهودي في عصر الذلّ والاستضعاف، أو قبل ذلك؛ طلبًا لبقاء ملك داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلى الأبد[1]. ودفعت هذه الأمنية اليهود إلى تفسير كثير من النصوص بغير ما تدلّ عليه، مع

---

(١) يقول د. محمد خليفة عن عقيدة «المسيحانية»: «عقيدة نشأت لعوامل سياسية معروفة في التاريخ الإسرائيلي القديم، ولكنّها تحوّلت بعد زوال هذه العوامل السياسية إلى عقيدة دينية ثابتة من عقائد اليهودية؛ فقد أدّى انقسام مملكة داود وسليمان المتحدة إلى مملكتين شمالية وجنوبية، ثم سقوط هاتين المملكتين؛ الأولى في يد الآشوريين، والثانية في يد البابليين .. أدى هذا إلى نشأة وتبلور فكرة سياسية صُبغت صبغة دينية في زمن =

إهمال السياق بصورة واضحة. وهذا يعني أنّ عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ليس «المسيح المنتظر»، وإنّما هو مسيح من المسحاء؛ ولذلك اقترنت تسميته «بالمسيح» في القرآن -عادة- باسمه وببنوّته لأمّه «المسيح عيسى ابن مريم» أو ببنوّته لأمّه فقط -وهو الغالب- «المسيح ابن مريم».. فهو مسيح كبقيّة المسحاء. وهذا هو الأرجح، في حدود ما يُستنبط مما بين أيدينا من نصوص يهوديّة وتراث شفهي يهوديّ.

=السبي البابلي هدفها تعويض سقوط المملكة الأرضية، وجعل الأمل في إمكانية بعثها في المستقبل باقيا. وهذه الفكرة السياسية الدينية سميت بالمسيحانية. وهي فكرة غيبية حشرية تقوم على أساس الاعتقاد في قدوم مسيح مخلّص وظيفته السياسية تحقق الخلاص القومي لشعبه» (خليفة، ظاهرة النبوة الإسرائيلية، القاهرة: دار الزهراء، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ٨٣).

الفصل السادس
بشارات لم تهدِ أحدًا!

يقول بعض المنصّرين إنّ البشارات التي يحيل إليها المسلمون في كتبهم من الكتاب المقدس ليست حجّة؛ لأنّه لا يُعرف أنّ أحدًا من اليهود أو النصارى قد أَسْلَمَ بسببها.. إنّها تأويلات مُتعسّفة لا يرضاها كلُّ من يعرف الكتاب المقدّس!

قلتُ: ليس في هذه الدعوى استقراء للواقع، وإنما هي مجرّد تقوّل على التاريخ:

أولا: طبيعة البشارات النبويّة أنّها تخبر عن النبيّ القادم بصورة لا تمنع من لم يطلب الحقّ أن يكذّبه؛ فإنّ الإيمان بالأنبياء، اختبارٌ يُمْتَحَنُ به الناس. ومن طبائع الاختبارات أنّها لا تَقْهَرُ الإرادة على الاختيار، وإنّما تفتحُ للحقّ والباطل بابَيْنِ. وكُلٌّ يعمل على شاكِلَتِه. قال أبو الحسن العامريّ[1]: «ولن يجوز أن تكون ألفاظ البشارة به واقعة فيها على التصريح والإفصاح؛ لأنّها لو وقعت على ذلك لما تبيّن عند ظهوره منزلةُ العاقل والغبيّ، ودرجة المجتهد من المقصّر. وليس يُشكّ أنّها متى وقعت مرموزةً فهي لا محالة تصير معرّضةً للتأويلات. وكلُّ قول كان عرضة لها؛ فإنّ مسلك التلبيس فيه، وإيراد اللّبس عليه، لن يكون شاقًّا على الخبّ الفَطِن»[2].

ثانيا: كان رسول الله ﷺ يقول لليهود: «يا معشر اليهود، ويلكم، اتقوا اللهَ، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنّكم لتعلمون أنّي رسول الله حقًّا، وأني جئتُكم بحقٍّ، فأسلِموا»[3]. وقد أَسْلَمَ

---

(١) أبو الحسن العامري (؟-٣٨١هـ/ ٩٩٢م): فيلسوف نيسابوري، متعدد المعارف.

(٢) أبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، ص٢٠٢.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، (ح/ ٣٩١١).

منهم جماعةٌ. وقال الحبر اليهوديّ الذي أسلم زمن البعثة، عبد الله بن سلام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «يا معشر اليهود اتّقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنّكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحقّ»[1].

وقد استقرأ ابنُ تيمية موقف أهل الكتاب من بعثة الرسول ﷺ في كتب التراث، وانتهى إلى تقرير أنّ «الأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد ﷺ عندهم في الكتب المتقدمة متواترة عنهم»[2].

ثالثا: أفضل ما كُتب في البشارة بمحمّد ﷺ، صدر عن قساوسةٍ أسلموا. وعلى رأس هذه المؤلّفات، كتاب القسيس الكلداني داود بنيامين كلداني[3] (عبد الأحد داود، بعد إسلامه) «محمّد في الكتاب المقدس» الذي تتبّع البشارات في النص بلغتَيْهِ العِبرية واليونانية، بصورة علميّة شائقة. ولم يُكتب في المكتبة الإسلامية كتابٌ يُوازِيه جودةً، رغم كثرة المؤلّفات في هذا الباب.

كما أَلَّف القسيس المصريّ سكرتير عام الإرساليات الأمريكية بأسوان إبراهيم خليل فيلبس[4] كتابه القيّم: «محمد في التوراة والإنجيل والقرآن»، مع مؤلّفات أخرى له مهمّة أفاد بها المكتبة العربية.

وكتب م.هـ. دورّاني –رئيس المرشدين الدينيّين في "St. Mary's Church"، في كويتا

---

(١) الحديث السابق.

(٢) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ٢/ ٣٦٦.

(٣) وُلِدَ سنة ١٨٦٧. أرسله الكاردينال فوجان إلى روما حيث تلقّى تعليمًا في الدراسات الفلسفية واللاهوتية في كلية Propaganda Fide. ثم رُسّم كاهنًا. نشر عدّة مقالات علمية في مجلّات دينيّة مختلفة. انتدبه كبار رجال الدين من الكلدان لتمثيل الكاثوليك الشرقيين في مؤتمر عقد في فرنسا. استقال سنة ١٩٠٠ من كنيسته، وسافر إلى بريطانيا حيث انضمّ سنة ١٩٠٤ إلى كنيسة الموحدين (المنكرة للتثليث). وفي طريق عودته إلى إيران، التقى بعدد من علماء الإسلام. وقد أسلم بعد مناظرتهم. (عبد الأحد داود، محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، تعريب: محمد فاروق الزين، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، مقدمة المعرّب.)

(٤) إبراهيم خليل فليبس: (ولد سنة ١٩١٩م في الاسكندرية، مصر) كان مدرّسا في كليّة اللاهوت في مصر قبل إسلامه.

باكستان، والحاصل على الدكتوراه في اللاهوت- كتابه «محمّد ﷺ: النبيّ الكتابيّ» "Muhammad (S.A.W.): The Biblical prophet"[1].

ومن الظريف في هذا الشأن قصة الدكتور أحمد حجازي السقّا وتخصّصه في موضوع البشارات بالنبوة الخاتمة منذ مرحلة الدكتوراه وإلى وفاته، وهو أغزر الكُتّاب تأليفًا في هذا الباب. فقد قال في كتابه «البشارة بنبيّ الإسلام في التوراة والإنجيل» -وهو أطروحته للدكتوراه-: «كنت أُعِدُّ رسالة الدكتوراه في كليّة أصول الدين - جامعة الأزهر - في موضوع «مجلّة الأزهر وأثرها في الدعوة الإسلامية» في سنة ١٩٧٣م وذات يوم التقيتُ بـ «قمص» نصرانيّ ظنّ أنّي نصرانيٌّ مثله، لأنّي كنت أقرأ في الكتاب المقدّس وأَحْمِلُ منه نسخةً أخرى لصديقٍ لي .

فسألني قائلًا: أَتَعْرِفُ أنَّ الإصحاح الثامن من سِفر دانيال النبيّ يُشير إلى معركةِ سنة ١٩٦٧م التي حدثتْ بين المسلمين وبين اليهود في أرض فلسطين؟

قلتُ: قد قرأتُ ذلك في كتاب «إظهار الحق» ولكنّي لم أدرس جيّدًا.

قال: أُحِبُّ أن أَطَّلِعَ عليه!

ونزلنا من القطار إلى منزل الشيخ حامد عبد الحميد إبراهيم قلبه، في محطة المطريّة بمصر.

وفي الطريق سألتُه: أَمُحَمَّدٌ نبيُّ المسلمين لا يشير إليه الكتاب المقدّس؟

قال: يُشير إليه في آيات كثيرة.

ثم سرد لي كثيرًا من هذه الآيات.

---

(١) م.هـ. دورّاني: M.H.Durrani قسيس سابق. تمّ تنصيره لمّا كان صغيرا. انتقل إلى انجلترا وبقي لفترة طويلة يعمل كقسيس إنجليكاني (من ١٩٣٩م- ١٩٦٣م). ذكر قصّة إسلامه في كتيب بعنوان: "Islam - The Light of My Life".

له عدد من المؤلفات في الردّ على النصارى والقاديانية .. منها:

Forgotten Gospel of St. Barnabas

Muhammad (S.A.W.): The Biblical prophet

The Quranic Facts about Jesus

An advisory study on infallibility of prophets

Fallacy of Mirza Ghulam Ahmad Qadiani

وفي منزل هذا الشيخ الذي كنت نازلًا عليه ضيفًا، قرأ ما أراد. ثم انصرف مندهشا لمّا عرف أنّي مسلم فيما بعد.

وكان بين الشيخ وبين أستاذنا صاحب الفضيلة الدكتور الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة موعد آخر النهار، فاصطحبني معه. وقصَصْنا عليه ما حدث فتبسّم ضاحكًا وقال: «يعرفونه كما يعرفون أبناءَهم» وكرَّرها كثيرًا. ثم قال: «وددتُ لو يكتبُ أحدٌ رسالةً في موضوع: «البشارة بنبيّ الإسلام في التوراة والإنجيل» فشرح الله صدري للّذي قال. وتنازلتُ عن الموضوع الأول. وأشرف هو عليه وساعدني فيه كثيرًا.

ومن عجيبِ المصادفات أنّني التقيتُ بهذا القمص، واسمه جرجس سلمون فيلمون، **وكيل الدير المحرق في القوصية بأسيوط**، في مسجد الجامع الأزهر بعد سنتَيْنِ من الزّمان في حُجْرة الأساتذة وذكر لي نُصوصا أخرى»[1].

---

(١) أحمد حجازي السقا، البشارة بنبيّ الإسلام في التوراة والإنجيل (القاهرة: دار البيان، ١٩٧٧)، ص٤٥-٤٦.

الفصل السابع
نبوءات، لكنّها غامضة!

يُكثِر النصارى الاعتراض على فهم المسلمين لنصوص الكتاب المقدس التي يرونها بشارات بنبيّهم ﷺ، بالقول إنّها غير صريحة، ولا بيّنة الدلالة؛ بما يجعل الاستدلال بها -ضرورة- فاسدًا.

ونحن، وإن لم نسلّم لهم أنّ هذه النصوص ليست على هذه الصورة التي يدّعونها من جهة الدلالة؛ فإنّنا نُذكّرهم أنّ هذا الشرط الذي وضعوه، حُجّة عليهم في حديثهم عن دلالات بشارات العهد القديم بيحيى وعيسى عليهما السلام؛ فإنّ اليهود في القدس قد أرسلوا إلى يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليسألوه: «مَنْ أَنْتَ؟». ولمّا سألوه؛ أَنْكَرَ أن يكون المسيحَ. فَسَأَلُوهُ: «مَاذَا إِذَنْ؟ هَلْ أَنْتَ إِيلِيَّا؟» قَالَ: «لَسْتُ إِيَّاهُ!»؛ «أَوَ أَنْتَ النَّبِيُّ؟» فَأَجَابَ: «لاَ!» فَقَالُوا: «فَمَنْ أَنْتَ، لِنَحْمِلَ الْجَوَابَ إلى الَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟ فَقَالَ «أَنَا صَوْتُ مُنَادٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: اجْعَلُوا الطَّرِيقَ مُسْتَقِيمَةً أَمَامَ الرَّبِّ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ إِشَعْيَاءُ!» (يوحنّا ١/ ١٩-٢٣).

ونص إشعياء ٤٠/ ٣ الذي أحال إليه المعمدان: «صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: «أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوِّمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلاً لإِلَهِنَا». غامضٌ، وحَمْلُه على يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ليس عليه دليلٌ قاطِعٌ؛ ولذلك لم يفهم اليهود في عصره أنّه نصٌّ يبشّر يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. كما أنّ الجماعة القمرانية التي عاش بعضها قبل المسيح بقرنين كانت تنسب نصَّ إشعياء السابق إلى حالها كما هو مذكور في كتابها «قانون الجماعة» "Community Rule"!

وجَهِلَ الحواريُّون -أيضًا- انطباق النبوءات الخاصة بـ «إيليا» على يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقد جاء في إنجيل متّى ١٧/ ٩- ١٣: «وَفِيمَا هُمْ نَازِلُونَ مِنَ الْجَبَلِ، أَوْصَاهُمْ يَسُوعُ قَائِلًا:

«لَا تُخْبِرُوا أَحَدًا بِمَا رَأَيْتُمْ حَتَّى يَقُومَ ابن الإنسان مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ فَسَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ: «لِمَاذَا إِذَنْ يَقُولُ الْكَتَبَةُ إِنَّ إِيلِيَّا لَابُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَبْلًا؟» فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا: «حَقًّا، إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي قَبْلًا وَيُصْلِحُ كُلَّ شَيْءٍ. عَلَى أَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: قَدْ جَاءَ إِيلِيَّا، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ، بَلْ فَعَلُوا بِهِ كُلَّ مَا شَاءُوا. كَذَلِكَ ابن الإنسان أَيْضًا عَلَى وَشْكِ أَنْ يَتَأَلَّمَ عَلَى أَيْدِيهِمْ». عِنْدَئِذٍ فَهِمَ التَّلَامِيذُ أَنَّهُ كَلَّمَهُمْ عَنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ».

بل ها هو نبي من أنبياء الله يعلن عدم معرفته بحقيقة النبوءات المتعلقة بالمسيح (إلهه!). فقد جاء في إنجيل يوحنّا ١ / ٣٣ أن يوحنّا المعمدان قال: «وَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ، وَلكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ هُوَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ يَنْزِلُ وَيَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ هُوَ الَّذِي سَيُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ».

ونحن نقول إلى النصارى: أإذا عجز المعمدان عن فهم البشارات الخاصة بعيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ -إلهه!-، فترة من الزمان، ولم يطعن ذلك في صدقها[1].. فهل يطعن عدم فهم النصارى للنبوءات الخاصة بمقدم النبي الخاتم المنطبقة على محمد ﷺ؟!

---

(١) نحن نُظهِر هذا القول من باب التنزّل في الحوار، وإلّا فالحقيقة هي أنّ التوراة لم تتنبّأ ببعثة ابن مريم عليه السلام.

الفصل الثامن
البشارات بين التحريف والتدليس

يقول النصراني المعترض: كل دعاوى البشارات عن نبي الإسلام في الكتاب المقدس، ضعيفة، وفاسدة؛ لا تراعي لغة ولا تراعي دلالات السياق!

وجواب هذا الاعتراض مُضَمَّنٌ في بقيّة كتابنا هذا؛ فإنّ حديثنا سيكون في عامّته عَرْضًا لمعارضات النصارى في شأن البشارات، والردود عليها. وقبل ذلك نحن ندعو القارئ النصراني إلى أن يكون مُنصِفًا، وألّا يَزِنَ الحقَّ بميزان التُّهمة لنا والبراءة لقومه؛ وإنّما عليه أن يلتزم المعايير النقديّة نفسَها في الحكم على بشارات العهد القديم بيسوع، وبشارات الكتاب المقدس بمحمّد ﷺ.

وقولنا في بشارات العهد القديم بيسوع المسيح، واضح لا لبس فيه؛ فإنها كلّها نصوصٌ لا علاقة لها بالإنباء عن ظهور يسوع المسيح، بل إنّ بعضها كان مصدرًا لتزوير قصّة يسوع المسيح نفسها؛ فقد نبّه بعض النقّاد إلى طابع عجيب في بعض النبوءات المزعومة عن المسيح، وهي أنّها لا تخبر عن ظهور المسيح من قبل، وإنّما تمّت صناعة قصّة المسيح كما في الأناجيل بوحي من تلك النصوص القديمة التي لا تمّت للمسيح بصلة؛ ومن ذلك ما ذهب إليه كيلباترك Kilpatrick وسلتو Soltau وفاجانَي Vaganay من أنّ تلك النبوءات المزعومة أنشأت قصة طفولة المسيح[١]. وذهب الناقد جون دومينيك كروسان إلى أنّ «نبوءات» الصَّلْب والقيامة هي التي صَنَعَ منها النصارى تفاصيل صلب المسيح وقيامته من

---

(١) Raymond E Brown, *The Birth of the Messiah: a commentary on the infancy narratives in the Gospels of Matthew and Luke* (New York: Doubleday, 1993), p.99.

الموت، وإن لم تكن في حقيقتها نبوءاتٍ بالمعنى الصحيح[1]. أي إنّ أصحاب الأناجيل قد أرادوا إثبات إنباء العهد القديم بظهور يسوع؛ فعَمَدوا إلى بعض النصوص التي لا تَعَلُّق لها البتّة بالإنباء بالغيب أو التي لا تتحدّث عن ظهورِ إلهٍ أو نبيّ في فلسطين؛ فنَسَجُوا منها بعض تفاصيلَ قصّة ميلادِ المسيح أو صَلْبِه وقيامته من الموت؛ للإيهام بأنّ العهد القديم قد تنبّأ بأمر يسوع. على أنّ الوجه الأبرز لتلفيق البشارات بيسوع، ربط قصّة المسيح الإنجيليّة بنصوص توراتيّة دون أدنى رابط معقول، مع تحريف النص المقتبَس في كثير من الأحيان.

وقد ذكرنا لك أنّنا سندرس كلّ البشارات التي يَدَّعيها كَتَبَةُ العهد الجديد في العهد القديم -بعون الله- في كتابٍ آخرَ غير هذا. ولذلك سنكتفي هنا بالإشارة إلى بعض أوجه التحريف والتدليس والمغالطة في النُّبوءات التي جاءَ في العهد الجديد أنّها وردت في العهد القديم؛ إنباءً عن يسوع ودعوته وسيرته، مع استذكار الدّعوى العريضة للقمّص عبد المسيح بسيط: «كانت جميع نبوات العهد القديم عن المسيح المنتظر وتمّت جميعها في شخص وعمل الربُّ يسوع المسيح تفصيلًا وبكلّ دقّة»!

البشارة الأولى: الناصري!

متّى ٢/ ١٩-٢٣: «فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ قَائِلًا: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ». فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. وَلكِنْ لَمَّا سَمِعَ أَنَّ أَرْخِيلاَوُسَ يَمْلِكُ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ عِوَضًا عَنْ هِيرُودُسَ أَبِيهِ، خَافَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ. وَإِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي حُلْمٍ، انْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي الْجَلِيلِ. وَأَتَى وَسَكَنَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيًّا»».

يُخبرنا مؤلّف إنجيل متّى أنّ يوسف النجّار الذي أخذ يسوع الوليد، وفَرَّ به من هيرودس حاكم منطقة اليهودية Judea الذي كان يريد قتله، عاد لاحقًا إلى فلسطين، وسكن الناصرة مع المسيح؛ وبذلك تحققت نبوءة التوراة أنّ المسيح المنتظر سيكون ناصريًّا؛ لأنّه سكن الناصرة.

---

(1) John Dominic Crossan, *Who killed Jesus?: exposing the roots of anti-semitism in the Gospel story of the death of Jesus* (San Francisco: HarperSanFrancisco, 1996).

(٢) عبد المسيح بسيط، هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبي آخر يأتي بعد المسيح؟، نسخة إلكترونية.

الإشكالات:

الإشكال الأول: لم تُذكر الناصرة في العهد القديم البتة، وهو ما اعترفت به ترجمة "The New American Bible" –أهم ترجمة كاثوليكية اليوم–، بقولها: «لم تُذكر قرية الناصرة في العهد القديم، ولم يُعثر على مثل هذه النبوءة فيه»(١).

الإشكال الثاني: لا توجد في العهد القديم أدنى إحالة إلى ما ادّعاه مؤلّف إنجيل متى، ولذلك اعترف أعلام الكنيسة بالإشكال هنا:

من القدماء:

- قال قديس الكنيسة يوحنّا ذهبى الفم(٢) إنّ هذه النبوءة غير موجودة في العهد القديم. وزعم لذلك –ودون برهان– أنها نبوءة موجودة في أحد الأسفار المقدسة الضائعة!(٣) وهو مذهب كُتّابٍ قدامى آخرين مثل ثيوفيلاكت وكليرِكوس(٤). كما أقرّ إيفال(٥) أنها غير موجودة في العهد القديم؛ ولذلك نسبها إلى سِفرٍ أبوكريفي!(٦)

ومن المعاصرين:

- قال الأب الكاثوليكى المفسّر ريموند براون(٧): «سيُدعى ناصريًّا: هو أصعب اقتباس في الإنجيل؛ إذ إنّه ليس هناك خلافٌ أنّه غير مرتبط بنصّ معلوم»(٨).

---

(1) The New American Bible, Saint Joseph Edition (California: Benziger Publishing Company, 1971), p.13.

(٢) يوحنا ذهبي الفم Ἰωάννης ὁ Χρυσόστομος (٣٤٧–٤٠٧): بطريرك القسطنطينية وأحد أهم آباء الكنيسة وقديسيها. سُمّي "ذهبى الفم" لبلاغته.

(3) Saint Chrysostom, *Homilies of the Gospel of Saint Matthew*, Homily IX.

(4) John McClintock and James Strong, *Cyclopaedia of Biblical, theological, and ecclesiastical literature* (New York: Harper & Brothers, 1894), 6/873.

(٥) جورج هينريتش إيفال Georg Heinrich Ewald (١٨٠٣–١٨٧٥): لاهوتي ومفسّر ألماني. درّس اللاهوت في جامعة توبنجن.

(6) Ibid.

(٧) ريموند براون (١٩٢٨–١٩٩٨): قسيس كاثوليكي وناقد كتابي ومفسّر شهير. من أبرز العلماء الكاثوليك في القرن العشرين. درّس في Union Theological Seminary.

(8) Raymond Brown, *The Birth of the Messiah*, p.223.

- قال المفسّر وليم باركلي[١] في شرحه لإنجيل متّى: «وضَعَنا متّى هنا أمام مشكلةٍ لا حلّ لها، ذلك لأنه لا يوجد عددٌ في العهد القديم بهذا المعنى. في الحقيقة، مدينة الناصرة نفسُها غير مذكورة على الإطلاق في العهد القديم. **لم يستطع أحدٌ أن يحلّ بشكلٍ مُرْضٍ مشكلة نصِّ العهد القديم الذي كان في ذِهْن متّى**»[٢].
- ذُكر جون فنتون[٣] في تفسيره لإنجيل متّى أنّ النقاد مُتّفقون على «أنّ مصدر هذه النّبوءة غير معلوم»[٤].
- قال المعلّقون على ترجمة دار المشرق: «يصعب علينا أن نعرف بدقّةٍ ما هو النصّ الذي يستند إليه متَّى»[٥].
- قال المفسّر أولشاوسن[٦]: «لا يوجد أيُّ مقطع في العهد القديم يُدْعى فيه المسيح بذلك، ومعنى هذه الإشارة غامض»[٧].
- قال المفسّر ألبرت بارنز[٨]: «لم يتمَّ العثور على الكلمات المذكورة هنا في أيٍّ من كتب العهد القديم. وكانت هناك صعوبةٌ كبيرة في التحقُّق من معنى هذا المقطع»[٩].

الإشكال الثالث: مدينة الناصرة -على الراجح- لم توجد زمن المسيح، وإنما أُسّستْ (أو أُعِيدَ تأسيسها) بعده. وقد أفاض في بحث ذلك تاريخيًّا أحد الباحثين المعاصرين[١٠].

---

(١) وليم باركلي William Barclay (١٩٠٧-١٩٧٨): لاهوتي ومفسر إسكتلندي. درّس النقد الكتاب في جامعة غلاسكو.

(2) William Barclay, *The Gospel of Matthew* (London: Westminster John Knox Press, 1968), p.46.

(٣) جون فنتون John Fenton (١٩٢١-٢٠٠٨): قسيس وناقد بريطاني متخصص في دراسات العهد الجديد. عمل مديرًا لكلية القديس تشاد في جامعة در.

(4) John Fenton, *The Gospel of St. Matthew* (UK: Penguin 1963), p.51.

(٥) الكتاب المقدس، لبنان: دار المشرق، ١٩٨٦، ص٤٠.

(٦) هرمان أولشاوسن Hermann Olshausen (١٧٩٦-١٨٣٩): لاهوتي ومفسّر للعهد الجديد ألماني معروف.

(7) H. Olshausen, *Biblical Commentary on the New Testament by Dr. Hermann Olshausen* (New York: Sheldon, Blakeman, & Co, 1859), 1/195.

(٨) ألبرت بارنز Albert Barnes (١٧٩٨-١٨٧٠): قسيس ولاهوتي ومفسّر أمريكي.

(9) Albert Barnes, *Notes on the New Testament: Matthew & Mark* (London: Blackie & Son, 1884-5), p.21

(10) René Salm, *The Myth of Nazareth: The invented town of Jesus* (Cranford, N.J.: American Atheist Press 2008).

والمعروف هو أنّ أقدم إشارة إلى الناصرة خارج الكتاب المقدّس، وَرَدَتْ فيما نقلَهُ يوسابيوس في القرن الرابع عن سكستس يوليوس أفريكانوس في بداية القرن الثالث، لكنّ الوصف الذي قدّمه أفريكانوس لا ينطبق جغرافيًّا على منطقة النّاصرة كما هي في الأناجيل؛ فهي قريةٌ لا مدينة، وتقع في يهوذا (في جنوب فلسطين) لا الجليل (شمال فلسطين)![1]



الإشكال الرابع: النصُّ اليونانيُّ لإنجيل متّى ٢/ ٢٣ وصفَ الناصرة بأنّها πολις [بوليس] أي: مدينة؛ ويبعد أن يتجاهل المؤرّخون الأوائل الذين كانوا يهتمُّون بصورةٍ بارزة بالمدن، مدينةً آهِلةً بالسُّكَّان.

(1) "Nazara and Cochaba, villages of Judea" "Ναζάρων καὶ Κωχαβα κωμῶν Ἰουδαϊκῶν". Cited in Eusebius, *Church History*, tr. Arthur Cushman McGiffert, 1.7.14 (New York: Christian Literature Company, 1890), p.39.

الإشكال الخامس: حاول عددٌ من النصارى إخفاء خطأ إنجيل متّى بالزعم أن النبوءة موجودةٌ في إشعياء ١١/ ١: «وَيَخْرُج قَضِيبٌ مِنْ جِذْع يَسَّى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ». وكلمة «غُصْن» في الأصل العبري هنا هي "נֵצֶר" [نِيصِر]. وجوابنا هو أنّ التَّشابُهَ اللّفظيَّ لا قيمة له هنا؛ لأنّ «غُصْن» كلمةٌ مختلفة عن كلمة «النّاصرة» الدالَّة على المدينة. ولا يمكن قراءة النبوءة على أنّ المسيح قد وُلِدَ في الناصرة ليُسمّى غُصْنًا. وكما قال أولشاوسن: «لا توجد علاقةٌ بين اسم נֵצֶר [نِيصِر]، غُصْن، والسَّكَن في الناصرة»[1].

الإشكال السادس: مؤلّف إنجيل متى كتب «الناصرة» هكذا: "Ναζαρέτ"، بحرف الزاي (الزيتا اليونانية) (ζ)، في حين أنّ كلمة «غُصْن» تستعمل حرف الصاد (تسادي צ). قال الناقد أولشاوسن: «اشتقاق الاسم من נֵצֶר، شجيرةٍ، خطأٌ؛ إذ إنّ حرف الزيتا اليوناني (ζ) يوافق حرف الزين العبري (ז)»[2].

الإشكال السابع: زعم مؤلّف إنجيل متّى أنّ «الأنبياء» "τῶν προφητῶν" [تُونْ بْرُوفِتُونْ] (في صيغة الجمع) قد تَنَبَّؤُوا عن الناصرة، في حين أنّ كلمة «غصن» [نِيصِر] المُحالِ إليها هنا باعتبارها بشارةً، لم ترد إلّا في سِفرٍ واحدٍ، هو سفر إشعياء ١١/ ١. وأمّا «الناصرة» فلم ترد البتّة في العهد القديم.

الإشكال الثامن: حاول قِلَّةٌ من الدفاعيّين النصارى الخروج من الإشكال بالقول إنّ النصّ يتعلّقُ بنَذْرِ المسيح للربّ (العدد ٦/ ١-٢٣). ورَبْطُ النّبوءة في إنجيل متّى بالناصرة يمنع ذلك بداهةً؛ إذ لا علاقة بين السَّكَن في الناصرة وأن يكون المرء منذُورًا للربِّ. بالإضافة إلى أنّ يسوع المسيح لم يكن من المنذورين للربّ؛ فليس في حياته أيُّ شيءٍ يدلُّ على ذلك؛ فقد جاء في إنجيل متى نفسه: «لأَنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا لا يَأْكُلُ ولا يَشْرَبُ، فَيَقُولُونَ: فِيهِ شَيْطَانٌ. جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَيَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ» (متّى ١١/ ١٨-١٩)[3].

---

(1) H. Olshausen, *Biblical Commentary on the New Testament by Dr. Hermann Olshausen*, 1/195.

(2) Ibid.

(3) D. H. Stern, *Jewish New Testament Commentary: A companion volume to the Jewish New Testament* (Clarksville: Jewish New Testament Publications, 1996), p.14.

البشارة الثانية: القادم من مصر

«فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلًا وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ. وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْني»» (متّى ٢/ ١٤-١٥).

«لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلَامًا أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي». (هوشع ١١/ ١).

يزعم مؤلّف إنجيل متّى أنّ هوشع النبيّ قد تنبّأ بفرار المسيح إلى مصر، في قوله: «لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلَامًا أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي». (هوشع ١١/ ١). وقد تمّ ذلك عندما أَخَذَ يوسفُ النجار المسيحَ، وفَرَّ به إلى مصرَ خوفًا من هيردوس الذي كان يبحث عن المسيح لقتلِه لمّا علم أنّه قد وُلِدَ في الأرض التي يَحْكُمُها.

الإشكالات:

الإشكال الأول: نصُّ هوشع ١١/ ١: «لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلَامًا أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي». (هوشع ١١/ ١)، وَرَد فيه فعل «دعا» في صيغة الماضي: "קָרָאתִי" [قراتي] «دعوتُ»، ولا قرينة هنا تصرفه إلى المستقبل؛ ليكون نبوءةً.

الإشكال الثاني: سياق الحديث في الفصل ١١ من سِفر هوشع متعلّقٌ بخبرٍ ماضٍ، وهو دعوة الله بني إسرائيل أن يخرجوا من مصر بعد اضطهادهم من الفرعون زمن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وههنا النصُّ في سياقه: «عِنْدَمَا كَانَ إِسْرَائِيلُ صَغِيرًا أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي. لَكِنْ كُلَّمَا دَعَاهُمُ الأَنْبِيَاءُ لِعِبَادَتِي أَعْرَضُوا عَنِّي، ذَابِحِينَ قَرَابِينَ لِلْبَعْلِ، وَمُصْعِدِينَ بَخُورًا لِلأَوْثَانِ. أَنَا الَّذِي دَرَّبْتُ إِسْرَائِيلَ عَلَى الْمَشْيِ، وَحَمَلْتُهُ عَلَى ذِرَاعَيَّ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا أَنِّي أَنَا الَّذِي أَبْرَأْتُهُمْ. قُدْتُهُمْ بِحِبَالِ اللُّطْفِ الْبَشَرِيَّةِ وَبِرُبُطِ الْمَحَبَّةِ، فَكُنْتُ لَهُمْ كَمَنْ يَرْفَعُ النِّيرَ عَنْ أَعْنَاقِهِمْ وَيَنْحَنِي بِنَفْسِهِ لِيُطْعِمَهُمْ. وَلَكِنَّهُمْ رَفَضُوا أَنْ يَتَحَوَّلُوا إِلَيَّ تَائِبِينَ، لِذَلِكَ لَنْ يَرْجِعُوا إِلَى مِصْرَ بَلْ يُصْبِحُ أَشُّورُ مَلِكًا عَلَيْهِمْ». (هوشع ١١/ ١-٥).

ولذلك يقول صاحبا كتاب: «تعليق على استعمال العهد الجديد للعهد القديم» -وهو كتاب لباحثَيْنِ نصرانِيَّيْنِ محافظَيْنِ-: «نصّ هوشع ١١/ ١ هو إشارة إلى الخروج، بكلّ وضوح. لقد وَصَفَ الفصل ١٠ من سِفر هوشع بالفعل أيام المجد المبكرة لإسرائيل التي حلّ محلّها شرُّ الأمّة الحالية. كرّر الفصل ١١ هوشع هذا الحديث. يعكس نصّ هوشع

١١/ ١ التوازي المترادف[١]: «لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلَامًا أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي». إسرائيل هو الابن؛ وتتجلّى محبّة الله بإنقاذِ إسرائيل من العبودية في مصر، ولكن نصّ ١١/ ٢-٧ يمضي في الرثاء لانحراف إسرائيل عن الربّ أكثر فأكثر والتنبؤ بعودتهم المستقبلية إلى العبودية - أي السَّبْي - في مصر (١١/ ٥). ولكن كما يحدث باستمرارٍ في حديث الأنبياء؛ فإنّ كلمة الله النهائيَّة هي كلمة استعادة (الضالّين). تصِفُ الأعدادُ ٨-١١ بشكل مؤثّرٍ أنّه لا يمكن أن يتخلّى الله عن شَعْبِه كليّةً، وأنّه سيُعيدهم يومًا ما من المنفى»[٢].

الإشكال الثالث: تعلُّقُ الحديث ببني إسرائيل بصورةٍ واضحة؛ جعلَ أصحابَ الترجمة السبعينية ينقلون النصّ العبريّ إلى اليونانيّة، على الصورة التالية:

من مصر استدعيتُ أبناءه.	ἐξ Αἰγύπτου μετεκάλεσα τὰ τέκνα αὐτοῦ

فاعتمدت الترجمة السبعينية "τὰ τέκνα αὐτοῦ" [تا تِكْنا أوتو] أي «أبناءه»، على خلاف متّى الذي اعتمد "τὸν υἱόν μου " [تون هويون مو] «ابني». ورغم أنّ عادة مؤلّف إنجيل متّى متابعة الترجمة السبعينية ومخالفة الأصل العبري، إلّا أنّه هنا تجانف عن الترجمة السبعينية؛ لأنّها لا تخدم غرضه في إثبات أنّ نصّ هوشع ١١/ ١ نبوءة مسيحانية.

يقول المفسّر و.د. ديفيس[٣] تعليقًا على فعل مؤلّف إنجيل متّى: «يبدو إسقاط نصّ هوشع ١١/ ١ على يسوع مجّانيًّا بصورة قاطعة. يشير هذا النصّ في سياقه الأصليّ بشكل لا لبس فيه إلى إسرائيل»[٤]. وهو ما دفع المفسّر بيير بونارد -رغم حماسته الدفاعيّة- إلى الإقرار أنّ «متّى قد استخدم النصّ خارج سياقه التاريخيّ»[٥].

الإشكال الرابع: سببُ طلبِ هيرودس قتلَ المسيح الرّضيع أنّه لما «وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ،

(1) Synonymous parallelism.

(2) G. K. Beale and D. A. Carson, *Commentary on the New Testament use of the Old Testament*, p.7.

(٣) و.د. ديفيس W. D. Davies (١٩١١-٢٠٠١): قسيس وناقد بريطاني بارز. درّس العهد الجديد في عدد من الجامعات البريطانية والأمريكية.

(4) W. D. Davies, *Matthew 1-7* (New York: A&C Black, 2004), p.263

(5) Pierre E. Bonnard, *L'Évangile selon saint Matthieu* (Genève: Labor et Fides, 2002), p.29

قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ... حِينَئِذٍ دَعَا هِيرُودُسُ الْمَجُوسَ سِرًّا، وَتَحَقَّقَ مِنْهُمْ زَمَانَ النَّجْمِ الَّذِي ظَهَرَ. ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ، وَقَالَ: «اذْهَبُوا وَافْحَصُوا بِالتَّدْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ. وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي». (متّى ٢/ ١-٨). وبعد زيارة المجوس للمسيح الوليدِ في البيت الذي وَقَفَ فوقه النَّجْمُ «أُوحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلْمٍ أَنْ لا يَرْجِعُوا إِلَى هِيرُودُسَ، انْصَرَفُوا فِي طَرِيقٍ أُخْرَى إِلَى كُورَتِهِمْ». (متّى ٢/ ١٢). فهيرودس إذن قد طلبَ قتل المسيحِ لأنّه عَلِمَ أنّه قد وُلِدَ، وهو يخشاه؛ لأنّه موعود اليهود الذي سينتصرون به على خصومهم.

وهنا عدّة مشكلات:

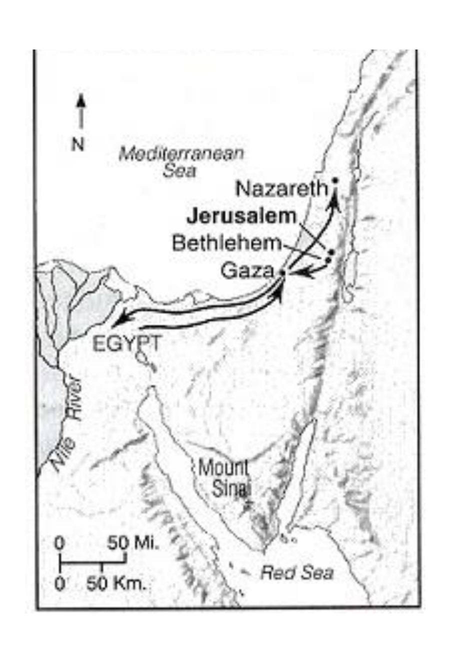
أ- المجوسُ على دينٍ غير دينِ اليهود؛ فكيف تتحدَّثُ كتبُهم عن المسيح المنتظَرِ لليهود، مُمَجِّدةً له؟!

ب- لماذا يسافر هؤلاء القوم من فارس إلى فلسطين في رحلةٍ مُضْنيةٍ، من الإمبراطورية الفرثية إلى الإمبراطورية الرومانية، لشيء واحد، وهو أن يُقَدِّمُوا للمسيح هدايا، دون أن يطلبوا منه شيئًا، ثم يختفي خَبَرُهم من الأناجيل، ومن التاريخ كلِّهِ، ولا نسمَعُ أنّهم دَعَوا أحدًا في فارس إلى دين المسيح، أو أنّهم عندما رأوا المسيح تابوا عن مجوسيّتهم؟!

ت- دعوى وجود نَجْمٍ يظهرُ مع ولادة العظماء، خُرافةٌ قديمةٌ تتكرَّرُ في أساطيرِ ولادتهم.

ث- دعوى وقوف نَجْمٍ في السَّماء فوق بيتٍ ما في بيت لحم، دعوى ساذجةٌ علميًّا؛ لأنّ النُّجومَ مهما كان قربها من الأرض لا تقف فوق قطعة أرض طولها وعرضها يقاسان بالأمتار. والأعجب من ذلك أنّ رحلة هؤلاء المجوس من فارس إلى بيت لحم كانت بتتبّع سير النَّجْمِ أمامهم في السّماء لِيَدُلَّهُمْ على بيت المسيح!

الإشكال الخامس: سَفَرُ مريم الحامل إلى مصر في رحلةٍ بعيدةٍ وشاقّةٍ، وهي نُفَساء، مُشْكِلٌ؛ فإنّ رحلةً كهذه تحتاج جَلَدًا لا تَمْلِكُهُ مَنْ وَضَعَتْ لِلتَّوِّ حَمْلَهَا، خاصّةً أنّ التراث النّصرانيّ يُخبِرُ عن ولادة المسيح في الشّتاء، حيث البردُ القارِسُ، وأنّ يوسف النجّار كان عجوزًا في شرخ الثّمانين!



الإشكال السادس: لم يرد خَبَرُ طفولة المسيح سوى في إنجيل متّى وإنجيل لوقا. وبالنّظرِ في إنجيل لوقا نجد أنّ القصّة ليس فيها خَبَرُ هذا السَّفَرِ والعَوْدة، كما لا تسمح القصّة بفجوةٍ لِسَفَرِ مريم ويوسف النجار إلى مصر، والاختفاء هناك، ثم العودة لاحقًا؛ فإنّ لوقا يُخبرنا أنّ المسيح لمّا بلغ ثمانية أيّامٍ، خُتِنَ، وأنَّ أُمَّهُ لمّا أَتَمَّتْ أيام تطهيرها بعد أربعين يومًا من الوضع حسب شريعة التوراة، صعدتْ إلى أورشليم لِتُقَدِّمَهُ إلى الربِّ، ولمّا أتّمتْ كلَّ شيءٍ هناك، رَجَعَتْ إلى الجليل[1]. وذاك يعني أنّ مريم لم تغادر البتّة فلسطين بعد ولادة ابنها. وقد أدرك المنصّر الأمريكي جوناثان ماك لاتشي هذا الإشكال؛ فقال إنّ مؤلّف لوقا قد أخطأ؛ إذ هو -بزعمه- قد أخذ تفاصيل قصّة ميلاد المسيح من مريم؛ ولكنّ مريم غفلت عن ذكر بعض التفاصيل له؛ بما جعل لوقا يفترض ترتيبًا للأحداث غير سديد[2]. وهو خروج من تخطئة مؤلف إنجيل إلى تخطئة آخر!

---

(١) لوقا ٢/ ٢٢-٤١.

(2) Jonathan McLatchie, Is the Bible Without Error? Inspiration, Inerrancy, and Christian Epistemology, Cross examined. Tuesday, March 16, 2021 <https://crossexamined.org/is-the-bible-without-error-inspiration-inerrancy-and-christian-epistemology/>.

الإشكال السابع: يخبرنا مؤلّف إنجيل متّى أنّ هيرودس كان يبحث عن هذا الوليد لقتله، حتى إنه قتل الولدان في مجزرة بَشِعةٍ حماسةً لذلك، لكنّ مؤلّف إنجيل لوقا لا يُظهِرُ مريم وهي تتخفّى في أورشليم، ولا أنّها تَخَفَّتْ عند ذهابها إلى الجليل إثر ذلك[1].

الإشكال الثامن: الأعجبُ من كلّ ما سبق أنّ مؤلّف إنجيل متّى قد فَهِمَ النصَّ الذي اقتبَسَهُ على **عكْسِ معناهُ**. يقول الناقد روبرت ملر[2]: «إنّه لأمرٌ مُحَيِّرٌ عندما يُخبرنا متّى أن يسوع قد تَمَّمَ نبوءة: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي» (هوشع ١١/ ١) بالهروب إلى مصر (متى ٢/ ١٥). تشير النبوءة إلى رحلة الخروج، حيث تُمثّل مصرُ مكان العبوديّة والموت، بينما في قصّة متّى، مصرُ هي مكان الأَمَانِ»[3]. أي إنّ حديث نصّ هوشع ١١/ ١ في الخروج من مصرَ؛ طَلَبًا للأمان، في حين أنّ حديث مؤلّفِ إنجيل متّى في دخول مصرَ؛ طلبًا للأمان!

البشارة الثالثة: أنهار ماء حيٍّ

«وَفِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ الْعَظِيمِ مِنَ الْعِيدِ وَقَفَ يَسُوعُ وَنَادَى قِائِلًا: «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَن آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ» (يوحنّا ٧/ ٣٧-٣٨).

شهد كثيرٌ من علماء النصارى أنّ هذا النصّ الذي يقول مؤلّف إنجيل يوحنّا إنّ يسوع قد اقتبسه من العهد القديم، لا يوجد حَرْفُهُ في أيّ سِفر من أسفاره، ومنهم:

- المفسّر الأب ريموند براون: «الكلمات المقتبسة في يوحنّا لا تعكس بالضبط أيّ مقطع واحد في التوراة العِبرية أو الترجمة السبعينيّة اليونانيّة»[4].
- ويلاند ويلكر -المتخصص في النقد النّصّيّ-: «من المهمّ الإشارةُ إلى أنّه لا يوجد مقطعٌ معروف في الأسفار يُشير إليه العدد ٣٨»[5].

---

(١) لوقا ٢/ ٢٢-٤١.

(٢) روبرت ج. ميلر Robert J. Miller: رئيس قسم الدراسات المسيحية والدينية في Juniata College. وعضو "ندوة يسوع".

(3) Robert J. Miller, *Helping Jesus Fulfill Prophecy* (Cambridge: Lutterworth, 2017) 119.

(4) Raymond E. Brown, *The Gospel according to John (I-XII): Introduction, translation, and notes*, New Haven; London: Yale University Press, 2008, p.321

(5) Wieland Willker, *A Textual Commentary on the Greek Gospels*, 4/237.
< http://www.willker.de/wie/TCG/TC-John.pdf >.

- هامش ترجمة New English Translation: «اقتباسٌ من العهد القديم يصعب تحديد مصدره»[١].
- هامش الترجمة الكاثوليكية New American Bible: «ليس اقتباسًا دقيقًا من أيّ مقطع من العهد القديم»[٢].

وللخروج من هذا المأزق، حَرَّفَت ترجمةُ البشيطا السّريانيَّةُ النّصَّ من: «كَمَا قَال الْكِتَابُ» "καθὼς εἶπεν ἡ γραφη" إلى: «كما قالت الكُتُبُ» "ܐܝܟ ܕܐܡܪܘ ܟܬܒܐ"؛ وذلك للهروبِ من مواجهةِ حقيقةِ عدمِ وجودِ هذا الاقتباس بِحَرْفِهِ في العهد القديم؛ والزّعم أنّه اقتباسٌ بالمعنى من مجموعةِ نصوصٍ متفرّقةٍ!

ومن الجَلِيِّ أنّه لا توجد أيّ نصوصٍ في العهد القديم يُشَكِّلُ ائتلافُها هذا المعنى؛ ولذلك اعترفَ مِريل تِنّي[٣] في تفسيره لإنجيل يوحنّا، قائلًا: «إذا كانت عبارة «كَمَا قَال الْكِتَاب» تشير إلى نصوصٍ معيّنةٍ، فمن المستحيلِ تحديدُ مكانها. هناك العديد من الإشارات إلى الماء في العهد القديم، لكنْ لا شيءَ يتوافق تمامًا مع هذا الكلام»[٤].

البشارة الرابعة: أَكُونُ له أَبًا

عبرانيّين ١/ ٥: «لأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ: «أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ» ؟ وَأَيْضًا: «أَنَا أَكُونُ لَهُ أبا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا» ؟».

٢صموئيل ٧/ ١٤: «أَنَا أَكُونُ لَهُ أبا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا. إِنْ تَعَوَّجَ أُؤَدِّبْهُ بِقَضِيبِ النَّاسِ وَبِضَرَبَاتِ بَنِي آدَمَ».

زَعَمَ مُؤَلِّفُ الرسالة إلى العبرانيّين (المنسوبة إلى بولس) أنّ المسيح أَعْظَمُ من الملائكةِ؛ ودليلُه على ذلك أنّ الله لم يَقُلْ لأيِّ ملَكٍ من الملائكة إنّه ابْنُهُ، في حين قالها عن يسوعَ المسيح في نصّ ٢صموئيل ٧/ ١٤: «أَنَا أَكُونُ لَهُ أبا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا».

---

(1) “An OT quotation whose source is difficult to determine.”

(2) “Living water: not an exact quotation from any Old Testament passage.”

(٣) مِريل س. تِنّى Merrill C. Tenney (١٩٠٤–١٩٨٥): ناقد أمريكي محافظ. أستاذ العهد الجديد واليونانية في Gordon College، ورئيس "جمعية اللاهوت الإنجيلي".

(4) M. C. Tenney, *The Expositor's Bible Commentary*, *Volume 9: John and Acts* (Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1981), p.87.

الإشكالات:

الإشكال الأول: نص ٢صموئيل ٧/ ١٤ له سياقٌ واضح غير ملتَبِسٍ، وهو أنّ ناثان النبيّ قد بَشَّرَ داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنّ ابنًا لِداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سَيَبْنِيْ بيتًا لله، وأنّ كُرسيَّ حُكْمِهِ سيبقى إلى الأَبَدِ؛ فالحديث في الأصل عن سليمانَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد جَعَلَهُ صاحب الرسالة إلى العبرانيّين عن المسيح[1].

وههنا الخبر في سياقه:

«وكان لما سكن الملك في بيته، وأراحه الرَّبُّ من كلّ الجهات من جميع أعدائِه،

أنّ الملك قال لناثان النّبيّ: «انْظُرْ. إنّي ساكنٌ في بيتٍ من أرز، وتابوتُ الله ساكنٌ داخل الشّقق».

فقال ناثان للملك: «اذهبْ افعَلْ كلّ ما بقلبك، لأنّ الرَّبَّ مَعَكَ».

وفي تلك الليلة كان كلام الرَّبِّ إلى ناثان قائلًا: «اذهَبْ وقُلْ لِعَبْدِي داودَ: هكذا قال الرَّبُّ: أَأَنْتَ تَبْنِي لي بيتًا لِسُكْنايَ؟ لأني لم أَسْكُنْ في بيتٍ منذ يوم أصعدتُ بني إسرائيل من مصرَ إلى هذا اليوم، بل كنت أسيرُ في خيمةٍ وفي مسكنٍ. في كلّ ما سِرْتُ مع جميع بني إسرائيل، هل تكلَّمْتُ بكلمةٍ إلى أحد قُضاة إسرائيلَ الذين أَمَرْتُهُم أنْ يَرْعَوا شعبي إسرائيل قائلًا: لماذا لم تَبْنُوا لي بيتًا من الأرز؟ والآن فهكذا تقول لعبدي داود: هكذا قال ربُّ الجنود: أنا أَخَذْتُك من المربض من وراء الغَنَمِ لتكون رئيسًا على شعبي إسرائيل. وكنتُ معك حيثما توجَّهْتَ، وقَرَضت جميع أعدائِك من أمامك، وعملت لك اسمًا عظيمًا كاسم العظماء الذين في الأرض. وعَيَّنْتُ مكانا لشعبي إسرائيل وغرَسْتُه، فسكن في مكانه، ولا يضطرب بعد، ولا يعود بنو الإثم يُذَلِّلُونَه كما في الأول، ومنذ يوم أقمتُ فيه قضاة على شعبي إسرائيل. وقد أَرَحْتُكَ من جميع أعدائك. والرَّبُّ يخبرك أن الربَّ يصنع لك بيتًا. متى كَمُلَتْ أيّامك واضطجعْتَ مع آبائك، أُقيمُ بعدكَ نَسْلَكَ الذي يخرجُ من أحشائِك وأُثَبِّتُ مملكتَهُ. هو يبني بيتًا لاسمي، وأنا أُثبت كرسيَّ مملكته إلى الأبد. أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنًا. إنْ تَعَوَّجَ أُؤَدِّبْهُ بقضيبِ الناس وبضرباتِ بني آدم» (٢صموئيل ٧/ ١-١٤).

---

(1) See K. L.Barker, *Expositor's Bible Commentary (Abridged)* (Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1994), p.945.

ومعلومٌ أنّ البيت الذي سيُبنى لإله إسرائيل بعد موت داود عَلَيۡهِ‌ٱلسَّلَامُ على يد ابْنِهِ، هو ما يُعرف بهيكل سليمان. فلا بدّ أن ينصرف الذِّهْنُ إليه ضرورةً. وأمّا أنّ ذلك الهيكلَ لم يستمرَّ إلى نهاية الزَّمانِ كما هو وَعْدُ نُبوءةِ ناثان؛ فلأنّ هذا السِّفر ليس من عند الله. وما كَتَبَهُ المؤلّف هو تلفيقٌ بشريٌّ، وتعبيرٌ عن أمل اليهود أن يبقى هيكل سليمان إلى آخر الزمان.

الإشكال الثاني: يقول ٢صموئيل ٧/ ١٣: «هو يبني بيتًا لاسمي»، ولكن لم يبنِ المسيحُ بيتًا للربِّ، بل إنّ الهيكلَ الذي كان في عصرِهِ، والذي يُقال إنه قد أُقِيْمَ على أنقاضِ ما يُعرف بهيكل سليمان عَلَيۡهِ‌ٱلسَّلَامُ بإشرافِ زربابل في القرن السادس قبل الميلاد، قد تمَّ تدميرُه لاحقًا سنة ٧٠م على يد الرُّومانِ.

الإشكال الثالث: يقول ٢صموئيل ٧/ ١٣: «أنا أثبّت كرسيَّ مملكتِه إلى الأبد». ولم يكن للمسيحِ أيّ مُلْكٍ أرضيٍّ؛ فهو القائل: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لا أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا» (يوحنّا ١٨/ ٣٦).

الإشكال الرابع: يقول ٢صموئيل ٧/ ١٤: «إنْ تَعَوَّجَ أُؤَدِّبْهُ بقضيبِ الناس وبضربات بني آدم». والنّصارى يؤمنون أنّ المسيح إلهٌ لا يَعْوَجُّ ولا يُقوَّمُ، وأنّ صَلْبَهُ لم يكن لتأديبه، وإنّما جُزءًا من خطّة إلهيّةٍ لغفرانِ خطايا البَشَرِ.

الإشكال الخامس: أشار الناقد هارولد أتريدج[1] إلى أنّ النصارى في زمنٍ مبكّر قد فَهِمُوا انطباق نصّ ٢صموئيل ٧/ ١٤ على المؤمنين لا المسيح، واستدلَّ لذلك بنصّ ٢كورنثوس ٦/ ١٨: «وَأَكُونَ لَكُمْ أَبًا، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي بَنِينَ وَبَنَاتٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»، ونصّ الرؤيا ٢١/ ٧: «مَن يَغْلِبْ يَرِثْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَكُونُ لَهُ إِلهًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا»[2].

البشارة الخامسة: من أَفْواهِ الرُّضَّعِ

«فَلَمَّا رَأَى رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ الْعَجَائِبَ الَّتِي صَنَعَ، وَالأَوْلاَدَ يَصْرَخُونَ فِي الْهَيْكَلِ وَيَقُولُونَ: «أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ!»، غَضِبُوا وَقَالُوا لَهُ: «أَتَسْمَعُ مَا يَقُولُ هؤُلاَءِ؟» فَقَالَ لَهُمْ

---

(١) هارولد ويليام أتريدج Harold William Attridge (١٩٤٦-): ناقد أمريكي متخصص في دراسات العهد الجديد وتاريخ الكنيسة. أستاذ اللاهوت في جامعة يال.

(2) H. W. Attridge, *The Epistle to the Hebrews: A commentary on the Epistle to the Hebrews* (Philadelphia: Fortress Press, 1989), p.54.

يَسُوعُ: «نَعَمْ! أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ: **مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحًا؟**» ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَخَرَجَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا وَبَاتَ هُنَاكَ». (متّى ٢١/ ١٥-١٧)

«مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ أَسَّسْتَ حَمْدًا بِسَبَبِ أَضْدَادِكَ، لِتَسْكِيتِ عَدُوٍّ وَمُنْتَقِمٍ». (مزمور ٨/ ٢).

يقول مؤلّف إنجيل متّى إنّ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ قد غَضِبُوا لسماع الأطفال يُنشدون في الهيكل: «أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ!»؛ لِعِلْمِهِمْ أنّ ذاك يعني أنّ الجموع التي تُحِيْطُ بيسوع تعتقد أنّه المسيحُ المنتظر -ابن داود النّبيّ- الذي سيخلّصُ بني إسرائيل من ظُلْمِ الأُمَم. فالْتَفَتُوا إلى يسوعَ وقالوا له: «أَتَسْمَعُ مَا يَقُولُ هؤُلَاءِ؟». وكان جوابُ يسوعَ لهم: «نَعَمْ! أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ: مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحًا؟»؛ مقتبسًا نصًّا من الكتاب المقدّس العبري ينبئ عن خَبَرِهِ.

الإشكالات:

الإشكال الأول: هناك اختلاف بيّن بين النص العبري لمزمور ٨/ ٢ واقتباس متّى ٢١/ ١٦ في الكلمة المركزيّة لخدمة سياق القصّة؛ فإنّ مؤلّف إنجيل متّى يقول «تسبيحًا» "αἶνον" [أينون]، في حين يذكر النصُّ العِبريُّ لمزمور ٨/ ٢ كلمة «قوّة» **"עֹז"** [عُزْ].

وقد جاءت الترجمة بذكر القوّة لا التسبيح في ترجمة الملك جيمس النصرانية:

“Out of the mouth of babes and sucklings hast thou ordained **strength** because of thine enemies, that thou mightest still the enemy and the avenger.”

وترجمة (JPS) اليهودية:

“Out of the mouth of babes and sucklings hast Thou founded **strength**, because of Thine adversaries; that Thou mightest still the enemy and the avenger.”

كما نقرأ في ترجماتٍ عربيّةٍ أخرى الإشارةُ إلى القوّةِ لا التّسبيح أو الحمد، ومنها:

الترجمة الكاثوليكية	بأفواه الأطفال والرّضّعِ **أَعْدَدْتُ لك حصنًا** أمام خُصومك لتقضيَ على العدوّ والمنتقم.
ترجمة الأخبار السّارّة	أفواه الأطفالِ والرّضّعِ **تَعَزَّزَتْ** في وَجْهِ خصومِك وأخرست العدو والمنتقم

وسبب هذا الخلاف بين إنجيل متّى والأصل العبري للمزمور أنّ مؤلّف إنجيل متّى كان يقتبس من الترجمة السبعينيّة اليونانية التي ذكرت التّسبيح لا القوّة. وسبب إقحام الترجمة السبعينيّة للتّسبيح هنا ربط اليهود منذ القديم مزمور ٨/ ٢ بنص سِفر الخروج ١٥/ ٢: «حِينَئِذٍ رَنَّمَ مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ هذِهِ التَّسْبِيحَةَ لِلرَّبِّ وَقَالُوا: «أُرَنِّمُ لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ. الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ»؛ إذ نجد في مدراش مخيلتا[١] على خروج ١٥/ ٢ ربطًا بين هذين النصَّيْنِ، وإشارةً إلى التسبيح كجزء من غناء موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأُخْتِهِ مريم[٢].

الإشكال الثاني: المزمور ٨ لا علاقة له بالمسيح، أو الإنباء عن الغيب، أو البشارة بالمخلّص ابنِ داودَ الذي يدخلُ الهيكل ليسبّحَ الأطفال بذِكْرِهِ. هو مزمورٌ في تمجيد الله – سبحانه–، ولا ذِكْرَ فيه للثّالوثِ أو الابن، وهذا نصُّه كامِلًا:

«أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا، مَا أَمْجَدَ اسْمَكَ فِي كُلِّ الأَرْضِ! حَيْثُ جَعَلْتَ جَلاَلَكَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ.

مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ أَسَّسْتَ حَمْدًا بِسَبَبِ أَضْدَادِكَ، لِتَسْكِيتِ عَدُوٍّ وَمُنْتَقِمٍ.
إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلَ أَصَابِعِكَ، الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ الَّتِي كَوَّنْتَهَا،
فَمَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ؟ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟
وَتَنْقُصَهُ قَلِيلًا عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ.
تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ:

---

(1) מכילתא

(2) G. K. Beale and D. A. Carson, *Commentary on the New Testament use of the Old Testament* (Grand Rapids, MI; Nottingham, UK: Baker Academic; Apollos, 2007), p.70.

الْغَنَمَ وَالْبَقَرَ جَمِيعًا، وَبَهَائِمَ الْبَرِّ أَيْضًا،
وَطُيُورَ السَّمَاءِ، وَسَمَكَ الْبَحْرِ السَّالِكَ فِي سُبُلِ الْمِيَاهِ.
أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا، مَا أَمْجَدَ اسْمَكَ فِي كُلِّ الأَرْضِ!».

ومن الغريب أنّ المزمور ٨ قد اعتُبِر نصًّا مبشّرًا بالمسيح في أكثر من نصّ في العهد الجديد: ١كورنثوس ١٥/ ٢٧، الرسالة إلى أفسس ١/ ٢٢، الرسالة إلى فيلبي ٣/ ٢١، الرسالة إلى العبرانيين ٢/ ٦-٩، ١بطرس ٣/ ٢٢[1]!

الإشكال الثالث: الحديث عن «الأطفال والرّضّع» في المزمور ٨ لا يشير إلى أعيانِ أطفالٍ ورُضّع، على خلاف مقصد مؤلّف إنجيل متّى، وإنّما هو إشارةٌ رمزيّةٌ إلى أنّ عَظَمة الربِّ -سبحانه- يدركها الجميعُ؛ حتى من لا يفهمون الكلام، ولا يُبِيْنُون.

البشارة السادسة: القائم من الموت

«لأَنَّ دَاوُدَ يَقُولُ فِيهِ: كُنْتُ أَرَى الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ، أَنَّهُ عَنْ يَمِينِي، لِكَيْ لا أَتَزَعْزَعَ. لِذلِكَ سُرَّ قَلْبِي وَتَهَلَّلَ لِسَانِي. حَتَّى جَسَدِي أَيْضًا سَيَسْكُنُ عَلَى رَجَاءٍ. لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ ولا تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا. عَرَّفْتَنِي سُبُلَ الْحَيَاةِ وَسَتَمْلأُنِي سُرُورًا مَعَ وَجْهِكَ». (أعمال الرسل ٢/ ٢٥-٢٨).

«ولذلك قَالَ أَيْضًا فِي مَزْمُورٍ آخَرَ: لَنْ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا. لأَنَّ دَاوُدَ بَعْدَ مَا خَدَمَ جِيلَهُ بِمَشُورَةِ اللهِ، رَقَدَ وَانْضَمَّ إِلَى آبَائِهِ، وَرَأَى فَسَادًا. وَأَمَّا الَّذِي أَقَامَهُ الله فَلَمْ يَرَ فَسَادًا». (أعمال الرسل ١٣/ ٣٥-٣٧).

«أُبَارِكُ الرَّبَّ الَّذِي نَصَحَنِي، وَأَيْضًا بِاللَّيْلِ تُنْذِرُنِي كُلْيَتَايَ. جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ، لأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ. لِذلِكَ فَرِحَ قَلْبِي، وَابْتَهَجَتْ رُوحِي. جَسَدِي أَيْضًا يَسْكُنُ مُطْمَئِنًّا. لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا. تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ». (مزمور ١٦/ ٧-١١).

يخبرنا سفر أعمال الرسل أنّ بطرس (أعمال الرسل ٢/ ٢٥-٢٨) وبولس (أعمال الرسل ١٣/ ٣٥-٣٧) قد زَعَمَا أنّ داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قد تنبّأ في مزمور ١٦/ ٧-١١عن قيامةِ المسيحِ من الموت بعد صَلْبِه.

---

(1) D. L. Turner, *Baker Exegetical Commentary on the New Testament: Matthew* (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2008) , p.501.

الإشكالات:

الإشكال الأول: اختار مُؤلّف سِفر أعمال الرسل اعتماد الترجمة السبعينيّة -لا الأصل العبريّ- لأنّها الأقربُ إلى غايته في توظيف نصّ المزمور ١٦ لدعوى أنّ داود عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قد تَنَبَّأَ بدخول المسيح القبر، وقيامَتِهِ من الأموات[١]؛ فالترجمة السبعينيّة قد غَيَّرَتْ بعض الكلمات والأزمنة على صورةٍ بيّنةٍ في أكثر من موضعٍ.

النص العبري (مزمور ١٦/٨-١١)	**السبعينية (مزمور ١٦/٨-١١)** **أعمال الرسل ٢/ ٢٥-٢٨**
جَعَلْتُ يهوه أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ **שִׁוִּיתִי יְהוָה** לְנֶגְדִּי תָמִיד	**كُنْتُ أَرَى** الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ **προωρώμην τὸν κύριον** ἐνώπιόν μου διὰ παντός
لأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي כִּי מִימִינִי	لأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي ὅτι ἐκ δεξιῶν μού ἐστιν
فَلَا أَتَزَعْزَعُ. בַּל־אֶמּוֹט	لِكَيْ لا أَتَزَعْزَعَ ἵνα μὴ σαλευθῶ
لِذلِكَ فَرِحَ قَلْبِي לָכֵן שָׂמַח לִבִּי	لِذلِكَ فَرِحَ قَلْبِي διὰ τοῦτο ηὐφράνθη ἡ καρδία μου
وَابْتَهَجَ **مجدي**. **וַיָּגֶל כְּבוֹדִי**[٢]	وَتَهَلَّلَ **لِسَانِي**. καὶ ἠγαλλιάσατο **ἡ γλῶσσά μου**
جَسَدِي أَيْضًا **يَسْكُنُ مُطْمَئِنًّا**. אַף־בְּשָׂרִי **יִשְׁכֹּן לָבֶטַח**	حَتَّى جَسَدِي أَيْضًا **سَيَسْكُنُ عَلَى رَجَاءٍ**. ἔτι δὲ καὶ ἡ σάρξ **μου κατασκηνώσει ἐπ᾽ ἐλπίδι**
لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. כִּי לֹא־תַעֲזֹב נַפְשִׁי לִשְׁאוֹל	لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ ὅτι οὐκ ἐγκαταλείψεις τὴν ψυχήν μου εἰς ᾅδην

(1) D. J. Williams, *New International biblical commentary: Acts* (MA: Hendrickson Publishers, 1990), p.51.

(٢) قد تُعرّب صوامت هذه الكلمة «كبدي».

وَلَا تُعطي **قُدُّوسَكَ** لِيَرَى **فَسَادًا**. οὐδὲ δώσεις **τὸν ὅσιόν σου** ἰδεῖν **διαφθοράν**	لَنْ تَدَعَ **تَقِيَّكَ** يَرَى **حفرة**. לֹא־תִתֵּן **חֲסִידְךָ** לִרְאוֹת **שָׁחַת**
عَرَّفْتَنِي سُبُلَ الْحَيَاةِ **ἐγνώρισάς μοι ὁδοὺς** ζωῆς	**تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ** الْحَيَاةِ. **תּוֹדִיעֵנִי** אֹרַח חַיִּים
وَسَتَمْلأُنِي سُرُورًا **مَعَ وَجْهِكَ**. **πληρώσεις με** εὐφροσύνης **μετὰ τοῦ προσώπου σου**	**أَمَامَكَ شِبَعُ** سُرُورٍ. **שֹׂבַע** שְׂמָחוֹת **אֶת־פָּנֶיךָ**
فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ[1]. τερπνότητες ἐν τῇ δεξιᾷ σου εἰς τέλος	فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ. נְעִמוֹת בִּימִינְךָ נֶצַח

الإشكال الثاني: مضمون المزمور ١٦ الإخبار أنّ المتحدّث لن يخذله الله، ولن يُسلمه للموت. يقول اللاهوتيّ والمفسّر الأب جوزيف فتزماير[2]: «كان هذا المزمورُ في الأصل صلاةً يُعبّر فيها الشّخصُ عن ثقته في أنه سينجو من الموت المبكر، وأنه لن يرى الحفرة والقبر، بل سيواصل حياته الأرضيّة في حضرة الله»[3]. في حين أنّ يسوع الكنيسة هو القائل على خشبة الصَّلِيبِ: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني!» (متى ٢٧/ ٤٦، مرقس ١٥/ ٣٤). كما أنّه قد رُفع إلى السّماء، ولم يَبْقَ على الأرض.

الإشكال الثالث: أظهر المتحدِّثُ في المزمور عبوديّته في أجلى صورها؛ بإظهار افتقاره إلى عون الربّ –سبحانه–، واتّكاله عليه؛ فقد قال:

- «اِحْفَظْنِي يا اَللهُ لأَنِّي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. قُلْتُ لِلرَّبِّ: «أَنْتَ سَيِّدِي. خَيْرِي لا شَيْءَ غَيْرُكَ» ». (مزمور ١٦/ ١-٢)
- «جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ، لأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ». (مزمور ١٦/ ٨).

وأمّا مسيح الكنيسة؛ فإلهٌ معبودٌ؛ إليه يَرْفَعُ الناس أَكُفَّ الضَّراعة، طلبًا للعون والنُّصرة.

---

(١) حذفها مؤلف سفر أعمال الرسل.

(٢) جوزيف فتزماير Joseph Fitzmyer (١٩٢٠-٢٠١٦): قسّيسٌ أمريكيٌّ. أحد أشهر لاهوتيّي الكاثوليك والمتخصّصين في دراسات العهد الجديد في القرن العشرين.

(3) J. A.Fitzmyer, *The Acts of the Apostles: A new translation with introduction and commentary* (New Haven; London: Yale University Press, 2008), p.256.

الإشكال الرابع: التوراة تقول: «لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا» (مزمور ١٦/ ١٠). الأصل العبري يذكر كلمة "**שחת**" [شحت]، وهي كلمة لا تعنى «فسادًا» كما الترجمة السبعينية؛ وإنّما تعني «حفرة»[١]. ومن ذلك ما جاء في سفر حزقيال ٢٨/ ٨:

يُنَزِّلُونَك إِلَى **الْحُفْرَةِ**، فَتَمُوتُ مَوْتَ الْقَتْلَى فِي قَلْبِ الْبِحَارِ.	**לַשַּׁחַת** יוֹרִדוּךָ וָמַתָּה מְמוֹתֵי חָלָל בְּלֵב יַמִּים

ومعلومٌ أنّ النصارى مُجمِعون أنّ المسيح لم يوضع في حُفْرةٍ، وإنّما وُضِع جسدُه بعد الصَّلْبِ في قبرٍ منحوتٍ فوق الأرض، ومُغْلَقٍ بصخرةٍ قد دُحْرِجَتْ لِتَسُدَّهُ[٢]. فلا يَصِحُّ أن يكون حديث صاحب المزمور عن القبر مطابقًا لما تذكره الأناجيل عن دفن المسيح.

الإشكال الخامس: لم يؤمن اليهود أنّ المسيح المنتظر سيُقبر ثم يقوم من الموت. والحقيقة هي أنّهم آمنوا أنّ المسيح المنتظر سيكون صاحب سلطان وصولجان، وأنّه سيهزِمُ أعداء الإسرائيليّين المؤمنين، لا أنّ أعداءَهُ سيقتلونَهُ؛ ليقوم بعد أيام قليلةٍ حيًّا.

البشارة السابعة: سأفتح فمي بأمثال

«قَالَ لَهُمْ مَثَلًا آخَرَ: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيق حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ». هذَا كُلُّهُ كَلَّمَ بِهِ يَسُوعُ الْجُمُوعَ بِأَمْثَال، وَبِدُونِ مَثَل لَمْ يَكُنْ يُكَلِّمُهُمْ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: «سَأَفْتَحُ بِأَمْثَال فَمِي، وَأَنْطِقُ بِمَكْتُومَاتٍ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ»». (متّى ١٣/ ٣٣-٣٥).

«اِصْغَ يا شَعْبِي إِلَى شَرِيعَتِي. أَمِيلُوا آذَانَكُمْ إِلَى كَلاَمِ فَمِي. أَفْتَحُ بِمَثَل فَمِي. أُذِيعُ أَلْغَازًا مُنْذُ الْقِدَمِ. الَّتِي سَمِعْنَاهَا وَعَرَفْنَاهَا وَآبَاؤُنَا أَخْبَرُونَا». (مزمور ٧٨/ ١-٣).

يُخبرنا مؤلّف إنجيل متّى أنّ المسيح كان يتكلّم بصورة غامضة، من خلال استعمال الأمثال؛ لتتحقّق فيه نبوءة المزمور ٧٨/ ١-٣ أنّ المسيح المنتظر سيتكلّم بأمثال.

الإشكالات:

الإشكال الأول: خالَفَ مؤلّف إنجيل متّى الأصل العبريّ لاقتباسِه؛ إذ الأصل العبريُّ

---

(1) Wilhelm Gesenius, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament* (Boston: Houghton Mifflin, 1888), p.1053.

(٢) «فَأَخَذَ يُوسُفُ الْجَسَدَ وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ، وَوَضَعَه فِي قَبْرِهِ الْجَدِيدِ الَّذِي كَانَ قَدْ نَحَتَهُ فِي الصَّخْرَةِ، ثُمَّ دَحْرَجَ حَجَرًا كَبِيرًا عَلَى بَاب الْقَبْرِ وَمَضَى» (متّى ٢٧/ ٥٩-٩٠).

لنصِّ مزمورِ ٧٨/ ٢ يقول: «أَفْتَحُ بِمَثَل فَمِي. أُذِيعُ أَلْغَازًا مُنْذُ الْقِدَمِ»؛ فغيَّرَهُ مؤلّف إنجيل متّى:

١- غَيَّرَ «مَثل» "מָשָׁל" إلى «أمثال» "παραβολαῖς".

٢- غَيَّرَ «ألغازًا منذ القِدَمِ» "חִידוֹת מִנִּי־קֶדֶם " إلى «بمَكْتُومَاتٍ مُنْذُ تأسيسِ العالم» " κεκρυμμένα ἀπὸ καταβολῆς κόσμου."؛ وبذلك:

أ- غَيَّرَ «أحجيات/ ألغاز» "חִידוֹת" إلى «أمور مخفيّة/ مكتومات» "κεκρυμμένα "؛ والفرق الدّلاليّ بين الأحجيات والأمور المخفيّة بَيِّنٌ.

ب- غَيَّرَ حديث الأصل العبريّ الذي يذكر أنّ اللُّغز كان منذ نشأة بني إسرائيل، إلى أنّه كان منذ خلق العالم؛ إذ يقول المزمور ٧٨/ ١-٦: «اِصْغَ يا شَعْبِي إِلَى شَرِيعَتِي. أَمِيلُوا آذَانَكُمْ إِلَى كَلاَمِ فَمِي. أَفْتَحُ بِمَثَل فَمِي. أُذِيعُ أَلْغَازًا مُنْذُ الْقِدَمِ. الَّتِي سَمِعْنَاهَا وَعَرَفْنَاهَا وَآبَاؤُنَا أَخْبَرُونَا. لا نُخْفِي عَنْ بَنِيهِمْ إِلَى الْجِيلِ الآخِرِ، مُخْبِرِينَ بِتَسَابِيحِ الرَّبِّ وَقُوَّتِهِ وَعَجَائِبِهِ الَّتِي صَنَعَ. أَقَامَ شَهَادَةً فِي يَعْقُوبَ، وَوَضَعَ شَرِيعَةً فِي إِسْرَائِيلَ، الَّتِي أَوْصَى آبَاءَنَا أَنْ يُعَرِّفُوا بِهَا أَبْنَاءَهُمْ، لِكَيْ يَعْلَمَ الْجِيلُ الآخِرُ. بَنُونَ يُولَدُونَ فَيَقُومُونَ وَيُخْبِرُونَ أَبْنَاءَهُمْ» .... علمًا أنّ عبارة «منذ تأسيس العالم» لم ترد أبدًا في أيّ سِفرٍ من أسفار العهد القديم، وإنّما هي شائعةٌ في العهد الجديد (متّى ٢٥/ ٣٤، لوقا ١١/ ٥٠، يوحنّا ١٧/ ٢٤).

ورغم موافقة مُؤلّف إنجيل متّى للترجمة السبعينيّة؛ إلا أنّه خالَفَها في الكلمات الأخيرة: «سأتكلَّمُ بأمثال منذ البدء» "φθέγξομαι προβλήματα ἀπ’ ἀρχῆς ".

الإشكال الثاني: كان مؤلّف إنجيل متّى -كعادته- مهتمًّا بالتقاط الكلمات الواردة في العهد القديم ليخدم غَرَضَهُ في بيان أنّ العهد القديم قد أَخْبَرَ عن جميع تفاصيل قصّة المسيح ابن مريم عليه السلام، دون مراعاة للسّياق الأصليّ للكلام المقتبس؛ ولذلك وافق وجود كلمة «أمثال» في مزمور ٧٨/ ٢ غرضه في بيان مطابقة خبر العهد القديم عن الأمثال لحديث المسيح بأمثال.

وإهمال مؤلّف إنجيل متّى لسياق ما اقتبسه، جَعَلَهُ ينقل نصًّا **يُنَاقِضُ** مطلوبه؛ إذ إنّ المزمور يتحدّث عن كشف الأخبار للعامّة، لا إخفائها عنهم. ولذلك قال الناقد روبرت ملر: «عندما يقتصر يسوعُ في مخاطبته على الأمثال لكشف الحقائق المخفيّة؛ يكون من

المحيّر كيف يتمّم بذلك نصًّا من مزمورٍ عن شخص يروي الأمثال من أجل شرح الحكمة التقليدية (انظر مزمور ٧٨/ ٢-٤)، خاصة أنّ يسوع قد قرّر في وقت سابق أن استعماله الأمثال وسيلةٌ لإخفاء الحقيقة عن العامّة: «فَتَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ وَقَالُوا لَهُ: «لِمَاذَا تُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَال؟»». فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «لأَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا لأُولَئِكَ فَلَمْ يُعْطَ. فَإِنَّ مَنْ لَهُ سَيُعْطَى وَيُزَادُ، وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ سَيُؤْخَذُ مِنْهُ. مِنْ أَجْلِ هذَا أُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَال، لأَنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لا يُبْصِرُونَ، وَسَامِعِينَ لا يَسْمَعُونَ ولا يَفْهَمُونَ. فَقَدْ تَمَّتْ فِيهِمْ نُبُوَّةُ إِشَعْيَاءَ الْقَائِلَةُ: تَسْمَعُونَ سَمْعًا ولا تَفْهَمُونَ، وَمُبْصِرِينَ تُبْصِرُونَ ولا تَنْظُرُونَ. أَنَّ قَلْبَ هذَا الشَّعْب قَدْ غَلُظَ، وَآذَانَهُمْ قَدْ ثَقُلَ سَمَاعُهَا. وَغَمَّضُوا عُيُونَهُمْ، لِئَلاَ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ، وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ» (متى ١٣/ ١٠-١٥)»[١].

الإشكال الثالث: ما ذكره صاحب المزمور ٧٨ ليس أَلْغازًا مجهولةً يَعْسُر فَهْمُها على العامّة، كما هو ظنّ مؤلّف إنجيل متّى، وإنّما هي معلومات شائعة جِدًّا بين السابقين والمعاصرين له؛ لأنّها مذكورة في الأسفار المقدسة، ومحفوظة في التراث الشفهيّ (خروجهم من مصر، عصيانهم لله، أَكْلِهم المنَّ...)؛ ولذلك قال في تتمّة النصّ الذي اقتبسه مؤلف إنجيل متّى: «أفتح بمثل فمي. أُذيع ألغازا منذ القدم التي سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا» (مزمور ٧٨/ ٢-٣)[٢].

لقد أهمل مؤلّف إنجيل متّى سياق النصّ الذي اقتبسه بصورة جَلِيَّةٍ؛ حتّى قال الناقد الإنجيلي المعروف د.أ. كارسون[٣]: «يتّفق علماء العهد الجديد المعاصرون بشكل عامّ تقريبًا على أن متّى قد أَخْرَجَ المزمور ٧٨/ ٢ بشكل سيّئ من سياقه. يُكرّر المزمور ٧٨

---

(1) Robert J Miller, *Helping Jesus Fulfill Prophecy* , p.119.

(2) D.Turner and D. L. Bock, *Cornerstone biblical commentary, Vol 11: Matthew and Mark* (IL: Tyndale House Publishers, 2005), p.190.

(٣) د.أ. كارسون D. A. Carson (١٩٤٦-): أحد أشهر الكتّاب الإنجيليين الأمريكان. غزير التأليف. درّس العهد الجديد في Trinity Evangelical Divinity School.

تاريخ إسرائيل المشهور، والذي لا يُعتبر أيٌّ منه «غامضًا» أو «مخفيًّا». لكن متّى يُقدِّم يسوعَ على أنه نَطَقَ أشياء مخفيّةً»[1].

الإشكال الرابع: من الإشكالات النصّيّة الكبرى المطروحة في نص متّى ١٣/ ٣٥ أنّ المخطوطة السينائيّة (القراءة الأصلية) (القرن الرابع) ونُسَخًا معروفة لجيروم[2] (القرنان الرابع والخامس) كانت تقول: «لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ إشعياء»،[3] ناسبة النصّ المقتبَسَ إلى سَفر إشعياء، في حين أنّه اقتباسٌ من مزمورٍ منسوبٍ إلى آسافَ. وقد ذهبت ترجمة "New English Bible" إلى اعتماد قراءة «إشعياء»[4]. لأنّ قراءة «إشعياء» الأرجح؛ إذا أخذنا بتفضيل «القراءة الأصعب» التي يُفضّل النسّاخُ عادة حذفها إذا كانت دالة على خطأ في النصّ. ولذلك رجّحها الناقدان جون فنتون[5] وأ.و. أرجايل[6] في ترجمة كل منهما لإنجيل متّى[7]. وهو ما يعني أنّ مؤلّف إنجيل متّى قد أخطأ؛ فنسب النص المقتبس إلى غير السفر الذي أخذه منه؛ بما يُظهر جهله أو عجلته. وذاك من نواقض دعوى ربّانية الإنجيل.

***

وخلاصة الكلام في أمر النبوءات المزعومة بيسوع في العهد القديم، ما قرّره صاموئيل ريماروس في دراسته: "في نوايا يسوع وتلاميذه"، بعد أن حدّد القواعد التي تمنح الخبر صفة النبوءة الصادقة؛ إذ قال: "إذا حكمنا وفقًا لهذه القواعد وبدأنا التحقيق في شأن نبوءات

---

(1) D. A. Carson, *Matthew*, *The Expositor's Bible Commentary*, *Volume 8: Matthew, Mark, Luke* (Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1984), p.321.

(٢) جيروم Jerome (٣٤٧-٤٢٠): لاهوتي ومؤرخ ومترجم ومفسّر للكتاب المقدس. وهو أحد قديسي الكنيسة.

(3) NA/28, p.40.

(4) “Thus making good the prophecy of Isaiah”.

(5) John Fenton, The Gospel of St. Matthew, p.224.

(٦) أوبري ويليام أرجايل Aubrey William Argyle (١٩١٠-١٩٨١): أستاذ اللاهوت وعميد Regent's Park College.

(7) A. W. Argyle, *The Gospel According to Matthew* (Cambridge: Cambridge University Press, 1963), pp.104, 106.

العهد القديم التي تم تطبيقها على العهد الجديد؛ فسنجدها عديمة القيمة وكاذبة"[1]. وقد توصّل إلى ذلك بعد استناده إلى ثلاث حقائق في شأن هذه النبوءات. أوّلها: النبوءات التوراتيّة الصريحة المتعلّقة بالمسيح المنتظر، لم يتحقّق منها شيء؛ ومنها أنّ المسيح المنتظر سيجلس على كرسي داود عليه السلام على جبل صهيون ويملك الأرض كلها، حتى نهاية العالم. وثانيها: النبوءات المزعومة تمّ التلاعب بدلالاتها، وصرفها عن معناها الأصلي. وثالثها اعتماد المجاز لربط النص التوراتي بخبر يسوع[2].

---

(1) Cited in: Robert J Miller, *Helping Jesus Fulfill Prophecy*, p.328.

(2) Ibid.

الباب الثاني
البشارات، بين الفهم الإسلامي والمعارضات النصرانية

الحديث في بشارات الأسفار المقدسة عند اليهود والنصارى بنبي الإسلام ﷺ، ليس بالكلام الذي يُساق مسترسلًا، بِدَفقٍ لا يعرف التمهّل؛ إذ إنّ كلّ ما يقوله المسلم في شأن دلالات نصوص هذه الأسفار حُجّةً للبشارة بالنبوّة الخاتمة، محلُّ معارضةٍ من النصارى الذين أَلَّفُوا كُتُبًا ومقالاتٍ كثيرةً في نقد التقريرات الإسلاميّة في هذا الباب.

والعدل والعلميّةُ يقتضيان الالتزام بعددٍ من الضوابط عند عرض ما نراه بشارات بالرسول ﷺ؛ حتى لا يكون كلامنا مجرّد تأويل رغبويّ لنصوصٍ لم يُقصد بها يومًا الإنباء عن نبوّةٍ قادمة في القرن السابع الميلادي. وأهمّ هذه الضوابط:

- عرض نصّ البشارة بلفظِه، في ترجمته العربية الشائعة.
- الرجوع إلى النصّ في لغته الأصلية (العبرية والآرامية واليونانية) عند الاقتضاء.
- النَّظَرُ في سياق الخبر.
- ربط نصوص الكتاب المقدس ببعضها، دون انتقاءٍ.
- ذِكْرُ فَهْمِ النّصارى لهذه النّصوص، كما هو في مؤلّفات أعلامهم.
- ذكر أَوْجُهِ الدّلالة على البشارة بمحمّد ﷺ.
- ذكر الأوجه التي ساقها النصارى في كتبهم في معارضة استنباط هذه الدلالات.

- الرجوع إلى كتب تفسير الكتاب المقدّس، واستنطاقِها عند الحاجة.
- الرُّجوعُ إلى الترجمات القديمة والحديثة للكتاب المقدّس؛ لمعرفة الترجمات الأصدق والقراءات الأوثقِ.
- الإفادة من التراث اليهوديّ في فهم نصوص الكتاب المقدّس.

تمهيد
شروط البشارة بين المسلمين والنصارى

البحث في البشارة بمحمّد ﷺ أو يسوع، يبدأ من مقدّمة أُولى ظاهرة أو مضمرة؛ وهي الإيمان أنّه متى توفّرت في الخبر مجموعة من الأمور؛ فالخبر دالٌّ على البشارة بهذا القادم الموعود.

لم يهتم عامة الكتّاب المسلمين الذين ألّفوا كتبًا أو فصولًا في البشارة بمحمّد ﷺ، بالتأصيل -في عامة الأمر- لمسألة شروط البشارة، لوضوح الأمر عندهم أنّ البشارة هي الإنباء عن اسم المبشَّر به أو حالِهِ. فَهُمْ يرون اللغة والسياق حاكِمَيْنِ على صدق البشارة.

كان الاعتناء بجانب اللغة قديمًا بالنقل عن الأسفار المقدّسة مباشرة أو -في كثير من الأحوال- بنقل النصوص التي يقتبسها المهتدون من هذه الأسفار. ثم اتّجه الكتّاب المسلمون إلى النقل عن الأسفار المقدّسة نفسها في طبعاتها المختلفة. والحال اليوم أفضل -عند عدد من المؤلّفين-؛ إذ يدرسون النصوص في لغتها الأصليّة، وأهم ترجماتها القديمة والحديثة. وذاك هو المنهج الأكثر وفاءً للّغة وطبيعتها ودلالاتها.

كما سلّم الكُتّاب المسلمون لشرط وجوب مراعاة السياق؛ للقبول بالنصّ أنّه بشارة. وسواء وفّى هؤلاء الكُتّاب لواجب احترام السياق أم لا؛ فهم على كلّ حال مذعنون لحقيقة أنّ إخراج الكلام عن سياقه الأصلي الذي أراده الكاتب، حجّة ضد الاستدلال بالكلام للبشارة بالنبيّ الخاتم. ولذلك، إذا نوزعوا في وفائهم للسياق، أجابوا بجواب يطلبون به إثبات احترامهم لدلالة الكلام في سياقه الأصلي، لا ردّ أهميّة السياق.

وقد يبدو ما سبق، من بدهيات ما يجب مراعاته عند نسبة نصٍّ ما إلى معنى البشارة بالنبوّة الخاتمة. ولكنّ هذا الفهم البدهي، ليس كذلك عند الكُتّاب النصارى؛ إذ إنّهم لمّا علموا أنّ أناجيلهم تزعم أنّ العهد القديم قد تنبّأ بيسوع، ودعوته، وصلبه، وقيامته، وحاله يوم الدينونة، دون أن يوجد أيّ نص في العهد القديم يشير في إطار اللغة أو السياق إلى ذلك، قرروا اختلاق مسلك تفسيريّ عجيب، قائم على منهجيين تفسيريين، الأوّل: "Typology" والثاني "Sensus Plenior".

ليست هناك ترجمة عربية قياسيّة لكلمة "Typology". والكلمة تعود إلى عبارة "Type" أي «نموذج»، أو «مثال»، أو «نمط». ومعنى هذا المصطلح -عند النصارى الذي يكتبون في النبوءات عن المسيح في العهد القديم- أنّ عامة الأحداث التي وقعت قبل المسيح كانت نماذج أولى لما سيقع للمسيح؛ فأهم تفاصيل سِيَر آدم وموسى وداود عليهم السلام ... ما هي إلّا نماذج أوّليّة لما سيقع لاحقًا للمسيح بحرفه. فالأمر كما قال قديس الكنيسة أوغسطين[١]: «في العهد القديم، العهد الجديد مخفيّ، وفي العهد الجديد يظهر العهد القديم» "Novum Testamentum in Vetere latet, Vetus in Novo patet"[٢].

فَتَحَ باب تفسير العهد القديم بالنموذج لعامة الدعاوى اللاهوتية المتناقضة في القرن الثاني وما بعده أن تجد في العهد القديم سندًا لأطروحاتها حول المسيح، وطبيعته، ورسالته؛ لغياب الضابط المنهجي للربط بين النموذج وما بعده.

ومن الظريف أن نقول إنّ هذا المسلك التفسيري، من الممكن أن يكون حجّة للمسلمين في إقامة أمثلة كثيرة على إنباء العهد القديم بسيرة محمّد ﷺ؛ إذ يكفي أن تربط بين حادثتين بأدنى رابط شكليّ، مهما كان سطحيًّا؛ ليتحقّق المطلوب. وإذا أَعْوَزَكَ إيجاد التطابق، فَلَكَ أن تربط بينهما بمعنى روحيٍّ بعيد جِدًّا. بل إنّ من الحقّ أن نقول إنّ أيّ إنسان بإمكانه أن يجد سيرته في قصص العهد القديم؛ لغياب الضابط، وقيام الأمر كلّه على الانتقاء غير المنهجي.

---

(١) أوغسطين (٣٥٤-٤٣٠م): أحد أشهر آباء الكنيسة وقدّيسيها، ومن أبرزهم تأثيرًا في البروتستانتية.

(2) Cited in: Hely Hutchinson A. Smith, The frescoed chamber; or, The New Testament concealed in the Old Revealed in the New (London: Seeley, 1878), p.4.

فإنّي أنا -مثلًا- لن أجد حرجًا في الزعم أنّ خبري مذكور في التوراة؛ ونموذجي هو الملك عُمري، ملك مملكة إسرائيل الشمالية في القرن التاسع قبل الميلاد؛ فقد ذكرتْهُ التوراة للإنباء عنّي، وأدّلتي (!):

- أنا «عامري» وهو " עמרי"، واسمه بغير الصوائت التي أضفيت إليه لاحقًا، لا يبعد أنه كان يُنطق في زمانه «عامري». بل حتّى لو كان يُنطق بضم العين؛ فلا إشكال؛ إذ التشابه يكفي في هذا المقام، ولا يُشترط فيه التطابق.
- لقبي عربي، وقد ذهب فريق من النقاد أنّ عمري اسمٌ عربي[1].
- بنى عمري مدينة السامرية، وجعلها عاصمة مملكته؛ وفي هذا الاسم دلالة على اسمي؛ لتشابه نصفه الأوّل مع اسمي. ولذلك إذا جمعتَ اسم عمري ونصف اسم عاصمته؛ فستجد اسمي ولقبي!
- وقع عمري في ذنوب، وأنا لي ذنوب.

والكشف المستقبلي عن سيرة عمري التي لم يكد يُذكر عنها شيء في الكتاب المقدس، لا بدّ أن يظهر تشابهات أخرى، تؤكد أنّ عمري نموذجي الأوّل. ولا يملك مُتبَنٍّ للتفسير بالنموذج من النصارى أن يُبطل دعواي؛ لأنّ هذا المنهج انتقائيّ، بلا ضابط على الحقيقة، وإنْ حاول بعضهم ادّعاء إمكان إقامة حدود معقولة له. ومثالي عن عمري لا يقلّ فسادًا وسخفًا عن النماذج التي يدّعيها أصحاب أسفار العهد الجديد.

إنّ فكرة التفسير بالنموذج، في حقيقتها، إعلان لفساد النبوءات المسوقة عن يسوع في العهد القديم؛ لأسباب كثيرة، منها:

مغالطة «المصادرة على المطلوب»:

مغالطة «المصادرة على المطلوب»، هي افتراض صحّة الدعوى التي تريد أن تبرهن عليها؛ بأن تبدأ بالتسليم لدعوى أنت منازَعٌ في صحّتها. والتفسير بالنموذج يبدأ بالتسليم أنّ

---

(1) D. N. Freedman, ed. *The Anchor Yale Bible Dictionary* (New York: Doubleday, 1992), 5/17.

العهد القديم يقدّم نماذج أولى لسيرة المسيح. وهو ما يظهر بوضوح في عبارة فون راد[١]: «قدوم يسوع المسيح، حقيقة تاريخيّة لا تترك للمفسّر أيّ خيار؛ عليه أن يفسّر العهد القديم، باعتباره يشير إلى المسيح»![٢] فأصل الطرح النموذجي هو نفسه محلّ النزاع؛ إذ لسنا نرى في العهد القديم أي خبر عن يسوع، وعلى المخالف إثبات دعواه.

غياب المعيار:

اعترف الناقد الإنجيلي غريغوري بيل[٣] في كتابه عن استعمال نصوص العهد القديم من طرف كُتّاب أسفار العهد الجديد " Handbook on the New Testament Use of the Old Testament" باختلاف النقّاد في المعايير المعتمدة لمعرفة النماذج. والأخطر من ذلك اعترافه أنّ مفهوم التيبولوجيا نفسه محلّ جدل، وأنّ هناك خلافًا حول طبيعته؛ هل هو من باب القياس أم هو نبوءة مستترة؟![٤]

مخالفة السياق بصورة صريحة:

فكرة التفسير بالنموذج تفتقد السندين العقلي والنصيّ، وتجد سندها الوحيد في الرغبة في العثور على يسوع في العهد القديم. إنّها مجرّد إسقاط تفسيري لمعان ليست في النص Eisegesis، وما هي بتفسير للنص كما هو Exegesis.

ويتوافق مع القول بالتفسير بالنموذج، مذهب «المعنى الأكمل» "Sensus Plenior". وهو مذهب يزعم أنّ للنص معنى آخر لا يظهر من خلال التحليل اللغوي ولا السياقي، وهو معنى زائد لا يعرفه المؤلف نفسه ولا قصده، وينكشف لاحقًا للمفسرين. وقد ظهر المصطلح على يد اللاهوتي الكاثوليكي أندري فرناندز لبيانِ أنّ نصوص العهد القديم لها معنى حرفيّ فَهِمَهُ اليهود قديمًا، ومعنًى أوسع فَهِمَهُ النّصارى لاحقًا[٥].

---

(١) جرهارد فون راد Gerhard von Rad (١٩٠١-١٩٧١): ناقد توراتي ولاهوتي ومفسر ألماني.

(2) G. von Rad, *Old Testament Theology* (New York: Harper & Row, 1965), 2/374.

(٣) غريغوري بيل Gregory K. Beale (١٩٤٩-): أستاذ العهد الجديد واللاهوت الكتابي في Reformed Theological Seminary in Dallas.

(4) G. K. Beale, Handbook on the New Testament Use of the Old Testament: Exegesis and Interpretation (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2012), p.19.

(5) A. Fernández, S.J., "Hermeneutica," Institutions Biblicae Scholis Accommodate (2d ed.,

وقد قدّم اللاهوتي ريموند براون التعريف الأكثر قبولًا «للمعنى الأكمل»، بقوله: «المعنى الأكمل هو ذاك المعنى الإضافي والأعمق الذي قصده الله ولكن لم يقصده المؤلف البشري بوضوح، والذي يُرى أنه موجود في كلمات نص من الكتاب المقدس (أو مجموعة نصوص، أو حتى سفر كامل) عند الدراسة في ضوء مزيد من الوحي أو التطور في فهم الوحي»[١].

والقول بمذهب المعنى الأكمل، أضعف من التفسير بالنموذج؛ لأنّه يُقِرُّ أنّ كاتب النص في العهد القديم لم يقصد الحديث عن يسوع أصلًا، ولا أنّ النص قد كُتِب بلغة يدلّ تحليلها النحوي والصرفي على هذا المعنى النبوئي. وهو ما يجعل من يدّعي الدلالة البِشاريّة يقول بما شاء؛ لأنّه ليس مقيّدًا بأصول فهم النصوص وفق الدلالات العرفيّة. وبذلك يصبح التفسير العلمي مُحالًا، أو بعبارة لويس برخوف[٢]: «قبول أن يكون للنص أكثر من معنى... يجعل أيَّ عِلْمٍ من علوم التأويل مستحيلًا، ويفتح الباب لكل أنواع التفسيرات التعسُّفيّة»[٣]. وكان اللاهوتيُّ جون أوين في القرن السابع عشر قد كشف عُمْقَ الإشكال، بقوله: «إذا كان للسِّفر المقدّس أكثر من معنى؛ فليس له عندها معنى البتة»[٤].

وفي مقام الحوار الإسلامي النصراني، لنا أن نسأل: ماذا بقى لنبوءات العهد القديم المزعومة من قيمة في ضوء منهج «المعنى الأكمل»؟

والجواب: لا شيء، باعتراف الناقدَيْنِ النصرانيَّيْنِ دوغلاس موو[٥] وأندرو نزلي[٦] في مقالتهما: «مشكلة استعمال العهد الجديد للعهد القديم»؛ فقد عَرَضَا مجموعة معارضات

Rome: Biblical Institute, 1927), p.306.

(1) Raymond E. Brown, *The Sensus Plenior of Sacred Scripture* (OR: Wipf and Stock Publishers, 2008), p.92.

(٢) لويس برخوف Louis Berkhof (١٨٧٣-١٩٥٧): لاهوتي هولندي-أمريكي، اشتهر بمؤلفه في اللاهوت النظامي الذي بقي كتابا مدرسيا لمدة طويلة في الكليات اللاهوتية.

(3) Louis Berkhof, *Principles of Biblical Interpretation* (Grand Rapids: Baker, 1950), 57.

(4) Cited in L. Stephen Cook, On the question of the "Cessation of Prophecy" in Ancient Judaism, p.75.

(٥) دوغلاس ج. موو Douglas J. Moo (١٩٥٠-): ناقد متخصص في دراسات العهد الجديد، كثير التأليف في التفسير واللاهوت.

(٦) أندرو نزلي Andrew Naselli: أستاذ اللاهوت النظامي والعهد الجديد في Bethlehem College & Seminary في ولاية مينسوتا الأمريكية.

لمنهج التفسير الأكمل، ومنها أنّ هذا المنهج يهدم القيمة الدعوية للعهد الجديد خارج إطار «المؤمنين». وأقرّا أنّه لا سبيل لمناقشة اليهود (وغير المؤمنين بالنصرانية) بدعوى وجود معنى أكمل للنص غير المعنى الحرفي؛ لقيام هذا المنهج على التسليم بوجود معنى خفيٍّ للنصّ[١].

ومن العجيب هنا اعتراف الناقد الإنجيلي المحافظ ولتر كايزر[٢] بظهور إجماعٍ في كتابات الإنجيليين يرى أنّ اقتباسات العهد القديم في العهد الجديد لا تدلُّ في شكلها على نيّة نبوئيّة عند مؤلّفي أسفار العهد القديم[٣]. وهو ما يكشف المأزق العظيم الذي يعانيه مَنْ يَتَعَسَّفُون لإثبات الإنباء عن يسوع في العهد القديم. ونحن هنا أمام اعتراف من المحافظين لا الليبراليين، بما يدلّ على أنّ النص يأبى أن يوجَّه إلى الإشارة إلى يسوع الكنيسة.

ويكشف المفسر جون فنتون، حقيقة الأزمة بالأمثلة، في تعليقه على إنجيل متّى، بقوله: «لقد استخدم متّى في إنجيله عشر مرات صيغةً يقدّم بها للاستشهاد من العهد القديم، وهذه الصيغة تقول: وهذا كان لكي يتمّ ما قيل من الربّ بالنبيّ القائل. (انظر متّى ١/ ٢٢، ٢/ ١٥، ١٧، ٢٣، ٤/ ١٤، ٨/ ١٧، ١٢/ ١٧، ١٣/ ٣٥، ٢١/ ٤، ٢٧/ ٩) .

إنّ هذه الشهادات التي قدّم لها متّى بتلك الصيغة، إنّما هي إضافات من عمل متّى لمصدره ونعني به إنجيل مرقس، وهي واحدة من أهمّ ما يتميّز به إنجيل متّى.

وبجانب ذلك فإنه توجد مواضع كثيرة في هذا الإنجيل نستطيع أن نجزم فيها بأنّ متّى كان يكتب وفي تفكيره إحدى فقرات العهد القديم، على الرغم من أنّه لم يشر إليها بصراحة.

لقد كان متّى واثقًا في وجود علاقة بين العهد القديم وحياة يسوع، حتّى إنّه أحيانًا يغيّر تفاصيل الحدث كما هو مسجّل في مصدره؛ حتّى يجعل التوافق مع النبوءة أكثر وضوحًا...

---

(1) Douglas Moo and Andrew Naselli, ‘The Problem of the New Testament’s use of the Old Testament’, in *The Enduring Authority of the Christian Scriptures*, ed. D. A. Carson (Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing), p.732.

(٢) ولتر س. كايزر Walter C. Kaiser (١٩٣٣-): أستاذ العهد القديم والرئيس السابق للمعهد اللاهوتي Gordon–Conwell Theological Seminary.

(3) Walter C Kaiser, *et al*., *Three Views on the New Testament Use of the Old Testament* (Grand Rapids, Mich: Zondervan, 2009), pp.46-47.

إنّ الدراسة الحديثة للعهد القديم لا تؤيد مفهوم متّى لما في العهد القديم، كما أنّها لا توافقه على الفقرات التي استخرجها من أسفاره، عندما كان يكتب إنجيله.

وقد أصبح واضحًا الآن أنّ العهد القديم لم يكن تجميعًا لتنبؤات أحداث المستقبل التي يمكن أن تفهم فقط بعد أن تمضي عدة قرون»[1].

وهو ما عبّر عنه أيضًا المفسّر ويليام باركلي[2] في تعليقه على نصّ متّى ٢/ ١٥ الذي يزعم أنّ نصّ هوشع ١١/ ١ إنباء عن رحلة المسيح إلى مصر. فقد قال بعبارة صريحة: «بإمكاننا أن نرى على الفور أنّه لا علاقة لقول هوشع في صيغته الأصلية بيسوع، ولا علاقة له بسفره إلى مصر. لم يكن قوله أكثر من بيان بسيط لكيفيّة تخليص الله أمّة إسرائيل من العبودية والتسخير في أرض مصر.

سنرى مرارًا وتكرارًا أنّ هذا أمر خاص باستعمال متّى للعهد القديم. فمتّى على استعداد لاستخدام أيّ نص على الإطلاق كنبوءة عن يسوع، على الرغم من أنّه لا علاقة للنصّ في الأصل بالسؤال المطروح، ولم يُقصد أبدًا أن تكون له علاقة به. لقد علِم متّى أنّ الطريقة الوحيدة -تقريبًا- لإقناع اليهود أنّ يسوع هو المسيح الموعود به من الله، إثبات أنّه كان تحقيقًا لنبوءة العهد القديم. ولحرصه على ذلك، كان يجد نبوءات في العهد القديم حيث لم يُقصد أبدًا أن تكون هناك نبوءات على الإطلاق»[3].

الخلاصة: المنهج الذي يرضاه عامة النصارى في تفسير نصوص العهد القديم على أنّها نبوءات عن يسوع

- يُسقط من شروط النبوءة كلّ ما يهبها مصداقية: الطائع النبوئي، ودلالات اللغة والسياق على الإخبار عن صفات المبشّر به.

---

(1) John Fenton, *The Gospel of St. Matthew*, pp.17-18.

(٢) ويليام باركلي William Barclay (١٩٠٧-١٩٧٨): لاهوتي ومفسّر إسكتلندي. أستاذ النقد الكتابي في جامعة Glasgow. تفسيره للعهد الجديد "The New Daily Study Bible" (١٧ مجلدًا) من أشهر التفاسير الفردية بالإنجليزيّة.

(3) W. Barclay, *The Gospel of Matthew* (Rev. and updated), The New Daily Study Bible (Edinburgh: Saint Andrew Press, 2001), p.41.

- يجعل ادّعاء إنباء العهد القديم عن أي شيء ممكنًا. وهو ما تمّ فعلًا في تاريخ التفسير النصراني للعهد القديم؛ فإنّه لم يظهر حدث ديني أو سياسي أو اجتماعي كبير، إلّا وزعم فريق من المفسّرين أنّ الأسفار القديمة قد تنبّأت به.

سنترك -في حديثنا التالي- المنهج النصراني في قراءة النبوءات وراءنا، ونكتفي بالمنهج الإسلامي الذي عليه عامة العقلاء في الحكم على صدق النبوءات وانطباقها على مقصودها؛ بالنظر في اللغة والسياق؛ لنشرح بشارات التوراة بمحمّد ﷺ.

الفصل الأول

عبد الله الإسماعيلي

يُخبرنا سفر إشعياء عن رجلٍ سيأتي بعد عصر إشعياء النبيّ، له صفاتٌ مميّزة، أَهَمُّها أنّ الله ناصرٌ دعوتَهُ، وأنّ شريعته ستنتشر في أنحاء الأرض:

«هُوَذَا **عَبْدِي** الَّذِي **أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي** الَّذِي **سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ** فَيُخْرِجُ الْحَقَّ **لِلأُمَمِ**.

لَا يَصِيحُ ولا يَرْفَعُ ولا يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ.

قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لا يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لا يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخرِجُ الْحَقَّ.

لَا يَكِلُّ ولا يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ».

هكَذَا يَقُولُ الله الرَّبُّ، خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَنَاشِرُهَا، بَاسِطُ الأَرْضِ وَنَتَائِجِهَا، مُعْطِي الشَّعْبِ عَلَيْهَا نَسَمَةً، وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا رُوحًا:

«أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ، فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ **وَنُورًا لِلأُمَمِ**،

لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ، لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ، مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ.

أَنَا الرَّبُّ هذَا اسْمِي، وَمَجْدِي لا أُعْطِيهِ لآخَرَ، ولا تَسْبِيحِي لِلْمَنْحُوتَاتِ.

هُوَذَا الأَوَّلِيَّاتُ قَدْ أَتَتْ، وَالْحَدِيثَاتُ أَنَا مُخْبِرٌ بِهَا. قَبْلَ أَنْ تَنْبُتَ أُعْلِمُكُمْ بِهَا».

غَنُّوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ. أَيُّهَا الْمُنْحَدِرُونَ فِي الْبَحْرِ وَمِلْؤُهُ وَالْجَزَائِرُ وَسُكَّانُهَا،

لِتَرْفَعِ **الْبَرِّيَّةُ** وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، **الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ**. لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ **سَالِعَ**. مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا.

لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ.

الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرُجُ. كَرَجُلِ حُرُوبٍ يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ. يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ.

«قَدْ صَمَتُّ مُنْذُ الدَّهْرِ. سَكَتُّ. تَجَلَّدْتُ. كَالْوَالِدَةِ أَصِيحُ. أَنْفُخُ وَأَنَخُرُ مَعًا.

أَخْرِبُ الْجِبَالَ وَالآكَامَ وَأُجَفِّفُ كُلَّ عُشْبِهَا، وَأَجْعَلُ الأَنْهَارَ يَبَسًا وَأُنَشِّفُ الآجَامَ، وَأُسَيِّرُ الْعُمْيَ فِي طَرِيقٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا. فِي مَسَالِكَ لَمْ يَدْرُوهَا أُمَشِّيهِمْ. أَجْعَلُ الظُّلْمَةَ أَمَامَهُمْ نُورًا، وَالْمُعْوَجَّاتِ مُسْتَقِيمَةً. هذِهِ الأُمُورُ أَفْعَلُهَا ولا أَتْرُكُهُمْ.

قَدِ ارْتَدُّوا إِلَى الْوَرَاءِ. يَخْزَى خِزْيًا الْمُتَّكِلُونَ عَلَى **الْمَنْحُوتَاتِ**، الْقَائِلُونَ **لِلْمَسْبُوكَاتِ**: أَنْتُنَّ آلِهَتُنَا!

«أَيُّهَا الصُّمُّ اسْمَعُوا. أَيُّهَا الْعُمْيُ انْظُرُوا لِتُبْصِرُوا.

مَنْ هُوَ أَعْمَى إِلاَّ عَبْدِي، وَأَصَمُّ كَرَسُولِي الَّذِي أُرْسِلُهُ؟ مَنْ هُوَ أَعْمَى **كَالْكَامِلِ**، وَأَعْمَى كَعَبْدِ الرَّبِّ؟

نَاظِرٌ كَثِيرًا ولا تُلَاحِظُ. مَفْتُوحُ الأُذُنَيْنِ ولا يَسْمَعُ».

الرَّبُّ قَدْ سُرَّ مِنْ أَجْلِ بِرِّهِ. **يُعَظِّمُ الشَّرِيعَةَ وَيُكْرِمُهَا**». (إشعياء ٤٢/ ١-٢١).

هذه البشارة، من أهمّ النّصوص التي يجب أن يدورَ حولها البحث بين المسلمين والنصارى؛ لأنّ النصرانيّ مُلزَمٌ ضرورة أن يعتقد انطباقها على مسيح الكنيسة؛ إذ الوحيُ عنده قد نصّ على ذلك في إنجيل متّى، كما أنّ انطباق هذه البشارة على نبي الإسلام ﷺ، وإن كان اجتهاديًا، إلّا أنّه مُتَّفقٌ عليه بين عامّة علماء الإسلام الذي تحدّثوا في البشارات، منذ عصر الصّحابة.

التفسير النصرانيُّ للبشارة

يؤمن النّصارى أنّ نصّ إشعياء ٤٢/ ١-٢١ بشارةٌ بيسوع الكنيسة، لأنّ إنجيل متّى ١٢/ ١٥- ٢١ قد جاء فيه: «فَعَلِمَ يَسُوعُ وَانْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ. وَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ فَشَفَاهُمْ جَمِيعًا. وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لا يُظْهِرُوهُ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الأُمَمَ بِالْحَقِّ. لا يُخَاصِمُ

ولا يَصِيحُ، ولا يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لا يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لا يُطْفِئُ، حَتَّى يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى النُّصْرَةِ. وَعَلَى اسْمِهِ يَكُونُ رَجَاءُ الأُمَمِ» » ..

وقد تحمّس القمّص عبد المسيح بسيط لدعوى انطباق هذه البشارة على المسيح؛ حتّى إنّه ختم حديثه حولها؛ بشتم المخالفين؛ قائلًا: «فليستدَّ كلُّ فم لأن فم الرَّبِّ تَكَلَّمَ، ولا مجال للحديث عن شخصٍ غير المسيح!!»[1].

وذاك يضع النصارى في اختبارٍ صريحٍ لصدق إلهاميّة الإنجيل؛ فإنّ عدم انطباق نصّ إشعياء ٤٢ على المسيح ابن مريم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كما هو في التصوّر الكنسي-؛ يُبْطِلُ ضرورة ربّانية هذا الإنجيل، وتَبطُلُ معه دعوى عِصمة الكنيسة في اختيار الأسفار المقدسة. وعند سقوط هذه العصمة يسقط العهدُ الجديد برمّته.

وقبل شرح خبر إشعياء ٤٢، لا بدّ أنْ نَنْظُرَ في أمانةِ مُؤلِّفِ إنجيل متّى في نقل النصّ المقتبس.

متّى ١٢/١٨- ٢١	إشعياء ٤٢/ ١-٦
هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي **اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي** الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي.	هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي **أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي** الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي.
أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ **فَيُخْبِرُ** الأُمَمَ بِالْحَقِّ.	**وَضَعْتُ** رُوحِي عَلَيْهِ **فَيُخْرِجُ** الْحَقَّ لِلأُمَمِ.
لَا يُخَاصِمُ ولا يَصِيحُ، ولا يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ.	لَا يَصِيحُ ولا **يَرْفَعُ** ولا يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ.
قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لا يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً **مُدَخِّنَةً** لا يُطْفِئُ،	قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لا يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً **خَامِدَةً** لا يُطْفِئُ.
حَتَّى يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى **النُّصْرَةِ**.	إِلَى **الأَمَانِ** يُخْرِجُ الْحَقَّ.
وَعَلَى اسْمِهِ يَكُونُ رَجَاءُ الأُمَمِ.	**لَا يَكِلُّ ولا يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ.**

(١) عبد المسيح بسيط، هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبي آخر يأتي بعد المسيح؟، نسخة إلكترونية.

	هكَذَا يَقُولُ اللهُ الرَّبُّ، خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَنَاشِرُهَا، بَاسِطُ الأَرْضِ وَنَتَائِجِهَا، مُعْطِي الشَّعْبِ عَلَيْهَا نَسَمَةً، وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا رُوحًا: «أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ، فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلأُمَمِ.

الاختلافات بين نصّ متّى ١٢/ ١٨- ٢١ ونص إشعياء ٤٢/ ١-٦ بالخط العريض كما هو أمامك. وهي دالة أنّ صاحب الإنجيل قد غيّر كلمات النص المقتبس في مرّات كثيرة، كما غيّر أحيانًا مواضع الكلمات دون داع. ولعلّ أبرز ما في الاقتباس حَذْفُه: «لَا يَكِلُّ ولا يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ»؛ لأنّ مسيح الكنيسة قد انكسَرَ على الصّليبِ حتّى صاح «إلهِيْ إلهِيْ لماذا تركتني؟!» (متّى ٢٧/ ٤٦، مرقس ١٥/ ٣٤)، كما أنّه لم تكن ليسوع شريعةٌ؛ إذ إنّ بولس قد لخّص دعوة المسيح في إلغاء الشّريعة لأنّها عاجزةٌ عن إصلاح ما فَسَدَ من الناس: «إِذ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لا يَتبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لا بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لا يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا». (غلاطية ٢/ ١٦).

لقد غيّر مؤلّف إنجيل متّى نص إشعياء ٤٢/ ١-٦ بصورة جليّة، بلا سَلَف؛ حتّى قال الناقد هاغنر[١] هنا: «على الرغم من أن نص الاقتباس يتّفق مع الترجمة السبعينية في بضع نقاط، إلا أنّه في الغالب يجب وصفُه بأنه **غير سبعينيّ**. من ناحية أخرى، لا **يتّبع الاقتباسُ النصَّ الماسوري العِبريّ** عن كثب أيضًا. ربما يكون متّى قد صاغ الترجمة من مصادر كانت متاحة له (الترجومات على سبيل المثال) أو أَنْتَجَ ترجمتَهُ الخاصّة (كما هو رأي الناقدان ديفيس وأليسون[٢]) لكي يتناسب **مع أغراضِهِ الخاصّة**»[٣].

(١) دونالد ألفرد هاغنر Donald Alfred Hagner (١٩٣٦-): ناقد أمريكي متخصص في دراسات العهد الجديد. درّس في Fuller Theological Seminary.

(2) William David Davies, Dale C. *Allison, A Critical and Exegetical Commentary on the Gospel According to Saint Matthew* (Bloomsbury Academic, 1988).

(3) D. A. Hagner, *Matthew 1-13*. Word Biblical Commentary (Dallas: Word, Incorporated, 2002), p.336.

وقال الناقد جون فنتون: «**من الواضح أنّ متّى لم يتّبع نصّ أيٍّ من النُّسْخَتَيْنِ العبرية أو اليونانية، لكنه سار على أخذِ نصوصٍ حسبما رآها تناسب رأيَهُ من أنّ النبوءة تحقَّقَتْ في يسوع وفي الكنيسة**. ولقد حذفَ متّى سَطْرَيْنِ من إشعياء ٤٢/ ١-٤، ولكنَّهُ أبقى على السَّطْرِ الأخير الذي رأى أنّه يُحَقِّقُ هَدَفَهُ»(١).

التفسير الإسلاميُّ للبشارة

يرى المسلمون أنّ بشارة إشعياء ٤٢/ ١-٦ لا تنطبق على المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، خاصّةً في صورته الكنسيّة، وإنّما تنطبق على محمد ﷺ بصورة جليّة. وهذا ما فهمه أحد أعلام الصحابة منذ زمن النبوّة، فعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: «أَجَلْ، والله إنّه لموصوفٌ في التوراة ببعض صِفَتِهِ في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وحِرْزًا للأُمّيّين، أنت عبدي ورسولي، سَمَّيْتُكَ المتوكّل، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا صَخَّابٍ في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملّةَ والعوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أَعْيُنًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلفًا»(٢).

وللوفاء للبحث بواجب الأمانة والإنصاف؛ سندرس سويًّا المعاني المركزية في البشارة، مستصحبين صورة «يسوع» كما هي عند الكنيسة، وصورة محمّد ﷺ كما هي في الرؤية الإسلامية، مع الرجوع إلى الأصل العبري كلّما اقتضى الأمر ذلك.

«هُوَذَا عَبْدِي»:

من المتفق عليه بين المسلمين وخصومهم أنّ محمدا ﷺ ما ادّعى أنه فوق مرتبة العبودية لله -سبحانه-. وقد جاء وصفه في القرآن بالعبودية مرارًا:

- ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].
- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [الكهف: ١].

(1) John Charles Fenton, *The Gospel of St. Matthew*, p.195.

(٢) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق (ح/ ٢٠١٨).

- ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].
- ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦].
- ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

كما قال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله»[1].

أما يسوع الإنجيلي، فإنّ الكنيسة تَنْسِبُه إلى الألوهيّة وتَسْحَبُه من عَرْشِه السّماويّ إلى خَشَباتِ الصَّلِيبِ الرُّومانيّ ليكون إلهًا مُتَجَسِّدًا. ومن اللّافت هنا تلاعُبُ مؤلّف إنجيل متّى والمترجمون العرب بكلمة «عبدي» "עַבְדִּי" [عَبدي] العبرية؛ فإنّ مؤلّف إنجيل متّى قد نقل النص باليونانية مستحضرًا أنّ كلمة "παῖς" [بائس] التي استعملها والواردة في الترجمة السبعينية، تعني: «عبد» و«ولد»، رغم أنّ كلمة «عبد» "עֶבֶד" [عِبِدْ] في الأصل العبري لا يُمكن أن تترجم إلى «ولد»، كما أنّ الترجمة السبعينية لم تستعمل عبارة "παῖς μου" إلّا بمعنى «عبدي»[2]. وأمّا الترجمات العربية؛ فالسائد فيها ترجمة «عبدي» في متّى ١٢/ ١٨ بكلمة: «فتاي»؛ متابعةً للتّلاعبِ اللّفظيِّ لمؤلّف إنجيل متّى اليوناني بالأصل العبري!

والقول إنّ البشارة جاءت هنا متعلّقة بناسوتٍ للمسيح (الجسد الأرضي)، لا لاهوته (طبيعته الألوهية)، فاسد من أوجه:

- لم يشر هذا النصّ الذي نزل في بيئة توراتيّة إلى الناسوت واللاهوت؛ فهو بذلك يُخاطب القوم بما لا يفقهونه، على زعم النصارى!
- ليس في البشارة أنّ هذا «العبد» له سلطان خارق من طبيعة لاهوته، وإنّما تتمّة البشارة مخبرة أنّه يستمد قوّته من الله على الصورة التي يفهمها اليهود من عون الربّ لأنبيائه.

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، (ح/ ٣٢٨٧).

(2) J. Nolland, *The Gospel of Matthew: A commentary on the Greek text* (Grand Rapids, Mich.; Carlisle: W.B. Eerdmans; Paternoster Press, 2005), p. 492

- الإخبار أنّ المبشَّر به عبدٌ في أوّل البشارة؛ إعلان لأظهر صفة له، وليس يسوع المؤلّه كذلك عند النصارى؛ فالبشرية صفّة طارئة عند التجسّد.
- لا معنى لأن تكون فاتحة البشارة عن الناسوت، وتكون تفاصيل بقيّة البشارة عن اللاهوت؛ فهذا اضطراب في الحديث عن هذا المنتظَر.

«الذي أَعْضُدُهُ»:

محمّدٌ ﷺ، النبيّ المؤيد من الله -سبحانه-، الذي أفاض عليه بمعجزات هائلةٍ نَصَرَهُ بها على أعداء التوحيد. ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

أما يسوع الإنجيليُّ فتُقَدّمُهُ الكنيسة على أنّه هو نفسه المعبودُ المستجار بسلطانه والملتجَأُ إلى قدرتِه. ثم هو أيضًا الذي تمكَّنَ منه الرُّومانُ؛ فقتلوه، بعد إهانتِه؛ فلم يجدْ نصيرًا يَعْضُدُهُ.

«مُخْتَارِي»:

«مختاري» أي الذي اصطفاه الله من خلقه ليكون المبلِّغَ عنه وليكون حُجّته على العالمين. ومعلومٌ أنّ من أسماء نبيّ الإسلام ﷺ «المصطفى». قال الإمام ابن حجر في شرحه لحديث جبيرٍ بن مطعم في صحيح البخاري: «... ومن أسمائه المشهورة: المختار والمصطفى والشفيع والمشفّع والصادق والمصدوق»[(١)].

أمّا يسوع الإنجيليّ، فهو طِبْقَ اعتقاد الكنيسة، المنوط به اصطفاء الأنبياء والرُّسُل، ولا يَصْطَفِيْهِ غيرُه؛ فهو صاحبُ القول والأمر. وأمّا ما جاء في لوقا ٩/ ٣٤-٣٥: «وبينما هو يتكلَّمُ، ظَهَرَ غَمَامٌ ظَلَّلَهُمْ، فلما دَخَلُوا في الغَمَامَ خَافَ التّلاميذُ وانْطَلَقَ صوتٌ من الغَمَامِ يقول: هذا هو ابني الذي اخترتُه، فَلَهُ اسمعوا»؛ فلا معنى له، إلّا على القول الهرطقيّ لطائفةِ التَّبَنّي adoptionism التي تؤمن أَنَّ الآب قد تَبَنَّى يسوعَ لاحقًا؛ ليكون ابْنَهُ، لا أنّه إلهٌ ابنٌ منذُ الأَزَلِ. ويبدو أنّ ذاك سببُ تحريفِ هذا النصّ في المخطوطات المتأخّرة:

---

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ٦/ ٥٥٨.

Textus Receptus[1]	King James version	الفاندايك
ουτος εστιν ο υιος μου ο αγαπητος	This is my beloved Son	هذا هو ابني الحبيب

وهو ما اعترف به الناقد ديل ب. مارتن[٢].

«وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ»:

وضع الربُّ رُوحَهُ على أحدِ عباده، أن يُرسِل إليه وَحْيًا عن طريق رُوْحٍ من عِنده (جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ). والإكرامُ بالرُّوحِ؛ اجتباءٌ للرسالة، وتعليمٌ للعبدِ ما لم يكن يَعْلَمُ. قال تعالى في خطابه -سبحانه- لعبده ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقد اقترن حلول الرُّوحِ على بعض الأصفياء، بالنبوّة؛ فقد جاء مثلًا في سِفر أخبار الأيام الثاني ١٥/ ١: «وَكَانَ رُوحُ الله عَلَى عَزَرْيَا بْنِ عُودِيدَ». وجاء في سفر العدد ١١/ ٢٩: «فَقَالَ لَهُ مُوسَى: «هَلْ تَغَارُ أَنْتَ لِي؟ يا لَيْتَ كُلَّ شَعْبِ الرَّبِّ كَانُوا أَنْبِيَاءَ إِذَا جَعَلَ الرَّبُّ رُوحَهُ عَلَيْهِمْ»».

كما يُفهم من عبارة «وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ»، تأييدُ هذا العبدِ بالرُّوحِ القُدُسِ ومن معه من الملائكة. وقد كان ذلك لمحمّد ﷺ في معركة بدرٍ وفي معارك أخرى له ولأمّته من بعده. وأمّا يسوع الإنجيليُّ فقد صَرَخَ على الصّليبِ بعد أن تمكّنَ منه أعداؤُه: «إلهيْ !إلهيْ! لماذا تركتني !» (متّى ٢٧: ٤٦، مرقس ١٥: ٣٤). كما أنّه إلهٌ معبودٌ لا نبيٌّ مربوبٌ!

«يُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ»:

ومحمد ﷺ هو الذي أُرسِلَ للأمم جميعًا، وقد كانت الأنبياء قبلَهُ تُرْسَلُ إلى قومِها خاصّةً. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

---

(١) النص المستلم Textus Receptus: هو النص اليوناني الذي اعتُمد عليه لإصدار أهم ترجمة إنجليزية (KJV) وعربية (الفانديك) للعهد اجديد.

(2) Dale B. Martin, *New Testament History and Literature* (London: Yale University Press, 2012), p.262.

وأمّا يسوع فما تجازوت رسالتُه بني إسرائيل؛ فهو القائل: «لَمْ أُرْسَلْ إلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». (متّى ١٥/ ٢٤).

كما أنّ مملكته ليست أرضيّةً، وإنّما هي سماويّةٌ؛ فهو القائل: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لا أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا». (يوحنّا ١٨/ ٣٦).

والنصّ الوحيد الذي وُضع على لسان المسيح دلالةً على عالميّة رسالته، جاء في متّى ٢٨/ ١٩: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ». وهو مخالِفٌ لكلّ تصريحات المسيح في الأناجيل في أنّ دعوتَهُ خاصّةٌ ببني إسرائيل وحدَهُمْ. ولذلك جاء في معجم الكتاب المقدس "The Anchor Bible Dictionary" (١/ ٥٨٥): «وفقًا **لإجماعٍ عِلميٍّ واسِعٍ**، ليس [هذا القول] قولًا صحيحَ النّسبةِ إلى يسوعَ»[(١)].

«لَا يَصِيحُ ولا يَرْفَعُ ولاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ»:

وَصْفُ المبشَّر به أنه «لَا يَصِيحُ ولا يَرْفَعُ ولا يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ»، دالٌّ على أمرَيْنِ: أوّلهما أنّه صاحبُ حُجّةٍ وبيانٍ؛ فَدَلِيْلُهُ على صِدقِهِ؛ حالُه وحالُ دعوته، وثانيهما أنّه رفيقٌ بالنّاس؛ فلا يَزْجُرُهُمْ عن غِلْظةٍ وعُنْفٍ، وإنّما يَترَفَّقُ بهم، ما كان الرّفقُ حادِيَهُم إلى الحقّ.

وقد كان يسوعُ الكنيسة رفيقًا بالنّاس في عامّةِ أَمْرِهِ -وإن اتَّهَمَ بُطرس زعيم أصحابه أنّه شيطانٌ (متّى ١٦/ ٢٣)-، ولكنّه كان يأبى المحاجَجَةَ والمناظرة في غيرما موقفٍ (متّى ٢٢/ ٢١، مرقس ١٢/ ١٤-١٧، لوقا ٢٠/ ٢٢- ٢٥)، كما أنّه كان يغلبُ عليه الحديث بالأمثال لا الكلام البيِّنِ المباشر (متّى ١٣/ ٣٤)!

وأمّا نبي الإسلام ﷺ؛ فقد كان لَيِّنَ الجانب، سَهْلًا، سَمْحًا. قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقد وَصَفَ أحدُ الصَّحابةِ الرَّسُولَ ﷺ بقوله: «كان طويلَ الصَّمْتِ، قليلَ الضَّحك، وكان أصحابُه ربما تناشدوا عنده الشِّعرَ والشَّيءَ من أمورهم، فيضحَكُون، وربما يَتبَسَّمُ»[(٢)].

---

(1) L. Hartman, art. Baptism. In D. N. Freedman, ed. *The Anchor Yale Bible Dictionary* (New York: Doubleday, 1996) 1/585.

(٢) رواه أحمد، (ح/ ٢٠٨٢٩) وغيره. صحّحه ابن تيمية.

«قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لا يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لا يُطْفِئُ»:

وُصِفَ المبشَّرُ به هنا أنّه لَيِّنُ الجانب مع الضِّعاف؛ يستنصر بهم على الباطل ولا يبخسهم حَقَّهم وفضلهم. وهو ما يَظْهَرُ بصورة أوضح في ترجوم يوناثان (إشعياء ٤٢/٣):

الودعاء الذين يشبهون قَصَبةً مرضوضةً لا يَكْسِرُ، والفقراء الذين هم كَفَتِيْلَةٍ مُتَلَأْلِئَةٍ معه، لا يُطْفِئُ. بأمانةٍ يقضي بالعَدْلِ.	עִנְוְתָנַיָא דְאִינוּן דָמָן לְקַנְיָא רְעִיעַ לָא יִתַּבְּרוּן וַחֲשִׁיכַיָא דְכְבוּצִין עַמִּי לָא יִטְפוּן לְקוּשְׁטָא יַפֵּיק דִינָא

كما أنّ كَسْرَ القَصَبَةِ المرضُوضةِ مَثَلٌ أَكاديٌّ قديم؛ فقد قال آسرحدون أحد ملوك الدّولة الآشورية الحديثة (٦٨٠-٦٦٨ ق.م.) -مُفتخِرًا بنفسه- بأنه «بدعم جدير بالثّقة من آشور، وشمش، ونابو، ومردوخ... كلُّ أولئك الذين ليسوا خاضعين له، الملوك غير خاضعين له، قد الْتَقَطَهُمْ مثل قَصَبِ الأهوار، وأَخْضَعَهُمْ تحت قَدَمَيْهِ»(1).

وقد كان محمّد ﷺ حَفِيًّا بالضِّعاف، لَيِّنَ الجانب معهم، يأخذ بأيديهم إلى الحقّ. قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقالت زوجُه عائشة رضي الله عنها: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ خَادِمًا لَهُ قَطُّ، ولا امْرَأَةً، ولا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، ولا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ، إِلَّا كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَيْهِ أَيْسَرُهُمَا، حَتَّى يَكُونَ إِثْمًا، فَإِذَا كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ الْإِثْمِ، ولا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ مِنْ شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(2).

كما أَثْبَتَ سِفرُ إشعياء ٣٦/٦ وَصْفَ القَصَبَةِ المرضُوضة لمصرَ: «إِنَّكَ قَدِ اتَّكَلْتَ عَلَى عُكَّازِ هذِهِ الْقَصَبَةِ الْمَرْضُوضَةِ، عَلَى مِصْرَ، الَّتِي إِذَا تَوَكَّأَ أَحَدٌ عَلَيْهَا دَخَلَتْ فِي كَفِّهِ وَثَقَبَتْهَا. هكَذَا فِرْعَوْنُ مَلِكُ مِصْرَ لِجَمِيعِ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ». وقد أوصى الرسول ﷺ بمصر و أهلها

---

(1) J. H. Walton, Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary (Old Testament) Volume 4: Isaiah, Jeremiah, Lamentations, Ezekiel, Daniel (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2009), p.139

(٢) رواه أحمد، (ح/ ٢٦٠٦٥).

خيرًا فقال: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا»[1].

أما يسوع الكنيسة؛ فإنّه وإن كان وديعًا في معاملته للضِّعاف، إلّا أنّه هو نفسه كان مُسْتَضْعَفًا من اليهود والرومان. كما أنّه لم يكن صاحب سلطةٍ زمنيّةٍ أرضيّةٍ، وما كان بالتالي مُتَسَلِّطًا على مصر، بل فَرَّ يوسفُ النجار به وبأمّهِ إلى مصر لمّا كان صغيرًا كما هو مُدَّعى في إنجيل متّى ٢/ ١٣- ١٩.

وقد حاول بعض النصارى ردّ تعلّق هذه البشارة بنبيّ الإسلام ﷺ، بدعوى أنّ عدم كسر القصبة يُقصد به ترك الحروب والشدّة مع الباطل كليّة، وذاك مخالف لحال نبيّ الإسلام ﷺ صاحب الغزوات!

وذاك اعتراض فاسد؛ لما شرحناه سابقًا من معنى العبارة. كما أنّ اليهود لم يفهموا هذا الوصف على تلك الصورة. ثم إنّ هذا التفسير النصراني مواجهٌ بإجماع النصارى أنّ المزمور الثاني بشارة بيسوع. وقد جاء في العدد التاسع من هذا المزمور: «تُحَطِّمُهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ. مِثْلَ إِنَاءِ خَزَّافٍ تُكَسِّرُهُمْ» (مزمور ٢/ ٩). كما جاء إنجيل يوحنا أنّ يسوع قد عنّف مخالفيه: «وَكَانَ فِصْحُ الْيَهُودِ قَرِيبًا، فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَوَجَدَ فِي الْهَيْكَلِ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ بَقَرًا وَغَنَمًا وَحَمَامًا، وَالصَّيَارِفَ جُلُوسًا. فَصَنَعَ سَوْطًا مِنْ حِبَال وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ، اَلْغَنَمَ وَالْبَقَرَ، وَكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَارِفِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَهُمْ. وَقَالَ لِبَاعَةِ الْحَمَامِ: «ارْفَعُوا هذِهِ مِنْ ههُنَا! لاَ تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ!». فَتَذَكَّرَ تَلاَمِيذُهُ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «غَيْرَةُ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي»». (يوحنا ٢/ ١٣-١٧).

«إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ»:

لقد كان محمد ﷺ حاكمًا بين قومِه وجاء بشريعةٍ تسوسُ الأُمَمَ بالقِسطِ والبرّ. أما يسوعُ الإنجيليُّ فما كان حاكِمًا على قومِهِ.

«لَا يَكِلُّ ولا يَتكَسرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ»:

التاريخ شاهد أنّ محمدًا ﷺ قد جاهَدَ باللِّسان والسِّنانِ وجمعَ بين المجادلة والمجالَدَة لسنوات حتّى يُقِيمَ شرع الله -سبحانه- على الأرض. ومحمد ﷺ هو الذي

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر (ح/ ٢٥٤٣).

خُتِمَتْ رسالتُه بقول الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

أما يسوع الإنجيليُّ فقد اعترفَ أنّ دعوته لم يُسْتَجَبْ لها من قومِه؛ فقال: «لَيْسَ لِنَبِيٍّ كَرَامَةٌ فِي وَطَنِهِ» (يوحنّا ٤/ ٤٤). وشهد إنجيل يوحنّا أنّ يسوعَ «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ». (يوحنّا ١/ ١١).

«تَنتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ»:

لقد وصلت شريعةُ الإسلام إلى أقصى جُزُرِ الأرضِ. أما يسوعُ فلا شريعةَ له؛ إذ هو قد نسَخَ جميع الشرائع السابقة بِدَمِهِ المهدور على الصَّليب. وقد نبَّهَ الناقد و.د. ديفيس بعد بحثٍ مُطوَّلٍ في تراث الأحبار، إلى أنّ دوائرَ منها كانت تنتظرُ أن يأتِيَ المسيحُ المنتظرُ آخر الزمان بتوراةٍ جديدةٍ تنسخُ التوراة الأولى(١).

«أنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ»:

العبارةُ هنا فيها غموضٌ إذ الترجمةُ العربيّة حرفيّة كُلِّيًّا(٢). ولعلّ المعنى الأظهر هو أنّ الله قد دعا هذا العبد إلى التزام البرّ، كما أنّ الحديث عن البرّ يكون أحيانًا مرتبطًا بالجهاد في سبيل الله مثل ١صموئيل ١٢/ ٧: «فَالآنَ امْثُلُوا فَأُحَاكِمَكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ بِجَمِيعِ حُقُوقِ الرَّبِّ [כָּל־צִדְקוֹת יְהוָה جميع أعمال برّ الربّ] الَّتِي صَنَعَهَا مَعَكُمْ وَمَعَ آبَائِكُمْ»، وإشعياء ٤٦/ ١٣: «قَد قَرَّبْتُ بِرِّي، لا يَبْعُدُ. وَخَلاَصِي لا يَتَأَخَّرُ. وَأَجْعَلُ فِي صِهْيَوْنَ خَلاَصًا، لإِسْرَائِيلَ جَلاَلِي»، وإشعياء ٥٩/ ١٧: «فَلَبِسَ الْبِرَّ كَدِرْعٍ، وَخُوذَةَ الْخَلاَصِ عَلَى رَأْسِهِ. وَلَبِسَ ثِيَابَ الانْتِقَامِ كَلِبَاسٍ، وَاكْتَسَى بِالْغَيْرَةِ كَرِدَاءٍ»(٣).

وفي القرآن أنّ نبيّ الإسلام ﷺ كان لا يَدرِي ما الكتابُ ولا الإيمانُ، فَعَلَّمَهُ الله سبحانه ما لم يَكُنْ يَعْلَمُ، ووَفَّقَهُ لأحسنِ الأعمال والأخلاق: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧](٤). وليس ذلك ليسوع؛ إذ إنّ يسوع إلهٌ كاملٌ، بِرُّهُ من ذاته؛ فلا يهديه إليه أحدٌ.

---

(1) W.D. Davies, *Setting*, pp.183-189 (Cited in: R.T. France, *The Gospel of Matthew*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2007, p.183)

(2) אֲנִי יְהוָה קְרָאתִיךָ בְצֶדֶק

(3) M. A. Fishbane, *Haftarot*. The JPS Bible commentary (Philadelphia: The Jewish Publication Society, 2002), p.6.

(٤) انظر عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ص ٩٢٨.

«أَمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ»

تُخبر هذه البشارة أنّ الله حافِظٌ عَبْدَهُ. وقد جاء ذلك في محمّد ﷺ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]. وأمّا يسوع الإنجيليُّ فقد قُتِل على الصّليب الروماني بتحريضٍ يهوديٍّ.

وقد ذهب بعض النقّاد إلى أنّ عبارة "אצרך" والمعرّبة هنا «أَحْفَظُكَ»، ليست من جذر "נָצַר" [ناصر]، بمعنى حفظ، وإنّما هي من جذر "יצר" «ياصر»، بمعنى صَوَّرَ وشَكَّلَ[1]. وهو معنى يُقصِي يسوع أيضًا لأنّه أقنومٌ أَزَليٌّ، لم يُشَكِّلْهُ أحدٌ، وأمّا محمّد ﷺ؛ فقد رعاه الله في كلّ أمره. قال تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٣-٨].

«وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلأُمَمِ»

تشير هذه النبوءة إلى أنّ هذا الآتي سينير الظُّلمةَ التي تعيشها الأُممُ. وقد قال تعالى في نبي الإسلام ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩]. كما جاء في وصفه ﷺ أنّه مصدر النُّور، كما في بشارتنا هذه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

وقال يسوع عن نفسه: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يوحنّا ٨/ ١٢)، ولكنّ يسوعَ كان طول حياتِه يَمْنَعُ مِن دعوةِ غيرِ بني إسرائيل؛ فقد قال لتلاميذه: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لا تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». (متّى ١٠/ ٥-٦).

«لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ».

قال المفسّر آدم كلارك: «البريّة: أقلّ البلاد زرعًا، وأكثر الناس جلافة وبُعدًا عن

(1) Biblical Studies Press. (2006; 2006). *The NET Bible First Edition Notes* (Is 42: 6). Biblical Studies Press.

التحضُّر سيعترفون بنعمةِ معرفة الله التي مُنِحتْ لهم بكرمٍ، وسيحتفلون بذلك بامتنانٍ. وبالصَّحراء (البريّة) يُقصد البلاد العربية الصحراوية Arabia Deserta»[1].

ولا علاقة للمسيح بقيدار ومسكنهم؛ فإنّ قيدار من نَسْلِ إسماعيل؛ وهو رمزٌ للعَرَبِ في هذا السّياق؛ فهو الابنُ الثاني لإسماعيل (تكوين ٢٥/ ١٣).

ومن أدلّة ذلك:

أولا: ترجوم يوناثان وضع مكان «قيدار» في ترجمته الآرامية لنصّ إشعياء ٤٢/ ١١: «بريّة العرب» "מִדְבַּר עַרְבָאֵי".

ثانيا: جاء في حزقيال ٢٧/ ٢١: «اَلْعَرَبُ وَكُلُّ رُؤَسَاءِ قِيدَارَ هُمْ تُجَّارُ يَدِكِ بِالْخِرْفَانِ وَالْكِبَاشِ وَالأَعْتِدَةِ. فِي هذِهِ كَانُوا تُجَّارَكِ».

ثالثا: كان من عادة الأحبار الإشارةُ إلى العرب بالقيداريين. ومن الشّهادات على ذلك ما جاء في «معجم الكتاب المقدّس» لويليام سميث، في مقالة: «قيدار»: «يبدو أنّ القبيلة كانت من أكثر القبائل الإسماعيليّة ظُهورًا، ومن ثم فإن الحاخامات يَدْعُون العربَ عامّةً بهذا الاسم»[2]. وقول المفسّر جوزيف أديسون ألكسندر[3] في تعليقه على إشعياء ٢١/ ١٦ عند كلمة «قيدار»: «وُضِع الاسمُ هنا لقبيلةٍ عربيّةٍ أو للبلاد العربيّة عامّةً (إشعياء ٤٢/ ١١، ٦٠/ ٧، حزقيال ٢٧/ ٢١). يُسمّي الأَحبارُ اللغة العربيّة: لُغَةَ قيدار»[4]. وهو ما أَكَّدَتْهُ المستشرقة اليهوديّة حواء لازروس –يافيه[5] بقولها إنّ الكتابات المدراشية والأدبيات اليهوديّة في القرون الوسطى، كانت ترى أسماء الأعلام والمواضع؛ كهاجر وإسماعيل في

(1) Adam Clarke, *The Holy Bible, Containing the Old and New Testaments* (New York: B. Waugh, 1833), 3/813.

(2) William Smith, *Dictionary of the Bible* (Hartford: S.S. Scranton, 1908), p.446.

(٣) جوزيف أديسون ألكسندر Joseph Addison Alexander (١٨٠٩–١٨٦٠): قسيس أمريكي. ناقد كتابي، له عناية خاصة باللغة العبرية. درّس في Princeton Theological Seminary.

(4) Joseph Addison Alexander, *Commentary on Isaiah* (Mich. Kregel Publications 1992), 1/378.

(٥) حواء لازروس –يافيه Hava Lazarus-Yafeh (١٩٣٠–١٩٩٨): مستشرقة "إسرائيلية" شهيرة. لها عناية خاصة بالتراث اليهودي العربي.

سِفر التكوين، وقيدار ومَدْيَنَ الواردة في الجزء المسمى[1] "Deutero-Isaiah" في سِفر إشعياء؛ كإشارة إلى العرب والمسلمين[2]. بل لقد ذهب اثنان من أكبر علماء اليهود في القرون الوسطى، وهما موسى بن ميمون[3] وداود قِمحي[4] إلى المطابقة بين قيدار وقريش[5].

رابعًا: من شهادات النّصارى بعد الإسلام أنّ قيدار اسمٌ يُقصد به العربُ، شهادة قدّيس الكنيسة بدا[6] المتوفى في القرن الثاني الهجري أنّ نصّ مزمور ١٢٠/ ٥: «وَيْلِي لِغُرْبَتِي فِي مَاشِكَ، لِسَكَنِي فِي خِيَامِ قِيدَارَ!». فقد قال إنّ هذا النصّ يشير إلى Saracens أعداء الكنيسة[7]. ومن المعلوم أنّ لَقَبَ Saracens كان أشهرَ ألقابِ المسلمين في القرون الهجرية الأولى[8]. وقد أورد هذا التعليق في إشارة إلى الفتوحات الإسلاميّة. كما جاء في

---

(١) يرى عامة النقاد في الغرب اليوم، أنّ سفر إشعياء قد ألّف على يد ثلاثة محررين، ولذلك يقسمونه إلى ثلاثة أجزاء (Original Isaiah, Deutero-Isaiah, Trito-Isaiah) John L. McKenzie, *Second Isaiah*, New York: Doubleday, Garden City, 1968, pp. xv-xviii)

(2) Hava Lazarus-Yafeh, *Intertwined Worlds, Medieval Islam and Bible Criticism* (Princenton: Princenton University Press, 1992), pp. 83-84.

(٣) موسى بن ميمون (١١٣٥-١٢٠٤): حاخام يهودي، ولد في قرطبة. كان متعدد الفنون، له اهتمام خاص بالفلسفة والدين والفلك والطب.

(٤) داود قِمحي דוד קמחי (١١٦٠-١٢٣٥م): حبر ومفسّر ونحوي يهودي شهير.

(5) Moses Maimonides, *The Epistles of Maimonides: Crisis and Leadership*, tr. and notes by Abraham Halkin (Philadelphia: Jewish Publication Society 1993), pp.126; 147

(٦) قديس الكنيسة بدا Saint Bede (٦٧٢-٧٣٥): راهب إنجليزي شهير. رسّمه البابا ليون الثالث عشر ملفانا Doctor of the Church. اشتهر بكتابه في تاريخ الكنيسة في إنجلترا Ecclesiastical History of the English.

(7) Bede, Opera quae supersunt omnia, 8.185 (written 716 CE) (Cited in: Robert G. Hoyland, *Seeing Islam as others saw it: a survey and evaluation of Christian, Jewish, and Zoroastrian writings on early Islam* (Princeton, N.J.: Darwin Press, 1997, p.227).

(8) Sozomen, *The Ecclesiastical History* (London: H.G. Bohn, 1855), p.309.

تعليق الترجمة اليسوعيّة على الكتاب المقدّس: «أحفاد إسماعيل هم عرب الصّحراء وحياتهم حياة التّرحال والاستقلال. و هذا ما يذكّرنا بالشّعر الجاهليّ»[١].

خامسًا: جاء في نقشٍ للملك الآشوريّ آشوربانيبال (توفي ٦٢٧ق.م) استعمالُ كلمةِ قيدار كمرادفٍ للبلاد العربيّة[٢].

سادسًا: جاء في تفسير الكتاب المقدّس الذي أشرف عليه النّاقد النصرانيّ دميلّو أنّ عبارة «قيدار في بشارة إشعياء ٤٢ تشير إلى القبائل العربية[٣]. ووافَقَهُ على ذلك كثيرٌ من المفسّرين.

سابعا: جاء في هامش مخطوطة الكتاب المقدس (COP 8-4)، والتي تعود إلى القرن١٧: "قال المفسّر لفظة قيدار تفسيرها قريش وهو أب قبيلت (كذا) محمد"[٤].

نبوءة عن بلاد العرب

١٣وحيٌ مِنْ جِهَةِ بلادِ العَرَبِ: في الوَعرِ في بلادِ العَرَبِ تبيتينَ، يا قَوافِلَ الدّادانيّينَ. ١٤هاتوا ماءً لمُلاقاةِ العطشانِ، يا سُكّانَ أرضِ تيماءَ. وافوا الهارِبَ بخُبزِهِ. ١٥فإنّهُمْ مِنْ أمامِ السُّيوفِ قد هَرَبوا. مِنْ أمامِ السَّيفِ المَسلولِ، ومِنْ أمامِ القَوسِ المَشدودَةِ، ومِنْ أمامِ شِدّةِ الحَربِ. ١٦فإنّهُ هكذا قالَ ليَ السّيِّدُ: «في مُدّةِ سنَةٍ كسَنَةِ الأجيرِ يَفنَى كلُّ مَجدِ قيدارَ، ١٧وبَقيّةُ عَدَدِ قِسيِّ أبطالِ بَني قيدارَ تقِلُّ، لأنَّ الرَّبَّ إلهَ إسرائيلَ قد تكلَّمَ».

---

(١) ترجمة الرهبانية اليسوعية (بيروت: المكتبة الشرقية، ١٩٨٨م)، ص٩١ (الش).

(2) “Ishmael” art., Thomas Kelly Cheyne and Sutherland Black, eds., *Encyclopædia Biblica* (London: Macmillan, 1901), 2/2213.

(3) John Dummelow, *A Commentary on the Holy Bible* (New York: Macmillan Company, 1909), p.٤٤١

(4) < https://archive.org/details/COP8-4/page/n65/mode/2up>. retrieved 1-8-2021

(صور المخطوطات العربية في هذا الكتاب، جمعها الأستاذ منير حبابة. وقد اقتنصها من مجموع المخطوطات التي رفعتها البطريركية القبطية الأروثوذكسية على موقع "أرشيف" الإلكتروني.)

ثامنًا: قطعَ الناقد شارلز فوستر[1] أنّ كلّ مَنْ يعرِفُ الجغرافيا العربيّة، لا بدَّ أن يُقِرَّ أنّ أرض قيدار هي الحجاز، وتدخل فيها أهمُّ مدنها: مكّة والمدينة. فقال نصًّا في مطابقة نص إشعياء ٤٢/ ١٠-١١ للحجاز: «إنّ اتفاق هذا الوصف التصويريّ مع مناطق الحجاز واضحٌ بصورةٍ كبيرةٍ»، واستدلَّ على ذلك بالحديث عن الصَّخْرِ والجبال حيث يُطلَقُ الكلام ليُسْمَعَ من الجُزُرِ؛ بما يَشْهَدُ أنّنا أمام منطقةٍ محاذيةٍ للبحرِ، مع وصفِ هذه المنطقة أنّها بريّة أو صحراء. وهي أوصاف لا يراها فوستر تنطبق إلّا على الحجاز[2].

وديار قيدار بن إسماعيل (جزيرة العرب) لم تظهر فيها النّصرانية إلا في قبائلَ قليلةٍ، ولم يحكمها كُلُّها غير الإسلامِ.

«لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ».

كلمة **סֶלַע** [سِلَع] محلّ خلاف بين المفسّرين؛ فالكلمة في العبرية تعني «صخرة»[3]. وذهب فريق من المفسّرين إلى أنّها مرادفة لمنطقة البتراء. وفي هذا يقول تفسير Cambridge Bible for Schools and Colleges: «سُكّان الصخرة. ترجمة Revised Version فيها: «سكّان سلع» والتي يبدو أنّها البتراء. من الصعب تحديد الترجمة الأفضل. وتجدر الإشارة هنا إلى أن تعريف سلع أنّها البتراء -في أي من نصوص الكتاب المقدس- يُعارضه بشدّة كثيرٌ من العلماء»[4].

وسواء أكان الحديث عن الصخرة أو البتراء؛ فالحديث متعلّقٌ بالبلاد العربيّة التي شهدتْ أنوارَ البعثة النبوية؛ فالحجازُ بلدٌ جَبَلِيٌّ صَخْرِيٌّ، ومنه مكّة، والبتراءُ تقع في شمال البلاد العربية. علمًا أنّ المؤرّخ الأرمني النصراني توما الأرتسروني[5] الذي وُلِد في القرن

---

(١) تشارلز فوستر Charles Forster (١٧٨٧-١٨٧١): قسيس إنجليكاني. صاحب كتاب: "الإسلام مكشوفا".

(2) The Rev. Charles Forster, *The Historical Geography of Arabia*, Vol. 1, Section III, Settlements of Ishmael, (1844) 242-243 .

(3) Samuel Pike, *A Compendious Hebrew Lexicon* (Cambridge: Hilliard & Metcalf, 1811), p.92.

(4) J. Skinner, The Cambridge Bible for Schools and Colleges (Cambridge: The University Press, 1905), 22/30.

(5) Thomas Artsruni

التاسع الميلادي، قد ذكر أنّ نبي الإسلام كان يدعو إلى دينه في مكّة التي تقع في «فاران البتراء العربيّة»[١].

ويبقى الاحتمال الآخر أنّ [سِلَع] دون الحركات التي أضيفتْ إليها لاحقًا، هي سلع: جبلٌ معروفٌ في المدينة المنوّرة، كما في «معجم البلدان» لياقوت[٢] وغيرِه من كتب الجغرافيا واللُّغة. وقد اختار ترجوم يوناثان تجاهل البتراءَ. وترجم هذا المقطع على الصورة التالية:

لِيُسَبِّحَهُ الموتى عندما يخرجون من مساكنهم الطويلة.	יְשַׁבְּחוּן מֵיתַיָּא כַּד יִפְקוּן מִבָּתֵּי עָלְמֵיהוֹן

«الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخرُجُ. كَرَجُلِ حُرُوبٍ يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ. يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ»:

يشير هذا النصّ إلى الحروب التي يقودها «العبد» المبشّر به، صاحب الملاحم. وقد كان محمد ﷺ كذلك. أما يسوعُ فهو كما يصوّره النّصارى: «الحَمَلُ الوديع» الذي لم يَرْفَعْ سيفًا، بل أَنْكَرَ على أحدِ تلاميذه رَفْعَهُ سيفًا، بقوله: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ» (متّى ٢٦/ ٥٢).

«أَخْرِبُ الْجِبَالَ وَالآكَامَ وَأُجَفِّفُ كُلَّ عُشْبِهَا، وَأَجْعَلُ الأَنْهَارَ يَبَسًا وَأُنَشِّفُ الآجَامَ».

جاء في تفسير ألبرت بارنز: «يجب إلغاءُ وهدم كلّ ما ازدهر على أرض الوثنيّين، وكل ما اغْتَذَى من عبادة الأصنام، وكلّ معابد هؤلاء القوم، وأماكنهم المقدّسة، ومذابحهم، ومزاراتهم. وفي كل هذه المواضع ستحدث تغييراتٌ كبيرةٌ ودائمةٌ»[٣].

معركة نبي الإسلام ﷺ كانت عامّتها مع وثنيّي بلاد العرب؛ فحَطَّم أصنامهم، وطَهَّرَ الكعبةَ من أوثانهم. ولم يفعل يسوعُ من ذلك شيئًا.

---

(1) M. Brosset, *Collection D'Historiens Armeniens* (L'Academie Imperiale Des Sciences, S.Petersbourg, 1894), Livre II, 4, p. 89.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر)، ٣/ ٢٣٦.

(3) Albert Barnes, *Notes, Critical, Explanatory, and Practical, on the Book of the Prophet Isaiah* (Glasgow: Bell & Bain, 1845), p.537

«**وَأُسَيِّرُ الْعُمْيَ فِي طَرِيقٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا**».

قال جوزيف بنسون[1] في تعليقاته على الكتاب المقدس: «وأسيّر الأعمى: الأميُّون الجَهَلة تمّ تمثيلهم بالأعمى في إشعياء ٤٢/ ٧ وفي عدّة مواضعَ أخرى من الأسفار المقدّسة، كما تمّت إدانتهم بالعمى من طرفِ اليهود؛ بالقول إنّهم لا يعرفون طريق الحقّ الذي كان مخفيًّا عنهم»[2].

وعرَبُ الحجاز هم الأمّة الأميّة التي لا تقرأ ولا تكتب، ولم تُرسَلْ إليها رسالةٌ من السّماء. قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴾ [سبأ: ٤٤]. وقال سبحانه: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القَصَص: ٤٦]. قال قتادة التابعيّ: «ما أنزل الله على العرب كتابًا قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبيًّا قبل محمد ﷺ»[3].

أما يسوعُ فقد كان أعداؤه يهودًا لا وثنيّين، فهم الطائفةُ التي أُرسِلَ هو إليها، وهم الذين رفضوا قبول رسالته، وهم الذين سَعَوْا إلى قتله. كما أنّ يسوعَ الإنجيليّ ما انتصر على أعدائه، وإنّما تآمَرَ اليهودُ مع الرومانِ لِقَتْلِهِ، ونجحوا في ذلك -على زعم الأناجيل-.

«**يَخْزَى خِزْيًا الْمُتَّكِلُونَ عَلَى الْمَنْحُوتَاتِ، الْقَائِلُونَ لِلْمَسْبُوكَاتِ: أَنْتُنَّ آلِهَتُنَا!**»:

محمد ﷺ، هو «العبد» الذي واجه العرب المتّكلين على الأصنام، القائلين لها: أَنْتُنَّ آلهتُنا. قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للتابعي أبي الْهَيَّاج الأَسَدِيِّ: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ أَنْ لا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ ولا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»[4]. وقال عمرو بن عبسة أنه قال للنبي ﷺ: وبأيِّ شيءٍ أَرْسَلَكَ؟ قال ﷺ: «أرسلني بِصِلةِ الأرحام، وكَسْرِ الأوثان، وأن يُوَحَّدَ الله لا يشرك به شيء»[5].

ولم يكن يسوع كذلك.

---

(١) جوزيف بنسون Joseph Benson (١٧٤٩-١٨٢١): قسيس إنجليزي شهير. وقد كان من أعلام الكنيسة الميثودية في زمانه.

(2) Joseph Benson, *The Holy Bible with Notes* (London: J. Kershaw. 1825), 42/16.

(٣) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٩/ ٣٠٢.

(٤) رواه مسلم، كِتَابُ الْجَنَائِزِ بَابُ الْأَمْرِ بِتَسْوِيَةِ الْقَبْرِ، (ح/ ١٦٧٤).

(٥) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة (ح/ ٨٣٢).

«مَن هُوَ أَعْمَى كَالْكَامِلِ، وَأَعْمَى كَعَبْدِ الرَّبِّ؟»

النص العبري يقول:

מִי [مِي]	مَنْ
עִוֵּר [عِوِير]	أعمى
כִּמְשֻׁלָּם [كِمشُلّام]	كمسلم؛ فإنّ الكاف العبرية هي نفسها الكاف العربيّة وظيفةً هنا، والشين العبريّة تُقْلَبُ سينًا في العربيّة (مثال: كلمة **שֵׁן** [شين] العبرية تقابل «سِنْ» -مفرد أسنان- العربية، موشي -اسم النبي- يقابل موسى. كما أنّ الشدّة على اللام والألف بعدها من تخمين الأحبار، وليست في النسخ الأولى.

وقد ذهب الناقد نحميا ربّان Rabban Nehemiah إلى أنّ [مشلام] هنا هو العبد الذي يتحدث عنه هذا السفر(١).

ويعترف المعجمي واللغوي الشهير فردريخ جزنيوس أنّ كلمة مسلم العربية جذرها من «شلم» العبري في العبرية(٢).

(1) Nehemiah Rabban, *Yesha'yahu hasheni: nevu'ato, 'ishiyuto ushemo* (Jerusalem: Kirath Sepher, 1971).

(2) Friedrich Heinrich Wilhelm Gesenius, *Gesenius's Hebrew and Chaldee lexicon to the Old Testament Scriptures* (London: Samuel Bagster, 1860), p.DCCCXXX

(3) *cherishing peace and friendship* (see the root in Pual, Hiphil, Hophal). Gen. 34:21, שְׁלֵמִים הֵם אִתָּנוּ "they live peaceably with us;" specially שׁ׳ עִם יְהוָֹה devoted to God, at peace with him, 1 Ki. 8:61; 11:4; 15:3, 14; and without these words, 2 Kings 20:3; 1 Ch. 28:9; 2 Ch. 15:17. Compare Hiphil No.2; (also مُسْلِم devoted to God and to Mahomet, one who professes the Mahometan religion.)

ومن المثير هنا أنّ الناقد ج. بلنكنسوب[١] أثناء عرضه لاختلاف النقاد حول ترجمة [مشلام] -في تفسيره لسفر إشعياء-، ذكر ترجماتها الإنجليزية عند النقاد؛ فكتب: «كامل» أو «مدفوع ثمنه كاملًا» أو «شريك العهد» أو "submissive one"، والأخيرة قياسًا على الكلمة العربية: مسلم»[٢]. وفي ذلك تنبيه أنّ من الشرّاح من ترجم الكلمة إلى ما يقابل كلمة «مسلم» العربيّة في الإنجليزية. ومن هؤلاء تشارلز بارني[٣] في تعليقه على هذا الكلمة في نصّنا هذا في إشعياء؛ إذ كتب: «كلمة مِشلام (ربما الأولى مشلَم) تطابق الكلمة العربية مسلم»[٤]. وجورج آدم

---

(١) جوزيف بلنكنسوب Joseph Blenkinsopp (١٩٢٧-): لاهوتي وناقد توراتي. عمل رئيسًا للتجمع الكتابي الكاثوليكي في أمريكا، ورئيسًا لجمعية دراسة العهد القديم.

(2) J. Blenkinsopp, *Isaiah 40-55: A New Translation with Introduction and Commentary* (New Haven; London: Yale University Press, 2008), p.218.

(٣) تشارلز فوكس بارني Charles Fox Burney (١٨٦٨-١٩٢٥): أستاذ العبرية وتفسير الكتاب المقدس في كليّة القديس يوحنا، في إنجلترا.

(4) Charles Fox Burney, *Outlines of Old Testament Theology* (London: Rivingtons, 1903), p.113.

سميث[1] في شرحه لسفر إشعياء[2]، ومعجم الكتاب المقدس لجيمس هاستنجز[3].

וְעִוֵּר [وعِوير]	وأعمى
כְּעֶבֶד [كعِبِدْ]	كعبد
יְהוָה [يهوه]	الله

حديث النص عن المسلمِ، عبد الله، وصفٌ للعبد الذي يُبشّر به الفصل ٤٢ من سفر إشعياء؛ فالمخاطَب (أعمى) -مجازًا- أي لم يُخاطَبْ برسالاتٍ سماويّةٍ سابقةٍ كقومِه. قال تعالى في محمّد ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]. وقال تعالى في العرب في القرن السابع:

- ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس: ٦].
- ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٦].
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣].

وتخصيص هذا العبد بصفةِ العَمَى فيه أيضًا إيحاءٌ إلى أُمِّيَّتِهِ؛ فهو من أُمَّةٍ لم تعرفِ النبوّة. وهو أُمِّيٌّ لم يقرأ كتابًا من أسفار السابقين. كما أنّ وَصْفَهُ بأنّه عبد لله، دلالة على أهمّ ما يدعو إليه؛ وهو إفراد الله بالعبادة.

وقراءتنا هذه لا تكسر لغة، وترفع الغموض عن هذا النصّ؛ فإنّ عبارة «من هو أعمى

(١) جورج آدم سميث George Adam Smith (١٨٥٦-١٩٤٢): أستاذ اللغة العبرية والعهد القديم في Free Church College، بغلاسكو، أسكتلندا، وعضو الأكاديمية البريطانية.

(2) George Adam Smith, *The Book of Isaiah: Isaiah XL-LXVI* (New York: Armstrong and son, 1902), p.263.

(3) Art. "Meshullam", James Hastings, *et al*. eds. *A Dictionary of the Bible* (New York: C. Scribner's sons, 1900), 3/351.

كالكامل» لا معنى لها في هذا السياق، بل لا معنى لها أصلًا. وحيرة المفسّرين والتراجم في نقل هذه الكلمة إلى الإنجليزية الحديثة أو غيرها معروفة[1].

«يُعَظِّمُ الشَّرِيعَةَ وَيُكْرِمُهَا»:

سبق بيان أنّ محمّدًا ﷺ قد جاء بشريعة جديدة، في حين أنّ يسوع الكنيسة قد أَلْغَى العَمَلَ بالشّريعة على ما قَرَّرَهُ بولس في رسائلِه. وقد اعتبرَ بولسُ -وريث يسوع، وشارح لاهوته- الشريعة لَعْنةً: «اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»» (الرسالة إلى غلاطية ٣/ ١٣).

الخلاصة:

- يذهب المسلمون إلى أنّ نص إشعياء ٤٢/ ١-٢١ بشارة بمحمّد ﷺ ، ويذهب النصارى أنّه بشارة بيسوع. وذاك اتّفاق بينّهما أنّ هذا النصّ إنباء عن حالِ آخرِ «شخصيّة» عظيمة تظهر آخر الزمان.
- حرّف مؤلف إنجيل متّى نص إشعياء لعلمه أنّه لا يوافق حال يسوع الكنيسة. وعند تتبّع دلالات نص إشعياء، من السهل الكشف أنّ هذا النصّ يتحدّث عن رجل تخالف طبيعته، وأمجاده، وبيئته، ودعوته ما تؤمن به الكنيسة في شأن يسوع.
- تُطابق بشارة إشعياء ٤٢/ ١-٢١ حال بشريّة محمّد ﷺ، وخلقه، وبيئته، وخصومه، وأمجاده، ونَسبه، واسم من آمن بدعوته: المسلمون.
- يلزم من فساد انطباق بشارة إشعياء على يسوع الكنيسة، سقوط إلهامية إنجيل متّى الواقع في الغلط هنا، وبقية أسفار العهد الجديد؛ لسقوط مرجعية الكنيسة في اختيار الأسفار المقدسة.

---

(1) See G. W. Grogan, *Isaiah* (Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1986), p.258; *The NET Bible*, First Edition Notes (Is 42: 19).

الفصل الثاني
الشريعة النارية من بلاد العرب

لما أدرك موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنّه مقبل على الموت قريبًا، قال لبني إسرائيل (تثنية ٣٣/ ٢-٣):

جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ	יְהוָה מִסִּינַי בָּא
وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ،	וְזָרַח מִשֵּׂעִיר לָמוֹ
وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ. فَأَحَبَّ الشَّعْبَ.	הוֹפִיעַ מֵהַר פָּארָן וְאָתָה מֵרִבְבֹת קֹדֶשׁ מִימִינוֹ (אֵשְׁדָּת) [אֵשׁ] [דָּת] לָמוֹ אַף חֹבֵב עַמִּים

حديث موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قبل موته، إخبار لبني إسرائيل عن تجلٍّ للرسالة الإلهية في ثلاثة مواضع:

١- سيناء حيث استلم موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الألواح.

٢- سعير في أرض يهوذا (يشوع ١٥/ ١٠) حيث ظهرت نبوات كثيرة في بني إسرائيل (من داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلى عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ)[١].

---

(١) توجد هناك سعير أخرى، تمتد من جنوب البحر الميت إلى خليج العقبة. وهي المنطقة التي يزعم أهل الكتاب أنها المقصودة في تثنية ٣٣/ ٢.

٣- البلاد العربية حيث سَيَتَلألأ الوحيُ بالنبوّة الخاتمة في (فاران)، وتظهر الشّريعة الخاتمة الناريّة التي تَحْرِقُ الشّرائع السابقة بنسخها، وينصرها عشرة آلاف مؤمنٍ كما هو ظاهر من عامة الترجمات الإنجليزية للنصّ حيث عبارة «عشرة آلاف قدّيس» مكان «من ربوات القدس» هنا في ترجمة الفانايك.

فما أخبر به موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو اختصارٌ لتاريخ النبوّة من زمنه حتى البعثة الخاتمة.

اعتراضات:

تعرّض التفسيرُ الإسلاميُّ لبشارة تثنية ٣٣/ ٢-٣ إلى هجومٍ نصرانيٍّ عنيف منذ بداية التأليف الإسلامي في الباب. وهي معارضاتٌ تشمل السياق، ودلالةَ كلّ كلمةٍ، بالإضافة إلى المشاكسةِ في أمر الترجمة. ولذلك سنسوقُ هنا هذه الاعتراضات، مع تفصيل الرُّدود عليها؛ فإنّه ليس من الإنصافِ أن نتجاهلَ ما يقولُه المخالِفون من ردودٍ كُرِّرت لقرون.

اعتراض١: هذا النصُّ قيل لبني إسرائيل عن ماضيهم، وليس خبرًا عن مستقبل.

الجواب:

أَوَّلًا: يتّفق عامّة شُرَّاحِ الكتاب المقدّس أنّ حديث موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى بني إسرائيل آخرَ حياتِه في تثنية ٣/ ٢-٣ يماثِلُ حديث يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى بَنِيْهِ آخر حياتِه في الفصل ٤٩ من سفر التكوين. وقد بدأ يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حديثه بقوله: «اجْتَمِعُوا لأُنْبِئَكُمْ بِمَا يُصِيبُكُمْ فِي آخِرِ الأَيَّام» (تكوين ٤٩/ ١). وكذلك فعل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالإخبار عمّا سيكون في المستقبل. عِلْمًا أنّ النصّ السابق مباشرة لنصّ هذه البشارة يقول: «وَهذِه هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى، رَجُلُ اللهِ، بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ» (تثنية ٣٢/ ١). والأصل في البركة أن يتعلّق حديثها كلّه بالمستقبل، إلّا بقرينةٍ.

ثانيا: يذكر النقّاد المتخصصون في الدراسات التوراتيّة والإنجيليّة أنّ النبوءات قد ترد بصيغة الماضي كما المستقبل، ويُسمُّون النبوءات التي ترد في صيغة الزمن الماضي "prophetic past tense"؛ فيُستعمل في ذلك الماضي المنتهي perfect tense في العبرية، وزمن aorist في اليونانية. وهو أمرٌ غيرُ نادرٍ في الكتاب المقدّس؛ حتّى قالوا: «هذا الاستخدام لصيغة «الماضي النبوئي» للأحداث التي لا تزال في المستقبل، أمرٌ شائع في أسفار الأنبياء»[1].

(1) Herbert F Stevenson, *Three Prophetic Voices: studies in Joel, Amos, and Hosea* (Fleming H. Revell, 1971), p.72

وهي صيغة تُظهِر إحاطة علم الله بالمستقبل كما بالماضي على السّواء، وأنّه أمر محقَّقُ الوقوع كما مضى من حدث، ولذلك سُمِّيَ "perfective of confidence"[1]. ونظير ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٩٠-٩٤]. وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٩-٧١].

والعلمُ بدلالة الماضي على المستقبل يَحصُلُ بالقرائن الناقلة أصلَ دلالة الزمن الماضي على الحادث المنصرم إلى المستقبل. ومن قرائنِ دلالة تعلُّق حديث موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هنا بالمستقبل، أنّه لم يعرف اليهود في تاريخهم حدثًا إلهيًّا عظيمًا ظهر فيه السُّلطان الإلهيّ أو الوحيُ بصورة عظيمة في سيناء ثم ساعير، ثم بصورة أعظم من ذلك وأبلغ تبلغ درجة التلألؤ في فاران. ولذلك تحيّر كثير من المفسّرين عند حديثهم عن هذا النص؛ فقال الناقد بيتر س. كريجي[2] في تعليقه على سفر التّثنية ٣٢/ ٢-٥: «إنَّ صعوبة ترجمة هذه الأعدادِ الأربع تعني حتمًا أنه من الصّعب تفسيرها بيقين»[3]. ومن مظاهرِ الإشكال في فَهْمَ النصِّ الاختلافات الكثيرة بين الترجمات اليونانية، والسريانية، والفولجاتا اللاتينية، والترجوم الآرامي[4].

(1) Kenneth L. Barker, D. Waylon Bailey, *Micah, Nahum, Habakkuk, Zephaniah* (Nashville: Broadman & Holman Publishers, 1998), p.359.

(٢) بيتر س. كريجي Peter C. Craigie (١٩٣٨-١٩٨٥): ناقد كتابي بريطاني. أصدر تفاسير لبعض أسفار العهد القديم. درّس في University of Calgary.

(3) Peter C. Craigie, *The Book of Deuteronomy* (Wm. B. Eerdmans Publishing, 1976), p.392.

(4) J. A. Thompson, *Deuteronomy: An Introduction and Commentary*. Tyndale Old Testament Commentaries (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1974), p.335.

ثالثا: حاول بعض المفسّرين الإحالة إلى حادثةٍ تُفسّر نصّ تثنية ٣٣/ ٢ في نصّ القضاة ٥/ ٤-٥: «يَا رَبُّ بِخُرُوجِكَ مِنْ سِعِيرَ، بِصُعُودِكَ مِنْ صَحْرَاءِ أَدُومَ، الأَرْضُ ارْتَعَدَت. السَّمَاوَاتُ أَيْضًا قَطَرَتْ. كَذلِكَ السُّحُبُ قَطَرَتْ مَاءً. تَزَلْزَلَتِ الْجِبَالُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، وَسِينَاءُ هذَا مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ». وهي إحالةٌ فاسدةٌ لأسباب:

أ- ليس النصّ في التجلّي أو التلألؤ في فاران؛ لأنّه لا ذِكْرَ فيه لفاران أصلًا.

ب- ليس النصّ في التجلّي في سعير؛ لأنّه يتحدّث عن فعلِ الإلهِ بعد خروجِه من سعيرَ لا فِعْلُهُ فيها. علمًا أنّ سعير وأدوم يُستعملان كمترادفَيْنِ هنا.

ت- ليس في النصّ حديثٌ عن التجلّي في سيناء؛ فقد ذهب المحقّقون إلى أنّ عبارة «سيناء» زائدة؛ كانت موجودة في الهامش للتفسير، وتمّ بعد ذلك رُفِعَتْ إلى المتن، ومما استُدلّ به لذلك أنها تفسد إيقاع النصِّ[1]، وكذلك غيابها عن الترجمات اللاتينية القديمة[2]. ولذلك رجّحتْ النُّسخةُ المرجعيةٌّ للنصّ العبريّ Biblia Hebraica Stuttgartensia في هامشها أنّ «سيناء هذا» "**זֶה סִינַי**" هنا نصٌّ زائد عن الأصل[3].

ث- حتّى لو سلّمنا أنّ النصّ يصرّح باسم «سيناء»، فسيبقى أنّ سيناء قد وردتْ هنا بعد سعير لا قبلَها، بما يُخالف نصّ تثنية ٣٣/ ٢.

رابعا: حاول المنصّرون دفع الفهم الإسلامي للنصّ؛ فربطوا بين نَصِّنا ونصّ حبقوق ٣/ ٣: «اَللهُ جَاءَ مِنْ تِيمَانَ، وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ. سِلاَهْ. جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ»؛ حيث ذكر تيمان التي تقع في أدوم، وسعير التي تقع أيضًا في أدوم.

والردُّ على ذلك من أوجهٍ:

أ- لا يوجد أيُّ حَدَثٍ في التوراة قبل موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وقع في فاران وأدوم حيث تجلّى فيه تَلأْلُؤُ مَجْدِ الله بصورة أَعْظم من تَجَلّيْهِ في سيناء.

---

(1) G. F. Moore, *A critical and exegetical commentary on Judges* (New York: C. Scribner's sons, 1910), p.141.

(2) T. C. Butler, *Word Biblical Commentary, Volume 8: Judges* (Nashville; Dallas; Mexico City; Rio De Janeiro; Beijing: Thomas Nelson, 2009), p.116.

(3) Rudolph Kittel, *et al*., *Biblia Hebraica Stuttgartensia* (Stuttgart: Deutsche Bibelgesellschaft, 1997), p.407.

ب- الأظهرُ أنّ «تيمان» في نصّ حبقوق ٣/ ٣ بمعنى: الجنوب. وهو ما اختارتْهُ ترجمة Theodotion للتوراة إلى اليونانية في منتصف القرن الثاني[١]، وترجمة الفولجاتا اللاتينيّة – آخر القرن الرابع- باختيارها كلمة «جنوب» "austro".

علمًا أنّ ترجمة New International Version الشهيرة تترجم تثنية ٣٣/ ٢ هكذا:

جاء الربُّ من سيناء وأَشْرَقَ عليهم من سعير وتَلَأْلَأَ من جبل فاران جاء من الجنوب مع ربوات من القدّيسين، من منحدرات جَبَلِهِ.	The Lord came from Sinai and dawned over them from Seir; he shone forth from Mount Paran. He came with myriads of holy one from the south from his mountain slopes.

وهذا يعني أنّ فاران تقع في الجنوب، وهي بلد جبليّة. وهذا حال الحجاز بسلسلتها الجبليّة الطويلة، وتقع مكة في الجهة الجنوبية من البلاد العربية التي تبدأ من البتراء Arabia Petraea.

ت- نصُّ حبقوق جاء عن خبرٍ مستقبليٍّ يكون فيه تجلٍّ إلهيٍّ أو تجلٍّ لأمرٍ إلهيٍّ في تيمان/ فاران؛ فإنّه قد جاء في صيغةِ الفعل غير التامّ imperfect[٢] الذي يُستعمل عادة للمستقبل. فِعْلُ المجيء هنا " יָבוֹא " [يبو]؛ ولذلك جاء في صيغة المستقبل في الترجمة السبعينيّة "ἥξει"، وفي الفولجات اللاتينيّة: "veniet".

وقد جاء بيان زمنِ نصّ حبقوق ٣/ ٣ في التعليق الوارد في هامش ترجمة New English Translation: «من الممكن ترجمة النصّ بصيغة الماضي، ولكنّ ذلك سيكون مُضَلِّلًا؛ لأن هذا الحديث ليس مجرّد تلاوةٍ لأعمالِ الله في تاريخ إسرائيل الماضي. يَصِفُ حبقوق هنا الظُّهورات الإلهيّة للبشر في المستقبل، بعبارات تُذكّرنا بالظهورات السّابقة...

---

(1) Thomas P. Scheck, ed., *Ancient Christian Texts, Commentaries on the Twelve Prophets: Jerome* (Downers Grove, Illinois: IVP Academic, an imprint of InterVarsity Press, 2016), 1/218.

(٢) تقسيم زمن الأفعال في اللغة العبرية: الفعل في الزمن المنتهي perfect والفعل في الزمن غير التام imperfect ؛ الأول للماضي، والثاني للمستقبل، وأحيانا للحاضر، علما أن الحاضر كثيرًا ما يُستعمل للدلالة عليه اسم الفاعل.

تَستخدم هذه الترجمة الإنجليزية صيغة المضارع في جميع هذه الأعداد لِتَجَنُّبِ سُوءِ الفَهْمِ، وتَتَّبعُ ترجمةُ New English Bible استراتيجيّةً مماثِلةً»[1]. وهو ما أَكَّدتهُ إليزابث أكتماير[2] بقولها إنّنا هنا أمام رؤيةٍ مستقبليّة[3].

كما أشار جون كالفن إلى أنّ المفسّرين قد اختلفوا في الصيغة الزمنية لنصّ حبقوق ٣/ ٣؛ فذهب فريقٌ منهم إلى أنّ الحديث عن خبرٍ ماضٍ، واختار آخرُ القول إنّه حديث دعاء ورجاء: «فليأتِ الربُّ من تيمان»....[4] ويذهبُ عددٌ من الإنجيليّين اليوم إلى أنّ نصّ حبقوق ٣/ ٣ نبوءةٌ مستقبليّةٌ تتعلَّقُ بعودة المسيح[5]!

والحقّ إنّ استعمال صيغة المستقبل في الأصل العبري، دون وجودِ قرينةٍ سياقيّةٍ قويّةٍ مخالفةٍ، حاسمٌ في أنّ النصّ يجب أن يُترجم في صيغة المستقبل. ولذلك اختار عددٌ من الترجمات الإنجليزية التّصريح بالزمن المستقبل، مثل:

Douay–Rheims Bible

God will come from the south, and the holy one from mount Pharan.

واختارت أخرى صيغة الحاضر الدال على المستقبل، مثل:

NET Bible

God comes from Teman, the sovereign one from Mount Paran.

International Standard Version

God comes from Teman — the Holy One from Mount Paran.

New American Standard Bible

---

(1) Biblical Studies Press. (2006). *The NET Bible First Edition Notes* (Hab 3: 3). Biblical Studies Press.

(٢) إليزابث رايس أكتماير Elizabeth Rice Achtemeier (١٩٢٦-٢٠٠٢): ناقدة أمريكية متخصصة في دراسات العهد القديم. دَرَّسَتْ في عدد من الكليات اللاهوتية، نُصِّبَتْ قسّيسة.

(3) E. R. Achtemeier, *Nahum-Malachi*. Interpretation, a Bible commentary for teaching and preaching (Atlanta: John Knox Press, 1986), p.56.

(4) J. Calvin, *Commentaries on the Twelve Minor Prophets* (Edinburgh: Calvin Translation Society, 1846-1849), 4/140.

(5) See Tim F. LaHaye and Edward E. Hindson, The *Popular Bible Prophecy Commentary: Understanding the Meaning of Every* (Eugene, Or.: Harvest House Publishers, 2006), p.293

God comes from Teman, And the Holy One from Mount Paran.

Good News Translation
God is coming again from Edom; the holy God is coming from the hills of Paran.

Christian Standard Bible
God comes from Teman, the Holy One from Mount Paran.

وقد ذكر قديس الكنيسة جيروم أنّه سمع عبرانيًا يفسّر نص حبقوق ٣/ ٣ على أنّه نبوءة مستقبليّة، مقرًّا لمذهبه. ومما قاله هذا العبرانيّ إنّ هذا النص يُخبر عن قادم من الجنوب. وبيت لحم -بزعمه- من الجنوب؛ وبالتالي؛ فالبشارة هنا بيسوع[1]. والحقّ أنّ بلاد العرب هي الواقعة جنوب سيناء.

ث- ربط التلمود نصّ تثنية ٣٣/ ٢ بنصّ حبقوق ٣/ ٣ (وإن كان في الماضي، بلا برهان) ببيان أنّ هذَيْنِ النَّصَّيْنِ يتعلّقان بعرض الوحي (النبوة) على غير أمّة بني إسرائيل؛ إذ تُدافع الأمم عن نفسها يوم القيامة أمام تُهمةِ إهمال التّوراة، بقولها إنّ التوراة لم تُعْرَضْ عليها سابقًا في الدُّنيا؛ فيأتيها الجواب بعبارة:

ومי מצי למימר הכי והכתי' (דברים לג, ב) ויאמר ה' מסיני בא וזרח משעיר למו וכתיב (חבקוק ג, ג) אלוה מתימן יבוא וגו' מאי בעי בשעיר ומאי בעי בפארן א"ר יוחנן מלמד שהחזירה הקב"ה על כל אומה ולשון ולא קבלוה עד שבא אצל ישראל וקבלוה	أليس بإمكان المرء أن يقول إنّه مكتوب: «وقال: جاء الربُّ من سيناء، وأَشْرَقَ لهم من سعير» (تثنية ٣٣/ ٢)، ومكتوب: «الله جاء من تيمان» (حبقوق ٣/ ٣). عَمَّ كان الله يبحثُ في سعير؟ وعمَّ كان يبحث في فاران؟ قال الحبرُ يوحنان: هذا يُعلّمنا أنّ القدّوسَ، تبارك، عرض التوراة على كلّ أمّة ولُغةٍ، لكنّهم رفضوها حتّى وصل إلى إسرائيل فَقَبِلُوها».

خامسا: تقع سعير خارج شبه جزيرة سيناء، في حين يُقرّر المنصّرون أنّ فاران تقع في سيناء؛ وذاك يجعل خطّ سيرِ بني إسرائيل عجيبًا، لا يشهد له شيءٌ؛ وذلك بالمسير من جبل

(1) Thomas P. Scheck, ed., *Ancient Christian Texts, Commentaries on the Twelve Prophets: Jerome*, 1/219.

سيناء -الذي يقول النصارى إنه يقع في سيناء- إلى خارج سيناء حيث سعير (حيث الأردن حاليًّا)، ثم العودة إلى شبه جزيرة سيناء حيث بريّة فاران -بزعمهم-!

سادسًا: أَعْظَمُ حَدَثٍ وقع لبني إسرائيل في سعير، هو هزيمتهم الشّديدة الموجِعة، لا نَصْرُهم. وهو ما بيَّنَهُ نصُّ تثنية ١/ ٤٤: «فَخَرَجَ الأَمُورِيُّونَ السَّاكِنُونَ فِي ذلِكَ الْجَبَلِ لِلِقَائِكُمْ وَطَرَدُوكُمْ كَمَا يَفْعَلُ النَّحْلُ، وَكَسَرُوكُمْ فِي سِعِيرَ إِلَى حُرْمَةَ». وأعظمُ حدثٍ وقع لبني إسرائيل بعد ذلك أنّهم داروا حول جبل سعير أيامًا، دون أن نعلم الحِكْمةَ من ذلك (تثنية ٢/ ١). ولمّا مرّ بنو إسرائيل عند سعير؛ حذّرهم الربُّ بقوله: «أَنْتُمْ مَارُّونَ بِتُخْمِ إِخْوَتِكُمْ بَنِي عِيسُو السَّاكِنِينَ فِي سِعِيرَ، فَيَخَافُونَ مِنْكُمْ فَاحْتَرِزُوا جِدًّا. لا تَهْجِمُوا عَلَيْهِمْ، لأَنِّي لا أُعْطِيكُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ ولا وَطْأَةَ قَدَمٍ، لأَنِّي لِعِيسُو قَدْ أَعْطَيْتُ جَبَلَ سِعِيرَ مِيرَاثًا». (تثنية ٢/ ٤-٥).

سابعًا: لماذا يُذكّر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قومه في تثنية ٣٣/ ٢ برحلةِ خروجهم من مصر (كما يدَّعي النّصارى)، إذا كان قد فَعَلَ ذلك في الفصل الأول من سِفرِ التثنية؟!

ثامنا: كيف يكون حديث موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ متعلّقًا بإسرائيل وماضيها في حين أنّ بقية الحديث يقول: "חֹבֵב עַמִּים" أي «محبّ للشعوب»؛ بما يعني أنّ الحديث ليس عن شعب إسرائيل وحدَهُ. وقد حَرَّفَتْ ترجمة الفاندايك العربيّة النصّ؛ بأن غَيَّرَتْ «شُعوب» إلى «شَعْب».

تاسعا: لا ذكر لجبل فاران في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، سوى في تثنية ٣٣/ ٢. فلا حديث في هذه الأسفار إلّا عن «بريّة فاران» أو «بطمة فاران».

عاشرًا: تَحَدَّثَ صاحبُ سِفر العدد -المنسوب إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- عن تاريخ بني إسرائيل ورحلاتهم في الفصل الثالث والثلاثين. وهو فصل شديدُ التّفصيل في خبر هذه الرّحلاتِ[1]، بدأه بقوله: «هذِهِ رِحْلاَتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِجُنُودِهِمْ عَنْ يَدِ مُوسَى وَهَارُونَ». ولم يذكر فيه سعير، ولا جبلها.

---

(١) مما جاء فيه: «ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ رَفِيدِيمَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ. ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ بَرِّيَّةِ سِينَاءَ وَنَزَلُوا فِي قَبْرُوتَ هَتَّأَوَةَ. ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ قَبْرُوتَ هَتَّأَوَةَ وَنَزَلُوا فِي حَضَيْرُوتَ. ١٨ ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ حَضَيْرُوتَ وَنَزَلُوا فِي رِثْمَةَ. ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ رِثْمَةَ وَنَزَلُوا فِي رِمُّونَ فَارِصَ. ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ رِمُّونَ فَارِصَ وَنَزَلُوا فِي لِبْنَةَ. ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ لِبْنَةَ وَنَزَلُوا فِي رِسَّةَ. ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ رِسَّةَ وَنَزَلُوا فِي قُهَيْلاَتَةَ. ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ قُهَيْلاَتَةَ وَنَزَلُوا فِي جَبَلِ شَافَرَ. ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ جَبَلِ شَافَرَ وَنَزَلُوا فِي حَرَادَةَ. ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ حَرَادَةَ وَنَزَلُوا فِي مَقْهَيْلُوتَ. ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ مَقْهَيْلُوتَ وَنَزَلُوا فِي تَاحَتَ». (العدد ٣٣/ ١٥-٢٦).

اعتراض٢: لم يزعم اليهود البتّة وجود علاقة لنصّ تثنية ٣٣/٢ بالنبوّة في الأماكن الثّلاث المذكورة؛ إذ السّياق يمنع ذلك!

الجواب:

لم يقرَّ اليهودُ أنّ نصّ تثنية ٣٣/ ٢ بشارةٌ بظهور النبوّة لاحقًا في فاران، لكنْ أَقَرَّ كثيرٌ من علمائهم أنّ للحديث عن سيناء وسعير وفاران علاقةٌ بظاهرةِ الوحي والنبوّة، وإنْ حاولوا صَرْفَ المعنى إلى الماضي؛ لأنّهم ما كانوا لِيَقْبَلُوا أن يخرج الاصطفاء منهم إلى غيرهم. فقد قالوا في التعليق على تثنية ٣٣/ ٢ إنّ الله قد عرض النبوّة في فاران، مع ربط ذلك بالإسماعيليّين أو العَرَبِ في أغلب الأحيان، لكنَّ أَهْلَها (العرب) ما قبلوا عَرْضَ النبوّة.

وها نحن نسوق لك شهادات يهوديةٍ قديمة –مع ما سبق من قول التّلمود–:

سِفْري دفاريم ספרי דברים:

سِفْري دفاريم، عملٌ حبري كُتِبَ أَصْلُه في العصر التّلمودي السّابق للإسلام. وقد جاء في الفصل ٣٣، المقطع ٣٤٣ منه:

وقال: جاء الله من سيناء: «فلمّا ظهر القدوس المبارك يعطي التوراة لإسرائيل، لم يفعل ذلك بلغة واحدة بل بأربع لغات: «وقال: «الرَّبُّ أتى من سيناء» العبرية. «وأشرق من سعير» هذه اللغة الرومية. «ظهر من جبل فاران»- هذه **اللغة العربية**. «أتى من ربوات القديسين»- هذه اللغة الآرامية.	**ויאמר ה' מסיני בא - כשנגלה הקב"ה ליתן תורה לישראל לא בלשון אחד נגלה אלא בארבע לשונות:** **ויאמר ה' מסיני בא - זה לשון עברי. וזרח משעיר למו - זה לשון רומי. הופיע מהר פארן - זה לשון ערבי. ואתא מרבבות קודש - זה לשון ארמי.**

مدراش تنحوما מדרש תנחומא:

مدراش تنحوما كتاب مدراشي يهودي يهتم بجواب الأسئلة التي تركتها التوراة بلا جواب نهائي. وقد اختلف النقاد في تأريخ مدراش تنحوما، والغالب نسبته إلى القرنين الثامن والتاسع(١). وقد جاء فيه في التعليق على تثنية ٣٣/ ٢:

(1) Encyclopaedia Judaic , 14/184.

ثم قال: «جاء الرب من سيناء...». هذا يعلّمك أنّ القدوس تبارك، أتى بالتّوراة إلى جميع أُمَمِ العالم، لكنّها لم تَقْبَلْهَا، حتى جاء إلى إسرائيل؛ فَقَبِلَها الإسرائيليُّون. ولذلك جاء: «وأَشْرَقَ عليهم من سعير». هؤلاء بنو عيسو من بني سعير. «ظَهَرَ من جبل فاران». **هؤلاء هم بَنُو إسماعيل** الذين وَرَدَ ذكرهم في (تكوين ٢١/ ٢١)، «وسَكَنَ في بريّة فاران».	וַיֹּאמֶר, ה' מִסִּינַי בָּא. מְלַמֵּד, שֶׁהֶחֱזִיר הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא אֶת הַתּוֹרָה עַל כָּל הָאֻמּוֹת וְלֹא קִבְּלוּהָ, עַד שֶׁבָּא אֵצֶל יִשְׂרָאֵל וְקִבְּלוּהָ, שֶׁנֶּאֱמַר: וְזָרַח מִשֵּׂעִיר לָמוֹ, אֵלּוּ בְּנֵי עֵשָׂו שֶׁהֵן בְּנֵי שֵׂעִיר. הוֹפִיעַ מֵהַר פָּארָן, אֵלּוּ בְּנֵי יִשְׁמָעֵאל, שֶׁנֶּאֱמַר: וַיֵּשֶׁב בְּמִדְבַּר פָּארָן

ترجوم يوناثان תרגום יונתן:

ترجوم يوناثان المنحول. سِفرٌ يهوديٌّ أُلّف في القرن الثامن. وقد جاء فيه:

وقال: إنَّ الربَّ ظهرَ في سيناء ليعطي الشّريعة لشعبِه بيت إسرائيل، وبهاء مَجْدِ مَسْكَنِهِ أَشْرَقَ مِنْ جَبْلا ليعطي نفسه لبني عيسو، لكنهم لم يقبلوه. تَلَأْلَأَ في الجلالة والمجد من جبل فاران، **ليُعطي نفسه لبني إسماعيل**. لكنّهم لم يَقْبَلُوهُ. عاد وكشفَ قداسَتَهُ لِشَعْبِهِ بيت إسرائيل، ومعه كثرةٌ كاثرةٌ من الملائكة.	וַאֲמַר יְיָ מִן סִינַי אִתְגְלֵי לְמִתַּן אוֹרַיְיתָא לְעַמֵיהּ בֵּית יִשְׂרָאֵל וּדְנַח זִיו אִיקַר שְׁכִינְתֵּיהּ מִגַבְלָא לְמִיתְּנָהּ לִבְנוֹי דְעֵשָׂו וְלָא קַבִּילוּ יָתֵהּ הוֹפַע בְּהַדְרַת אִיקַר מִטַוְורָא דְפָארָן לְמִיתְנָהּ לִבְנוֹי דְיִשְׁמָעֵאל וְלָא קַבִּילוּ יָתֵהּ הֲדַר וְאִתְגְלֵי בִּקְדוּשָׁא עַל עַמֵיהּ בֵּית יִשְׂרָאֵל וְעִמֵיהּ רִיבַן רִיבְוָון מַלְאָכִין קַדִישִׁין

فرقي دربي إليعازر פרקי דרבי אליעזר:

فرقي دربي إليعازر كتابُ أجادي يهوديّ، فيه شرحٌ لنصوص التوراة، يعود إلى القرن الثامن (أو التاسع) ميلاديًّا[1].

(1) Encyclopaedia Judaica, 16/182.

وقد جاء في الفصل ٤١ منه:

أشرق القدوس المبارك من جبل سعير وظهر لأهل عيسو، كما قيل، «وقال: جاء الربُّ من سيناء وأشرق لهم من سعير». و«سعير» يمكن أن تعني فقط أبناء عيسو، كما يقال «فسكن عيسو في جبل سعير» (تكوين ٣٦/ ٨). قال لهم القدوس المبارك: «هل تقبلون التوراة؟» فقالوا له: «ما الذي كُتب فيها؟». قال لهم: «لا تقتلوا» (خروج ٢٠/ ١٣، تثنية ٥/ ١٧). فقالوا له: لا يسعنا أن نتخلى عن البركة التي أعطاها إسحاق لأبينا؛ لأنه قال له «بسيفك تعيش» (تكوين ٢٧/ ٤٠)، ومن هناك عاد وظهر للإسماعيليّين، كما قيل: «تَلَأْلَأَ من جَبَلِ فاران» (تثنية ٣٣/ ٢). ولا تعني «فاران» إلّاَ بني إسماعيل، كما قيل: «وأقام في بَرِّيَّةِ فاران» (تكوين ٢١/ ٢١). وقال لهم: «هل تقبلون التوراة؟» فقالوا له: «ما الذي كُتِبَ فيها؟». قال لهم: «لا تَسْرِقُوا» (خروج ٢٠/ ١٥). فقالوا له: «لا يمكننا أن نَتَخَلَّى عن ما فعله آباؤنا؛ لأنهم سرقوا يوسف وأخذوه إلى مصر، لأنه مكتوب: «لأني قد سُرِقت من أرض العِبرانيين» (تكوين ٤٠/ ١٥).	זרח הב"ה ובא מהר סיני ונגלה על בני עשו שנ' ויאמר ה' מסיני בא וזרח משעיר למו ואין שעיר אלא בני עשו שנ' וישב עשו בהר שעיר אמ' להם הב"ה מקבלים אתם עליכם את התורה אמרו לו ומה כתוב בה אמ' להם לא תרצח אמרו לו אין אנו יכולין לעזוב את הדבר שבירך יצחק את עשו שאמ' לו ועל חרבך תחיה ומשם חזר ונגלה על בני ישמעאל שנ' הופיע מהר פארן ואין פארן אלא בני ישמעאל שנ' במדבר פארן אמ' להם הב"ה מקבלים אתם את התורה אמרו לו ומה כתוב בה אמ' להם לא תגנוב אמרו לו אין אנו יכולין לעזוב את הדבר שעשו אבותינו שגנבו את יוסף והורידוהו למצרים שנ' כי גונוב גונבתי מארץ העברים

راشي רש"י

الحبر راشي[1] (توفي ١١٠٥م)، أشهر الأحبار المفسّرين للتوراة والتلمود في القرون الوسطى. كتب في تعليقه على تثنية ٣٣/ ٢ عن عبارة: «من جبل فاران»:

لأنّه ذهب هناك، وعرض على بني إسماعيل قبول التوراة؛ فما رَضُوا.	**שהלך שם ופתח לבני ישמעאל שיקבלוה, ולא רצו**

وكتب راشي أيضًا في تعليقه على حبقوق ٣/ ٣:

عندما جئتَ لتعطي التوراة، ذهبتَ إلى عيسو وإسماعيل، ولم يقبلاها.	**כשבאת ליתן את התורה חזרת על עשו וישמעאל ולא קבלוה**

وإذا قيل إنّ اليهود يتحدّثون هنا عن عرض النبوة على أبناء إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في فاران، دون إثبات ظهور النبوة هناك.. فالجواب أنّ التراث اليهودي يعترف هنا أنّ خبر فاران هنا متعلّق بدعوى النبوة، وهذا ما نريده في بيان دلالة السياق.

وأمّا القول إنّ أهل فاران -الإسماعيليين- لم يقبلوا النبوّة؛ فلا يستقيم مع نص تثنية ٣٣/ ٢؛ لأنّ النصّ يصف ظهور النبوّة في سيناء أنّه «مجيء»، ويصف الأمر نفسه في فاران بعبارة أعظم: «تلألؤ»؛ بما يدلّ على قبول النبوّة لا رفضها، وأنّ الأمر الأوّل أعظم من الثاني. وهو ما جاء بصورة أوضح في حبقوق ٣/ ٣: «وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ. سِلاَهْ. جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ».

اعتراض٣: النص يتحدّث عن التجلّي الإلهي لا ظهور نبوات.

الجواب:

حديث هذا النصّ عن «إقبال» الله و«إشراقه» و«تألّقه» لا يعني أنّ الله هو نفسه سوف يتولى القيام بهذه الأفعال، وإنما هذه الأفعال مظهرٌ للرسالة الإلهية النازلة على البشر. ولهذا الأمر شواهد في الكتاب المقدّس مثل صموئيل الثاني ١٢/ ١٢... ولذلك تقول دائرة المعارف الكتابية عن اسم (الله): «اسم عام أكثر منه شخصي محدد «الله» كما يدل على ذلك إطلاقه على من يمثّلون الله (قض ٥/ ٨، مز ٨٢/ ١) أو الماثلين في حضرته

(١) اسمه الحقيقي: شلمو يصحاقي שלמה יצחקי.

(١ صم ٢٨ / ١٣)»[1]. كما أنّ الترجمة التي تذكر أنه يأتي «من» العشرة آلاف قدّيس، تبيّن أنّ الفاعل بَشَرٌ قدّيسٌ لا إله..

اعتراض٤: تقع فاران في سيناء كما هو معلوم، ولا علاقة لها بالبلاد العربيّة.

الجواب:

أَوَّلًا: ليس الأمر بهذا الوضوح المدّعى من المنصّرين؛ فإنّ معاجم الكتاب المقدّس تعترف بالاضطراب الموجود في تحديد مكان وجود فاران؛ حتّى أَقَرَّتْ موسوعةُ الكتاب المقدّس Encyclopaedia Biblica أنّه «ليس من السّهل فهم كلّ مقاطع العهد القديم المتعلقة بفاران»[2]. ويظهر هذا الاضطراب في إشارة الموسوعة اليهودية The Jewish Encyclopedia، تحت كلمة «فاران»، إلى ثلاثة مواضع:

- صحراء، توافق بادية التّيه اليوم (تكوين ٢١/ ٢١...).
- منطقة بين إسرائيل وأدوم، توافق اليوم منطقة قلعة النّحل (تثنية ١ / ١، ملوك الأول ١١/ ١٨).
- جبل أو سلسلةُ جبالٍ. وذكرت الموسوعة عند هذه النقطة منطقة فاران المشار إليها في سفر التثنية ٣٣/ ٢ وحبقوق ٣/ ٣.

كما أظهر المفسّرون النّصارى الحيرة نفسها؛ فقد ذكر مارتن لوثر في تفسيره لنصّ حبقوق ٣/ ٣ شُكُوكَهُ في مكان وجود فاران الواردة في هذا النصّ؛ فقال إنّ فاران هي صحراء في سيناء ومصر، وإن كان من الممكن أن تشير إلى قادش (العدد ١٣/ ٢٦)، أو أرض قريبة من الحدود الجنوبية ليهوذا (١صموئيل ٢٥/ ٥).

وأمّا صموئيل رولز درايفر[3] فيقول في تعليقه على نص تثنية ١/ ١ إنّه إذا كان هذا العدد يصف مشهد خطاب موسى في أرض موآب؛ فهي فاران أُخرى لا نعرف مكانها[4].ويقول

---

(١) دائرة المعارف الكتابية، ١/ ٣٩٢.

(2) Art “Paran,” in T. K. Cheyne and J. Sutherland Black, eds. *Encyclopaedia Biblica*, 3/3583

(٣) صموئيل رولز درايفر Samuel Rolles Driver (١٨٤٦-١٩١٤): عالم عبريّة ودراسات العهد القديم، إنجليزي. عضو الأكاديمية البريطانية.

(4) Samuel Rolles Driver, *A Critical and Exegetical Commentary on Deuteronomy*, New York: Scribner, 1895, p.4

آدم كلارك في فاران التثنية ١/١ إنّها لا يمكن أن تكون فاران المتاخمة للبحر الأحمر، والتي لا تبعد كثيرًا عن جبل حوريب؛ لأنّ إحدى الفارانَيْنِ تقع على حدود الأرض الموعودة، على مسافة شاسعة من الأخرى.(١)

ومن أدلّة سوء معرفة مؤلّفي أسفار العهد القديم بفاران أنّ النصّ العبري لسِفر صموئيل الأول ٢٥/١ يقول: «وَمَاتَ صَمُوئِيلُ، فَاجْتَمَعَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ وَنَدَبُوهُ وَدَفَنُوهُ فِي بَيْتِهِ فِي الرَّامَةِ. وَقَامَ دَاوُدُ وَنَزَلَ إِلَى بَرِّيَّةِ فَارَانَ». وقد اختارت ترجمة New Living Translation أن تُغَيِّرَ «فاران» إلى "Maon" متابعة للترجمة السبعينية التي اختارت "Μααν" [مَأَنْ]، هروبًا من تناقضات العهد القديم في إحالاته إلى مواضع فاران. ومن «الظّريف» هنا أنّ الناقد ب.ك. ماك كارتر(٢) قد اختار متابعة الترجمة السبعينيّة، إلّا أنّه قال إنّ قراءة فاران، وإن كانت القراءة الأصعب lectio difficilior، بما يجعلها -على الأصول المتّبعة- المفضّلة، إلّا أنّ بريّة فاران بعيدةٌ هنا عن مسرح الأحداث(٣).

وأمّا موسوعة الكتاب المقدس "Encyclopaedia Biblica"؛ فقد أظهرتْ الحيرة في شأن موضع «بطمة فاران» "אֵיל פָּארָן" [إيل فاران] في تكوين ١٤/٦؛ حتّى أقرّتْ أنّ هذا النصّ أحد التحريفات الكثيرة التي غيّرت الفصل ١٤ من سفر التكوين(٤).

ومن تناقضات الكتاب المقدس في أمر فاران أنّ نصّ سِفر العدد ١٣/٣ يذكر أنّ الجواسيس قد خرجوا من بريّة فاران، في حين أنّنا نقرأ في سفر العدد ٣٢/٨ أنّ الجواسيس قد خرجوا من قَادَشَ بَرْنِيعَ.

ثانيا: لا يمكن أن تكون فاران الحقيقية في سيناء؛ لأسباب، منها:

- يُميّز سِفر العدد ١٠/١٢ بين بريّة سيناء وبريّة فاران إذ جاء فيه: «فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي رِحْلَاتِهِمْ مِنْ بَرِّيَّةِ سِينَاءَ، فَحَلَّتِ السَّحَابَةُ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ».

---

(1) Adam Clark, *The Holy Bible, with a Commentary and Critical Notes*, London: Thomas Tegg, 1836, 1/749

(٢) ب.ك. ماك كارتر P. K. McCarter: أستاذ الدراسات التوراتية والشرق الأدنى القديم في جامعة جون هوبكنز.

(3) P. K. McCarter, *I Samuel: A new translation with introduction, notes and commentary*. Includes indexes (New Haven; London: Yale University Press, 2008), p.388.

(4) Art “Paran,” in T. K. Cheyne and J. Sutherland Black, eds. *Encyclopaedia Biblica*, 3/3584

- أظهرَ سِفر العدد ١٢/ ١٦ أنّه للوصول إلى فاران تمّ العبور عبر حضيروت[١]، وفي طريق الرجوع إلى كنعان، تقع فاران قبل قادش التي يظهر أنها تقع شمالي فاران (تكوين ١٤/ ٦-٧).
- يخبرنا سفر الملوك الأول ١١/ ١٨ أنّ فاران تقع في الطريق إلى مديان ومصر. ومديان هي أرض المديانيّين الذين عَرَّفَهُم معجم "Easton's Bible Dictionary" أنّهم «قبيلةٌ عربيّةٌ من أبناء مديان. سكنُوا أساسًا في الصحراء، في المنطقة الشمالية من شبه الجزيرة العربية»[٢].
- محلّ أرض سيناء نفسه مشكل. وهناك من ينسبه إلى البلاد العربية. يقول لورون جوينو[٣] معلّقا على نص تثنية ٣٣/ ٢: "تقع سيناء -ومنها جبل سيناء أو جبل حوريب- في أرض المديانيين، والتي وضعها المؤلفون اليونان بالإجماع شمال غرب الجزيرة العربية، على الساحل الشرقي لخليج العقبة، وليس في شبه الجزيرة المصريّة التي تحمل هذا الاسم حيث وضعتها الكنيسة -على ما يبدو- زمن قسطنطين. وحتّى بولس نفسه كان يعلم أنّ "سيناء جبل في العربيّة" (رسالة بولس إلى غلاطية ٤/ ٢٥)"[٤].

ثالثا: كثيرٌ من المراجع العلمية التي لا تمانع أن تكون هناك فاران في سيناء، تجدُ حَرَجًا في نسبة فاران تثنية ٣٣/ ٢ إلى سيناء، ومن ذلك قول الموسوعة اليهودية Encyclopaedia Judaica إنّ هناك ما يدعو إلى الشكِّ في أن تكون فاران في صحراء شرق سيناء. والداعي إلى هذا الشكّ، تجاور جبل فاران وجبل سيناء وجبل سعير في نصّي تثنية ٣٣/ ٢ وحبقوق ٣/ ٣[٥].

---

(١) «وَبَ ذلِكَ ارْتَحَلَ الشَّعْبُ مِنْ حَضَيْرُوتَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ».

(2) M.G. Easton, *Illustrated Bible Dictionary* (London: T. Nelson, 1894), p.463.

(٣) لورون جوينو Laurent Guyénot (١٩٦٠-): باحث فرنسي، حاصل على الدكتوراه في دراسات القرون الوسطى من جامعة السربون.

(4) Laurent Guyénot, *From Yahweh to Zion: Three Thousand Years of Exile* (Sifting and Winnowing Books, 2018), p.28.

(5) Art. “Paran,” in Fred Skolnik, ed. *The Encyclopaedia Judaica* (Detroit: Macmillan Reference USA in association with the Keter Pub. House, 2007), 15/631.

رابعا: أفضل طريق للخروج من اضطرابِ الكتاب المقدس في تحديد مكان فاران، البحثُ عن أشهر مَعلمٍ لفاران، وهو ارتباط هذه المنطقة بإسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فقد جاء في التكوين ٢١/ ٢١: «وَسَكَنَ فِي **بَرِّيَّةِ فَارَانَ**، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». ولذلك عرَّفَ شارلز غور[١] فاران أنّها: «الأرضُ التي سكَنَتْها القبائل الإسماعيليّة»[٢].

وقد جاء في سِفر التكوين ٢٥/ ١٢- ١٨: «وَهَذَا سِجِلُّ مَوَالِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ هَاجَرُ الْمِصْرِيَّةُ جَارِيَةُ سَارَةَ لإِبْرَاهِيمَ. وَهَذِهِ أَسْمَاءُ أَبْنَاءِ إِسْمَاعِيلَ مَدَوَّنَةً حَسَبَ تَرْتِيبِ وِلَادَتِهِمْ: نَبَايُوتُ بِكْرُ إِسْمَاعِيلَ، وَقِيدَارُ وَأَدَبْئِيلُ وَمِبْسَامُ، وَمِشْمَاعُ وَدُومَةُ وَمَسَّا، وَحَدَارُ وَتَيْمَا وَيَطُورُ وَنَافِيشُ وَقِدْمَةُ. هَؤُلَاءِ هُمْ بَنُو إِسْمَاعِيلَ، وَهَذِهِ هِيَ أَسْمَاؤُهُمْ حَسَبَ دِيَارِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَقَدْ صَارُوا اثْنَي عَشَرَ رَئِيسًا لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ قَبِيلَةً. وَمَاتَ إِسْمَاعِيلُ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ مِئَةٌ وَسَبْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَلَحِقَ بِقَوْمِهِ. أَمَّا ذُرِّيَّتُهُ فَقَدِ انْتَشَرَتْ مِنْ حَوِيلَةَ إِلَى شُورَ الْمُتَاخِمَةِ لِمِصْرَ فِي اتِّجَاهِ أَشُّورَ، وَكَانَتْ عَلَى عَدَاءٍ مَعَ بَقِيَّةِ إِخْوَتِهَا».

تقع فاران -أرض أبناء إسماعيل- إذن بين حويلة وشور. وقد جاء في موسوعة الكتاب المقدس "Wycliffe Bible Encyclopedia" أنّ **معظم المراجع العلمية** المعتبرة تُقرّر أن حويلة تقع وسط البلاد العربية شمال اليمن. وذلك لارتباط ذِكرها بحضرموت وسبأ (سفر التكوين ١٠/ ٢٦- ٢٩) وأجزاء من جنوب البلاد العربية.[٣] وقد أَكَّدَ ذلك الناقد فكتور هاملتون[٤] في شَرْحِه لِسِفر التكوين بقوله: «الموقع الأكثر قبولًا لحويلة هو على الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية، شَمالَ اليمن»[٥]. عِلمًا أنّ حويلة اسمُ أَحَدِ أبناء يقطان (قحطان أبو اليمنيّين: العرب البائدة) (سِفر التكوين ١٠/ ٢٩).

---

(١) شارلز غور Charles Gore (١٨٥٣-١٩٣٢): لاهوتي إنجليكاني إنجليزي. كان أسقفًا لأوكسفورد.

(2) Charles Gore, *A New Commentary on Holy Scriptures* (New York, Macmillan, 1962), p.53.

(3) Art. Havilah, C. F. Pfeiffer, Vos, H. F. and J. Rea, *The Wycliffe Bible Encyclopedia* (Moody Press, 1975, 2005).

(٤) فكتور ب. لتون Victor P. Hamilton (١٩٤١-): ناقد كتابي ولاهوتي كندي. أستاذ العهد القديم واللاهوت في Asbury University.

(5) Victor P. Hamilton , *The Book of Genesis: Chapters 1-17* (Grand Rapids, Mich.: W.B. Eerdmans, 1990), p.346.

وأمّا شور، فتقع في حدود البلاد العربية، مقابلةً لمصر. ويُقال إنّها سُمّيت بهذا الاسم بمعنى صور، بعد بناء المصريّين لصور لحماية حدودهم الشرقيّة الشماليّة من القبائل الصحراويّة(١).

علمًا أنّ الترجمة العربية للتوراة، والموجودة في المخطوطة (BL OR7562) تَذْكُرُ في ترجمة تكوين ٢٥/ ١٨ أنّ الإسماعيليّين قد «سَكنُوا من زويلة إلى الموصل الذي بحضرة مصر إلى أن تجيء إلى **مكة** بحضرة جميع إخوته»(٢). فذكرت -لفظًا- أنّ مكّة من مساكن ذُريّة إسماعيل.

וסבעה ות[']לת[']ין סנה ת[']ם תופי וצאר אלי קומה 18 וסכנו מן זוילה אלי אלמוצל אלד[']י
בחצ׳רה מצר אלי אן תג׳ BR אלי מכה בחצ[׳]רה גמיע אח׳ותה סקט 19 והד[']א שרח תאליד
אסחק בן אברהים בעד מא ח[׳]ץ אברהים מן אולאדה אסחק 20 ולמא כאן אסחק בן

والبلاد العربية الواقعة بين حدود مصر واليمن، تُسمَّى مساحةٌ واسعةٌ منها بالحِجاز. والحِجازُ عند فريق من المؤرّخين العرب تُسمّى فاران. قال ابن ماكولا: «الفارانيّ.. نِسْبَتُهُ إلى جبال فاران وهي جبال الحِجاز»(٣). وقال السّمعانيّ: «الفارانيّ: بفتح الفاء والرّاء بين الألفين وفي آخرها النُّون. هذه النّسبة إلى موضِعَيْنِ: أحدهما إلى جبال فاران، وهي جبالٌ بالحِجاز»(٤).

إذن استقرَّ نَسْلُ إسماعيلَ في ما بين بلاد اليمن وجنوب الأُردن، وهو المكان المعروف إلى اليوم بـ«الحجاز». ومن اللّافت هنا أنّ الحَبْرَ سعديا الفيومي في ترجمته الشهيرة للتّوراة، قد ترجم نصّ تكوين ١٠/ ٢٦-٣٠(٥) على الصورة التالية: «وقحطان أولد المودد وسلس وحضرموت ويارح وهدورام وأوزل وبقلة وعوبال وأبيمال وسبأ وأوفير وحويلة ويوباب، كلُّ هؤلاء بنو قحطان. وكان مسكَنُهم من **مكّة** إلى أن تجيء إلى **المدينة** إلى الجبل الشرقيّ»(٦).

---

(1) M.G. Easton, *Illustrated Bible Dictionary*, p.628.

(2) Tamar Zewi, *The Samaritan Version of Saadya Gaon's Translation of the Pentateuch* (Leiden: E.J. Brill, 2015), p.278

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، ٤/ ٢٥٥.

(٤) السمعاني، الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله البارودي (بيروت: دار الجنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ٤/ ٣٣١.

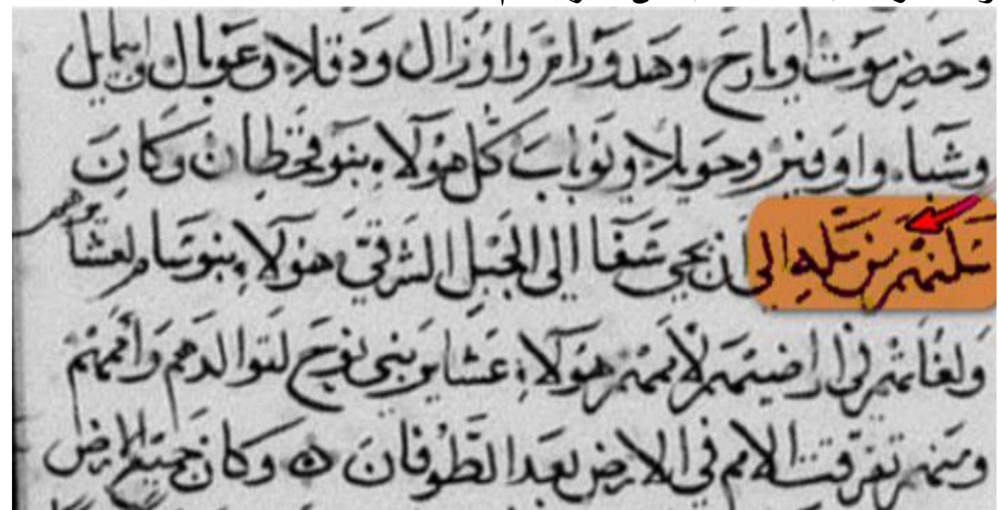
(٥) هو في ترجمة الفاندايك الحديثة: «وَيَقْطَانُ وَلَدَ: أَلْمُودَادَ وَشَالَفَ وَحَضَرْمَوْتَ وَيَارَحَ وَهَدُورَامَ وَأُوزَالَ وَدِقْلَةَ وَعُوبَالَ وَأَبِيمَايِلَ وَشَبَا وَأُوفِيرَ وَحَوِيلَةَ وَيُوبَابَ. جَمِيعُ هؤُلاَءِ بَنُو يَقْطَانَ. وَكَانَ مَسْكَنُهُمْ مِنْ مِيشَا حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ سَفَارَ جَبَلِ الْمَشْرِقِ».

(٦) سعديا الفيوميَ، تفسير التوراة بالعربيّة، نقله إلى الخط العربي وقدم له وعلّق عليه: سعيد مطاوع وأحمد الجندي (القاهرة: العيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٥)، ص١٠٠.

ومن المخطوطات التي وافقت هذه الترجمة في أمر مكّة، المخطوطة (COP 3-3)، من القرن ١٧-١٨م[1]:

وقلد لغا بوا ابنان اسم احدهما فالغ لانه في ايامه انقسمت
الارض واسم اخيه قحطان وقحطان اولد الموداذ والتلف
وحضرموت وبارح وهدورام واوزال ودقلا
وعوبال وابمايل وشبا واوفير وحويلا ويوباب
كل هولاء بنو قحطان وكان سكنهم من مكة الى ان تجي شغا
الى الجبل الشرقي هولاء بنو سام لعشايرهم ولغاتهم في
اراضيهم لامهم هولاء عشاير بني نوح لتوالدهم وامهم

والمخطوطة (COP 2-9)، من القرن ١٧م[2]:


وحضرموت وبارح وهدورام واوزال ودقلا وعوبال وابمايل
وشبا واوفير وحويلا ويوباب كل هولا بنو قحطان وكان
سكنهم من مكه الى ان تجي شغا الى الجبل الشرقي هولا بنو سام لعشايرهم
ولغاتهم في اراضيهم لامهم هولا عشاير بني نوح لتوالدهم وامهم
ومنهم تفرقت الامم في الارض بعد الطوفان ه وكان جميع الارض

(1) < https://archive.org/details/COP3-3/page/n36/mode/1up> retrieved 1-8-2021

(2) <https://archive.org/details/COP2-9/page/n31/mode/1up>. retrieved 1-8-2021

والمخطوطة (COP 3-9)، التي تعود إلى سنة ١٧٥٣م[1]:

الأصل العبري لنص تكوين ١٠/ ٣٠ في المخطوطات المتاحة اليوم لا يذكر "مكة" وإنما يذكر "משא" "مشا/ مسا"، وتُقرأ هذه الكلمة بالتحريك الماسوري المتأخّر: "ميشا". وقرأتها المخطوطة (COP 3-9) السالفة: "ماشا". والفارق في النطق بين مكة ومشا، هو الحرف الثاني. ومن الممكن تفسير انتقال نطق "مكة" إلى "مشا" بظاهرة تبادل الحروف في العربية بين الكاف والشين، وهي ظاهرة لها وجود إلى اليوم في بعض بلاد الخليج العربي.

وقد أشار كتاب "تاريخ عالمي، من القصص الأولى إلى الزمن الحاضر" في حديثه عن مكّة إلى أنّ "بعض الكُتّاب قد طابقوا بين ميشا ومكّة"[2]. كما عرّف ويليام بليكي مكّة في كتابه "تاريخ الكتاب المقدس" بقوله: "ميشا: مكّة (؟) مكان في البلاد العربيّة. تكوين ١٠/ ٣٠"[3].

MESHA, Mecca (?) place in Arabia.
Gen. x. 30.

---

(1) <https://archive.org/details/COP3-9/page/n13/mode/1up>. retrieved 1-8-2021

(2) George Sale *et al*., *An Universal History, from the Earliest Account of Time* (London: T. Osborne, 1748), 18/360.

(3) William Garden Blaikie, *Bible History, in connection with the general history of the world* (London: T. Nelson and Sons, 1859), p.452.

كما جاء في الترجمة العربية للكتاب المقدّس، المطبوعة سنة ١٨١٢[١] في تعريب نصّ تكوين ١٦/ ٧[٢]: «فوجدها ملَكُ الله على عين ماءٍ في البريّة على العين التي في طريق الحِجاز».

وجاءت هذه الترجمة في عدد من مخطوطات التوراة:

المخطوطة (COP 4-2) **من القرن ١٤**[٣]:

---

(١) طبَعته سارة هودجسون Sarah Hodgson.

(٢) ترجمة الفاندايك: "فَوَجَدَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ فِي الْبَرِّيَّةِ، عَلَى الْعَيْنِ الَّتِي فِي طَرِيقِ شُورَ..

(3) < https://archive.org/details/COP4-2/page/n22/mode/1up>. retrieved 1-8-2021

والمخطوطة (COP 2-09)، من القرن ١٧م[1]:

والمخطوطة (COP 3-05)، من القرن ١٦م[2]:

---

(1) < https://archive.org/details/COP2-9/page/n31/mode/1up >. retrieved 1-8-2021

(2) < https://archive.org/details/COP3-5/page/n16/mode/1up > retrieved 1-8-2021

والمخطوطة (COP 3-2)، القرن ١٧م[1]**:**

والترجمات السالفة دالة أنّ من أهل الكتاب من لم يُنكِر أنّ الحِجاز هي التي عاش فيها إسماعيل أو بنوه. ولذلك جاء في معجم سميث للكتاب المقدس: «نعرف القليل عن حياة إسماعيل المتأخّرة. لقد حضر مع أخيه إسحاق لدفنِ أبيهما إبراهيم. ومات وقد بلغ ١٣٧ عامًا. وسكنَ أبناؤُه شمال شبه الجزيرة العربيّة وجنوبها، مكوّنين البذرة الأُولى (العنصر الأساسي) **للأمّة العربيّة**، قبائل البدو الرُّحَّل. **إنهم الآن معظمُ أتباعِ محمّد الذين ينظرون إلى إسماعيل أنّه الأَبُ الرُّوحِيُّ لهم كما ينظر اليهود لأبيهم إبراهيم**. ولُغتهم التي انتشرت لتكون المجتمع العربي قد اعْتُمِدَتْ -مع بعض الاستثناءات البسيطة- في الجزيرة العربية»[2].

خامسًا: كان أهل مكّة يتوارثون القول إنّهم من نَسْلِ إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ولا يُعرف لهم مكذِّب. قال ابن ربن الطبري، النصراني المهتدي إلى الإسلام في القرن الثاني الهجري: «وقد عَلِم الناس كلّهم أنّ إسماعيل سكن مكّة؛ فَوَلَدُهُ وأَعْقابُه فيها وفيما حولها يَعرفون

---

(1) < https://archive.org/details/COP3-2/page/n24/mode/1up>. retrieved 1-8-2021

(2)Smith's Bible Dictionary

مأوى جَدِّهم ولا يجهلون بَلَدَهُ ووَطَنَهُ. وقد طلعَ الرَّبُّ من فاران؛ فإن لم يكن كما ذكرنا؛ فليوجدونا ربًّا ظَهَرَ من جبل فاران، ولن يفعلوا»[١].

سادسا: شهد اليهود قبل الإسلام وبعده أنّ العَرَبَ من نَسْلِ إسماعيل. وهنا بعض الشّهادات:

سِفر اليوبيلات:

كتاب اليوبيلات[٢] (ويُسمى أحيانًا التكوين الصغير)، كتابٌ يهوديٌّ، تؤمن الكنيسة الأثيوبيّة بقداستِه. وهو يعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد[٣].

جاء في اليوبيلات ٢٠/ ١١–١٣: «وأَعطى (إبراهيمُ) لإسماعيلَ وأولادِه وأبناء قطورة هدايا. وأرسلهم بعيدًا عن إسحاق ابنه، وأعطى كلّ شيءٍ لإسحاق، ابنه. سافَرَ إسماعيلُ وأبناؤه، وأبناء قطورة وأبناؤهم، جميعًا، وسَكَنُوا من سيناء إلى مدخل بابل في كلّ الأرض التي تواجه الشّرق مقابل الصّحراء. واختلط بعضُهم ببعض. وهم يُسمَّون العربَ والإسماعيليّين»[٤].

ترجوم أونكلوس תרגום אונקלוס:

ترجوم أونكلوس، ترجمة آرامية للتوراة تعود إلى تاريخ بين القرن الثاني والخامس. جاء فيه في ترجمة نصّ تكوين ٣٧/ ٢٥ إلى الآرامية ذكر كلمة «عرب» مكان «إسماعيليين».

الأصل العِبري:

ثُمَّ جَلَسُوا لِيَأْكُلُوا طَعَامًا. فَرَفَعُوا عُيُونَهُمْ وَنَظَرُوا وَإِذَا قَافِلَةُ **إِسْمَاعِيلِيِّينَ** مُقْبِلَةٌ مِنْ جِلْعَادَ.	וַיֵּשְׁבוּ֮ לֶֽאֱכָל־לֶחֶם֒ וַיִּשְׂא֤וּ עֵֽינֵיהֶם֙ וַיִּרְא֔וּ וְהִנֵּה֙ אֹרְחַ֣ת **יִשְׁמְעֵאלִ֔ים** בָּאָ֖ה מִגִּלְעָ֑ד

(١) علي بن ربَّن الطبري، الدين والدولة في إثبات نبوّة النبيّ محمّد ﷺ، تحقيق: عادل نويهض (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ص١٣٩.

(2)Book of Jubilees

(٣) انظر شهادات النقاد في زمن التأليف:

Jeremy D. Lyon, *The Genesis Creation Account in the Dead Sea Scrolls* (OR: Wipf and Stock Publishers, 2019), p.138.

(4) Robert Charles, *The Book of Jubilees* (SC: Jazzybee Verlag), p.60.

ترجوم أونكلوس الآرامي:

واتَّكَؤُوا ليأكلوا الخبز. ورفَعُوا أعيُنَهم ونظروا وإذا جماعة من **العرب** آتية من جلعاد.	וְאַסְחָרוּ לְמֵיכַל לַחְמָא וּזְקָפוּ עֵינֵיהוֹן וַחֲזוֹ וְהָא שְׁיָרַת **עֲרָבָאֵי** אָתְיָא מִגִּלְעָד

مخيلتا:

سِفر مخيلتا الحبر إسماعيل **מכילתא דרבי ישמעאל** كتابٌ يهوديٌّ موضوعُه تفسير نصوصٍ من سِفر الخروج. وقد اختلف النقّاد في زمنِ تأليفِه بصورةٍ كبيرة. والرأي الغالب أنّه أُلِّف في فترةٍ قريبةٍ من القرن الثاني؛ لأنّه يعكِسُ آراء الأحبار في تلك الفترة[١].

وقد جاء في الجزء المسمّى **בְּשַׁלַּח** [بشلح] من مخيلتا، أثناء الحديث عن نصّ تكوين ٣٧/ ٢٥: «وَإِذَ قَافِلَةُ إِسْمَاعِيلِيِّينَ مُقْبِلَةٌ مِنْ جِلْعَادَ» التي تتحدَّثُ عن القافلة التي اشترت يوسف عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ بعد أن كان في البئر، أنّ الله جعل في هذه القافلة كثيراء وبلسانًا حتى لا تؤذي رائحةُ الإبل والقطران يوسف في رحلته مع هؤلاء العرب **הערביים** (أي الإسماعيليّين)[٢].

التلمود:

سُمّي العرب في التلمود بالإسماعيليّين والعرب والطَّيِّيِّين **טייעא** [طَايْعا][٣]. ومن النّصوص الدّالة على ذلك ما جاء في التّلمود البابلي[٤]:

---

(1) Ben Zion Wacholder, 'The Date of the Mekilta De-Rabbi Ishmael', in *Hebrew Union College Annual* , 1968, Vol. 39 (1968), pp. 117-118

(2) Jacob Z. Lauterbach, *Mekhilta De-Rabbi Ishmael* (PA: Jewish Publication Society, Jan 1, 2010), p.156.

(3) 'Arabia" art., in Cyrus Adler, Isidore Singer eds, *The Jewish Encyclopedia* (Funk & Wagnalls, 1909), 2/43; Reuven Firestone, *An Introduction to Islam for Jews* (Philadelphia: JPS/Jewish Publication Society, 2008), p.8.

(4) Babylonian Talmud, Berakhot 56b

من رأى إسماعيل في المنام، فذاك فَأْلٌ حَسَنٌ أنّ صلاته سيُستجاب لها. وذاك فقط إذا كان المرئيّ إسماعيل بن إبراهيم، وليس أيّ **طَيِّئِيّ** كان.	הָרוֹאֶה יִשְׁמָעֵאל בַּחֲלוֹם — תְּפִלָּתוֹ נִשְׁמַעַת. וְדַוְקָא יִשְׁמָעֵאל בֶּן אַבְרָהָם, אֲבָל **טַיָּיעָא** בְּעָלְמָא

يوسيفوس:

ذكر يوسيفوس، المؤرخ اليهودي الشهير الذي عاش في القرن الأول، العرب باعتبارهم من نَسْلِ إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. تقول الباحثة كارول باكوس[1]: «نجد في كتابات يوسيفوس عدّة أمثلَة يُعرَّفُ فيها الإسماعيليون بالعرب. كتب يوسيفوس -مثلًا- عن ختان إسحاق: «بعد ثمانيةِ أيّام خَتَنُوه على الفور؛ ومن ذلك الوقت كانت الممارسةُ اليهودية هي الخِتانُ بعد أيّامٍ عديدةً من الولادة. العرب يُؤَجِّلُون الحَفْلَ إلى السنة الثالثة عشر؛ لأنّ **إسماعيل، مُؤَسِّسَ عِرْقِهِمْ**، المولود من سَرِيَّةِ إبراهيم، تَمَّ خِتانُه في ذاك السّنّ. عَرَّفَ يوسيفوس أيضًا الإسماعيليّين أنّهم عربٌ عندما أعلنَ بصراحة قائلًا: «لكن يهوذا، وهو أحد أبناء يعقوب، بعد أن رأى بعض التجّار العربَ من الإسماعيليّين ينقلون التوابل والبضائع السّورية»[2]....

وتُلخّص الباحثة كارول باكوس في كتابها «إسماعيل على الحدود: تصوير اليهودية الحاخاميّة للعرب الأوائل» الموقف اليهوديّ من أصل العرب خارج نصوص الكتاب المقدس بقولها: «تمّ تحديد هويّة العرب كأحفادٍ لإسماعيل بشكلٍ بَيِّنٍ في وقتِ تنقيح التّلمود، بل يعود الأمرُ في الواقع إلى الفترة الهلنستيّة[3]»[4].

أسرار الحبر شمعون بن يوحاي:

هذا كتابٌ يُنسب إلى الحبر شمعون بن يوحاي **רבי שמעון בר יוחאי** الذي عاش في القرن الثاني. وقد نُسب إليه أكثر من كتاب رُؤْيَوِيٍّ. وزمنُ تأليفه الحقيقيّ -على الأرجح- القرن السابع الميلادي/ القرن الأول الهجري[5].

---

(١) كارول باكوس Carol Bakhos: أستاذة اليهودية القديمة والدراسات اليهودية في جامعة كاليفورنيا.

(2) Carol Bakhos, *Ishmael on the border: rabbinic portrayals of the first Arab* (Albany: State University of New York Press, 2006), p.73.

(٣) العصر الهلنستي بين ٣٢٣ ق.م. و٣١ ق.م.

(4) Carol Bakhos, *Ishmael on the Border: Rabbinic Portrayals of the First Arab*, p.73.

(5) Robert G. Hoyland, *Seeing Islam as others saw it: a survey and evaluation of Christian, Jewish and Zoroastrian writings on early Islam*, p.308.

جاء في هذا الكتاب حديث عن دولة الإسلام، والفتوحات الإسلاميّة الأُولى. وفيه نِسبةُ المسلمين ودولتهم إلى الإسماعيليّين. فقد بدأ الحديث بذكر أنّ شمعون تَخَفَّى لمدّة ثلاثة عشر سنة في كَهْفٍ خوفًا من الإمبراطور، مَلِكِ أدوم، الذي أمر بتدمير إسرائيل.

صام شمعون وصلّى لأيام، وطلب الفتح الإلهيّ عليه و«عندما رأى مملكة إسماعيل قادمةً، بدأ يقول: «أَلَمْ يَكْفِ ما فَعَلَتْ بنا مملكةُ أدوم الشرّيرة، حتّى تظهر مملكةُ إسماعيل أيضًا؟» فأجابه ميططرون -رئيس الملائكة-، قائلًا: «لا تَخَفْ يا ابن الإنسان؛ لأنّ الله لم يأتِ بمملكة إسماعيلَ إلَّا لِيُخَلِّصَكَ من هذا الشرّ (أدوم). يُقِيْمُ عليهم نَبِيًّا حسب إرادته، ويغزو الأرض لأجلهم، ويأتون ويعيدونها بعظمة. وسيكون هناك رعبٌ كبيرٌ بينهم وبين أبناء عيسو.

فأجاب الحبر شمعون، قائلًا: كيف نعرف أنهم خلاصنا؟

فقال له ميططرون: أَلَمْ يَقُلِ النّبيّ إشعياء هكذا: «ورأى رَكبًا فيه فارسَين»[١].... لماذا وضعَ ركب الحمير قبل رَكب الجِمال إن كان عليه أن يقول: «رَكبَ جمال ثم ركبَ حمير»؟ لأنّه عندما خرج (إسماعيل=العرب) [للحرب]، كان يركب جملًا، وعندما تظهر المملكة على يديه، هل سيركب حِمارًا؟ [لأنّه قال خلاف ذلك]»[٢].

(١) الإشارة هنا إلى إشعياء ٢١/ ٧-١٧: " فَرَأَى رُكَّابًا أَزْوَاجَ فُرْسَانٍ. رُكَّابَ حَمِيرٍ. رُكَّابَ جِمَال. فَأَصْغَى إِصْغَاءً شَدِيدًا، ثُمَّ صَرَخَ كَأَسَدٍ: «أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَنَا قَائِمٌ عَلَى الْمَرْصَدِ دَائِمًا فِي النَّهَارِ، وَأَنَا وَاقِفٌ عَلَى الْمَحْرَسِ كُلَّ اللَّيَالِي. وَهُوَذَا رُكَّابٌ مِنَ الرِّجَالِ. أَزْوَاجٌ مِنَ الْفُرْسَانِ». فَأَجَابَ وَقَالَ: «سَقَطَتْ، سَقَطَتْ بَابِلُ، وَجَمِيعُ تَمَاثِيلِ آلِهَتِهَا الْمَنْحُوتَةِ كَسَّرَهَا إِلَى الأَرْضِ». يا دِيَاسَتِي وَبَنِي بَيْدَرِي. مَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَبِّ الْجُنُودِ إِلهِ إِسْرَائِيلَ أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ. وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ دُومَةَ: صَرَخَ إِلَيَّ صَارِخٌ مِنْ سَعِيرَ: «يَا حَارِسُ، مَا مِنَ اللَّيْلِ؟ يا حَارِسُ، مَا مِنَ اللَّيْلِ؟» قَالَ الْحَارِسُ: «أَتَى صَبَاحٌ وَأَيْضًا لَيْلٌ. إِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ فَاطْلُبُوا. ارْجِعُوا، تَعَالَوْا». **وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ بِلاَدِ الْعَرَبِ**: فِي الْوَعْرِ فِي **بِلاَدِ الْعَرَبِ** تَبِيتِينَ، يا **قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ**. هَاتُوا مَاءً لِمُلاَقَاةِ الْعَطْشَانِ، يا سُكَّانَ أَرْضِ **تَيْمَاءَ**. وَافُوا الْهَارِبَ بِخُبْزِهِ. فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا. مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمَسْلُولِ، وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ، وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ. فَإِنَّهُ هكَذَا قَالَ لِيَ السَّيِّدُ: «فِي مُدَّةِ سَنَةٍ كَسَنَةِ الأَجِيرِ يَفْنَى كُلُّ مَجْدِ قِيدَارَ، وَبَقِيَّةُ عَدَدِ قِسِيِّ أَبْطَالِ **بَنِي قِيدَارَ** تَقِلُّ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَكَلَّمَ».". وقد ذكر غير واحد من علماء الإسلام أنّ هذا النصّ بشارةٍ بظهور نبيّ الإسلام، صاحب الجَمَلِ، آخر الزمان. وتفاصيلها توافق أخبار الهجرة النبوية ومكانها، وأهلها.

(2) Robert G Hoyland, Seeing Islam as Others Saw it: a survey and evaluation of Christian, Jewish and Zoroastrian writings on early Islam, pp.309-310.

الترجمة العربية للتّوراة السامريّة:

نقل الباحثُ النصرانيُّ الفلسطينيُّ حسيب شحادة في كتابه عن الترجمة العربية للتوراة السامرية أنّ نصّ الترجمة العربية للتوراة السامرية الموجود في مخطوطة (Sam Ms No 2)، والمحفوظ في مكتبة جون رايلندس، يذكر كلمة «الحِجاز» مكان «فاران» في تثنية ٣٣/ ٢[١].كما وردت كلمة «الحِجاز» مكان كلمة «فاران» في المخطوطة نفسها في نصّ تكوين ٢١/ ٢١: «وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ»[٢].

ووردت الإشارة إلى الحجاز في عدد من المخطوطات العربية للتوراة في نص تكوين ٢١/ ٢١، منها مخطوطة (COP 3-4) ، من القرن ١٧–١٨[٣]:

---

(١) حسيب شحادة، الترجمة العربية لتوراة السامريين (القدس: الأكاديمية الوطنية الإسرائيلية للعلوم والآداب، ٢٠٠١)، ٢/ ٦١٦.

(٢) المصدر السابق، ص٩٠.

(٣) <https://archive.org/details/COP3-4/page/n26/mode/1up> retrieved 1-8-2021

اعتراض٥: حديث موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان عن رُبى مدينة القدس كما في الترجمة العربية الأشهر، ترجمة الفاندايك: «وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ»، ولم يكن عن عشرة آلاف قدّيس!

الجواب:

أولا: قولنا: إنّ الترجمة الصّواب أو الأقوى هي «عشرة آلاف قدّيس»، ليس دعوى إسلاميّة، وإنّما هو اختيار عامّة الترجمات الإنجليزية، ومنها:

New American Standard Bible

He said: “The LORD came from Sinai, And dawned on them from Seir; He shone forth from Mount Paran, And He came from the midst of **ten thousand holy ones**; At His right hand there was flashing lightning for them.

Christian Standard Bible

He said: The LORD came from Sinai and appeared to them from Seir; he shone on them from Mount Paran and came with **ten thousand holy ones**, with lightning from his right hand for them.

Holman Christian Standard Bible

He said: The LORD came from Sinai and appeared to them from Seir; He shone on them from Mount Paran and came with **ten thousand holy ones**, with lightning from His right hand for them.

NET Bible

He said: A Historical Review The LORD came from Sinai and revealed himself to Israel from Seir. He appeared in splendor from Mount Paran, and came forth with **ten thousand holy ones**. With his right hand he gave a fiery law to them.

New American Standard 1977

And he said, “The LORD came from Sinai, And dawned on them from Seir; He shone forth from Mount Paran, And He came from the midst of **ten thousand holy ones**; At His right hand there was flashing lightning for them.

English Revised Version

And he said, The LORD came from Sinai, And rose from Seir unto them; He shined forth from mount Paran, And he came from the **ten thousands of holy ones**: At his right hand was a fiery law unto them.

ويبدو أنّ من أكثر الأسباب لرفض قراءة «عشرة آلاف قدّيس» أنّه لا يوجد حدثٌ تاريخيٌّ في قصّة بني إسرائيل فيه عشرة آلاف قدّيس. وهو ما يظهر في قول المفسّر المحافِظِ آدم كلارك عن ترجمة «عشرة آلاف قدّيس»: «ترجمة لا يوجد في أحداث التاريخ ما يسوّغها» "A translation which no circumstance of the history justifies"[1].

ثانيا: ترجمة الفانديك تقول: «وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ». ولا يُقصد بربوات القدس هنا، الأماكن المرتفعة في مدينة القدس -كما هو ظنّ المنصّرين العرب!-؛ فلا الرَّبوات هنا تعني الأماكن المرتفعة، ولا القُدس بمعنى مدينة القدس:

أ.**ربوات**: جاء في «معجم الكتاب المقدس» في شرح كلمة «رَبوة/ رَبوات»: «رَبْوة – رِبْوة – رُبوة (أي بفتح الراء أو كسرها أو ضمّها)، وجمعها رُبًى ورُبي، فهي التَلَّة أي ما ارتفع عن الأرض. وهي تقابل كلمة رابية وجمعها رواب.

أما رَبْوة – رِبْوة (بفتح الراء أو كسرها) فتعني عشرة آلاف myriad وجمعها رِبوات، ورِبًى (وكلاهما بكسر الراء)»[2]. ومثّل المعجم للرّبوة، بمعنى عشرة آلاف، بنصّ تثنية ٣٣/ ٢[3].

---

(1) Adam Clarke, *The Holy Bible Containing the Old and New Testaments* (New York: B. Waugh and T. Mason, 1832), 1/799.

(٢) رابط مدخل "ربوة" في معجم قاموس الكتاب المقدس:
<https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/10_R/R_045_1.html>.

(٣) المصدر السابق.

ومن دلائل أنّ كلمة רְבָבָה [ربابا] تعني «عشرة آلاف» في الكتاب المقدّس، أنّنا نقرأ في نحميا ٧/ ٦٦: «كُلُّ الْجُمْهُورِ مَعًا **أَرْبَعُ رِبْوَاتٍ وَأَلْفَانِ** وَثَلاَثُ مِئَةٍ وَسِتُّونَ». وهذا العدد ورد شرحُه في عزرا ٢/ ٦٤: «كُلُّ الْجُمْهُورِ مَعًا **اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا** وَثَلاَثُ مِئَةٍ وَسِتُّونَ». فالأربعون ألفًا تقابل الأربع ربوات هنا.

والخبر عن العشرة آلاف قدّيس في تثنية ٣٣/ ٢ تَكَرَّرَ ذِكْرُه في سِفر أخنوخ ١/ ٩:

المقابل العربي	النص اليوناني	ترجمة ر.هـ. تشارلز
هُـوَذَا يـأتي مـع عشـرة آلاف من قدّيسيه؛ ليُجري دينونـةً على الجميع، ويَسْحَقَ كُلَّ الفُجَّار.	ὅτι ἔρχεται σὺν ταῖς μυριάσιν αὐτοῦ καὶ τοῖς ἁγίοις αὐτοῦ, ποιῆσαι κρίσιν κατὰ πάντων, καὶ ἀπολέσει πάντας τοὺς ἀσεβεῖς.	And behold ! He cometh with ten thousands of His holy Ones. To execute judgement upon all. And to destroy all the ungodly.

وقد أشار الناقد ر.هـ. تشارلز في ترجمته وتحقيقه لِسِفر أخنوخ عند النصّ السالف (١/ ٩) إلى أنّ المؤلّف للسِّفر قد اقتبس نصّه من تثنية ٣٣/ ٢[(١)].

ب.القدس: اسمُ القدس لم يُعْرَفْ في عصر كتابة أسفارِ الكتاب المقدّس. كما أنّ الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تُسمّي القدس باسم أورشليم יְרוּשָׁלַיִם. ثم إنّه لا الكتاب المقدّس ولا اليهود والنّصارى يؤمنون أنّ بني إسرائيل زمن موسى أو قبله قد دخلوا القدس؟!

إنّ الترجمات العربيّة لا تتحدّث في الحقيقة عن مدينة القدس؛ وإنّما كلمة «قدس» هنا بمعنى القداسة؛ فهي في النصّ العبري -بالتحريك الماسوري- "קֹדֶשׁ". وحروف الكلمة: القاف والدال والشين، جذر أهمّ الأسماء والأفعال المتعلقة بالقداسة في العبرية.

وقد اختارت الترجمة السبعينيّة تحريك القاف والدّال والشّين العبرية على صورة أخرى: "Καδης" [كَدِيس] (وليس في حروف اليونانية حرف الشين)، ويبدو أنّها قصدت بذلك «قادش» المذكورة في تثنية ٣٢/ ٥١، وهي ترجمة متكلّفة؛ إذ لا معنى لآلاف قادَش

(1) R. H. Charles, *The Book of Enoch* (Oxford: Clarendon Press, 1912), p.8.

إلّا أن تكون بمعنى آلافٌ عند قادش، ولكن يُعْتَرَضُ على ذلك بأنّه لا يُذكر أمرٌ جليل في قادش فيه تَجَلٍّ لِفِعْلٍ إلهيٍّ مع آلاف المؤمنين في ختام رحلة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومِه. والعَجَبُ أنّ كلمة قادش لم تَرِدْ في سِفْرِ التثنية سوى مرّتين، الثانية منهما في تثنية ٣٢/ ٤٨-٥١: «وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي نَفْسِ ذلِكَ الْيَوْمِ قَائِلًا: «اِصْعَدْ إِلَى جَبَلِ عَبَارِيمَ هذَا، جَبَلِ نَبُو الَّذِي فِي أَرْضِ مُوآبَ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، وَانْظُرْ أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُلْكًا، وَمُتْ فِي الْجَبَلِ الَّذِي تَصْعَدُ إِلَيْهِ، وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِكَ، كَمَا مَاتَ هَارُونُ أَخُوكَ فِي جَبَلِ هُورٍ وَضُمَّ إِلَى قَوْمِهِ. لأَنَّكُمَا خُنْتُمَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَاءِ مَرِيبَةِ قَادَشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ، إِذْ لَمْ تُقَدِّسَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»؛ فَحَرِيٌّ بقادشَ أن تكون عند اليهود مكانًا مرتبطًا بالسُّوء لا بالمجدِ الإلهيِّ[1].

اعتراض٦: القدّيس في حديث موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يعني «ملَك»، ولا يعني الرجل الصالح.

الجواب:

أَوَّلًا: «القدّيس» في اصطلاح الكتاب المقدّس يعني: الرجل أو المرأة الصّالحة. ومن الشواهد على ذلك في العهد الجديد: أعمال الرسل ٩/ ١٣، ٤١، الرسالة إلى روما ١/ ٧، ١٢/ ١٣، ١٥/ ٢٥، ٢٦، ١٦/ ١٥، الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١/ ٢، ١٤/ ٣٣، الرسالة الثانية إلى كورنثوس ٨/ ٤، الرسالة إلى أفسس ١/ ١، ٣/ ٨... الخ

ثانيا: النصّ التالي مباشرة (تثنية ٣٣/ ٤) يتحدث عن القدّيسين: «جمِيعُ قِدِّيسِيهِ فِي يَدِكَ، وَهُمْ جَالِسُونَ عِنْدَ قَدَمِكَ يَتَقَبَّلُونَ مِنْ أَقْوَالِكَ». وهو وَصْفٌ لأتباع الأنبياء عند التزامهم متابعة الوحي. وقد وُصِفَ أتباع ابن الإنسان الذي سيظهر آخر الزّمان بأنّهم قدّيسو الله: «أَمَّا قِدِّيسُو الْعَلِيِّ فَيَأْخُذُونَ الْمَمْلَكَةَ وَيَمْتَلِكُونَ الْمَمْلَكَةَ إِلَى الأَبَدِ وَإِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ». (دانيال ٧/ ١٨).

(١) نحن لا نرضى ما جاء في هذا النصّ بإنكار الربِّ على موسى أنّه خائن!

الخلاصة:

- بشّر موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بوحي يظهر آخر الزمان في فاران، بصورة أعظم ممّا كان في عصر موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، مع ظهور شريعة جديدة، وعالمية، ينصرها عند ظهورها عشرة آلاف مؤمن. وتلك أمور لم تجتمع إلّا عند ظهور دعوة الإسلام الخاتمة في الحجاز.
- لا سبيل لحمل نص تثنية ٣٣/ ٢-٣ على خبر ماض؛ لأنّ تفاصيله لم تُعرف في عصر المسيح ولا قبله، باستثناء مجيء الرب في سيناء، وظهور النبوّة في سعير.
- يذهب جمهور المفسّرين النصارى إلى أنّ نص حبقوق ٣/ ٣ يطابق خبر تثنية ٣٣/ ٢-٣. ولمّا كان نص حبقوق ٣/ ٣ قد جاء في صيغة المستقبل، وجب حمل نص تثنية ٣٣/ ٢-٣ على المستقبل perfective of confidence .
- اعترف اليهود أن نص تثنية ٣٣/ ٢-٣ يتعلّق بأمر النبوّة في سيناء وسعير وفاران. وهو حق. كما ربطوا بين دعوى النبوة في فاران وذرية إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. وذاك حق أيضًا. وزعموا أنّ النبوّة قد رُفضت في فاران. وتلك دعوى باطلة. إذ إنّ نص تثنية ٣٣/ ٢-٣ دال على أنّ حال فاران أفضل من سيناء وسعير؛ بما يدلّ أنّ النبوّة القادمة في فاران، أعظم من النبوّة التي كانت في سيناء وسعير.
- اضطرب العهد القديم في ضبط موضع فاران.
- حتّى لو سلّمنا بوجود فارانٍ في سيناء، فلا يمنعنا ذلك من القول إنّ الحجاز كانت تسمّى فاران أيضًا. ودليل ذلك أنّ أبناء إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قد سكنوا فاران. وتقع فاران بين اليمن والمنطقة العربية المحاذية لمصر (تكوين ٢٥/ ١٨). وقد اعترف أحد مترجمي التوراة السامرية أن فاران هي الحجاز.

الفصل الثالث

بشرى إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

قال رَسُولِ اللهِ ﷺ: «إِنِّي عَبْدُ اللهِ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَأَبِي مُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ أَنَا دَعْوَةُ أَبي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى، وَرُؤْيَا أُمِّي آمِنَةَ الَّتِي رَأَتْ»[1]. فهل في التّوراة خبرٌ عن بشارةٍ إبراهيميّةٍ بِنَبِيٍّ عربيٍّ من نَسْلِهِ؟

تَضُمُّ قصّة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في التوراة أخبارًا عن بركاتٍ في نَسْلِ هذا النبيّ العظيم، حَرِيّة بالنَّظَرِ:

١- بشارة الربّ لإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ». (تكوين ١٢/ ١-٣)

٢- بشارة الملاكِ لهاجرَ في شأن إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «فَوَجَدَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ فِي الْبَرِّيَّةِ، عَلَى الْعَيْنِ الَّتِي فِي طَرِيقِ شُورَ. وَقَالَ: «يَا هَاجَرُ جَارِيَةَ سَارَايَ، مِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبِينَ؟». فَقَالَتْ: «أَنَا هَارِبَةٌ مِنْ وَجْهِ مَوْلاَتِي سَارَايَ». فَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «ارْجِعِي إِلَى مَوْلاَتِكِ وَاخْضَعِي تَحْتَ يَدَيْهَا». وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ». وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «هَا أَنْتِ حُبْلَى، فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ. وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ»». (تكوين ١٦/ ٧-١٢).

---

(١) رواه الحاكم، وصحَّحَهُ، ووافَقَهُ الذّهبيُّ، وصحَّحَهُ الأرنؤوط لغيره.

٣- بشارة الربِّ لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في شأن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا[1]. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً». (تكوين ١٧/ ٢٠).

---

(١) عبارة "كثيرًا جدًّا" "מְאֹד מְאֹד" [مِئود مِئود] في الأصل العبري، وإذا غُيِّرتْ حركاتها قد يصير نُطقها: "ماد ماد". ذهب كثيرٌ من اليهود الذين أسلموا إلى أنّها كلمة "مشفّرة"، غَيَّرَها اليهودُ لإخفاء الاسم الشريف. وإذا قُرِئَتْ بحساب الجُمَّلِ؛ كانت "محمّد". فقد قال شموئيل بن يهوذا بن أيوب -مثلًا- وهو من اليهود الذين أسلموا- ما نصُّه: «الإشارة إلى اسمه ﷺ في التوراة: قال الله تعالى في الجزء الثالث من السِّفر الأول من التوراة مخاطبًا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وأما في إسماعيل فقد قَبِلْتُ دُعاءَكَ. قد باركتُ فيه. وأثمره. وأُكَثِّرُهُ جِدًّا جِدًّا» ذلك قوله: «وليشماعيل شمعتيخا هنى بيراختي أوثو وهفريتي أوثو وهربيتي بماد ماد»فهذه الكلمة «بماد ماد» إذا عَدَدْنا حساب حروفها بالجمّل وجدناه اثنين وتسعين. وذلك عدد حروف «محمد» ﷺ فإنّه أيضا اثنان وتسعون». (بَذْلُ المجهود في إفحام اليهود، شموئيل بن يهوذا بن أيوب، تحقيق: عبد الوهاب طويلة، دمشق: دار القلم ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص ٨٦-٨٧).

وجاء في كتاب « ثورة الإسلام وبطل الأنبياء» لمحمد لطفي جمعة: «في ٢١ أغسطس سنة ١٩٣٣م نشرَ العالم المحقق المرحوم أحمد زكي باشا المشهور بتدقيقه وسعة إطلاعه قبل وفاته بعام (٤ يوليو سنة ١٩٣٤م) في جريدة البلاغ أنّه استطاع أن يصل إلى نسخةٍ قديمة من التوراة ذُكِرَ فيها اسمُ محمّدٍ رسول الله، وروى أنّ شلبي السامري من طائفة «السّمرة» عنده نسخة من التوراة منقولةٌ عن أقدم نسخة من التوراة تحتفظ بها طائفة السامريين المتوطّنة في مدينة نابلس، فاشتراها المرحوم نور الدين بك مصطفى، وأنّ زكي باشا ذهبَ إلى جبل جرزيم بنابلس في سنة ١٩٢٢ واجتمع بشلبي سامري، وبكبير كهنةِ الطائفة إسحاق بن عمران، وهي التي أشار إليها أحمد باشا. وقد رآها شاهدُ عيانٍ، ووَصَفَها بأنّها مجلّدٌ يحتوي ٦١٥ صفحة من قطع الورق الصغير، وأنّ الله أمر الناس بالعمل بها، ولم يبق من يعمل بها إلى اليوم سواهم وأنّهم وحدهم على الحق، أما غيرهم فعلى خلاف ذلك، وهم في نظرهم أنجاسٌ ومنبوذون. فالسامريون لا يتناولون منهم شيئا إلا الماء .

وفي الصفحة الأخيرة من هذا المجلد ما يأتي:

«كان النجاز من كتابت [كذا] هذه التوراة المقدّسة في نهار الأحد الموافق إلى أربعة خلت من شهر صفر الخير من شهور سنة ١٣٢٠ عربية الذي هو الشهر الثاني عندنا الموافق إلى خمسة عشر من الخماسين المفروض عددهم على بني إسرائيل. على يد عبده وابن عبده: إسحق بن عمران بن سلامة بن غزال بن إسحق بن إبراهيم هكهن (كاهن) هلوى بشكم عفى الله عنه، وغفر له، ولمن علمه. آمين، وسلام الله على من هو سيد الأوّلين والآخرين [يقصد: موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ]. آمين آمين».

وكلّ صفحات الكتاب مكتوبة بلغة عربية، وقد تخلّلتها كتاباتٌ باللغة السامريّة. ومن هذه العبارات جملةٌ من الإصحاح السابع عشر، أي في الصفحة الـ ٣٩ من الكتاب. وقد كتب الكاهن السامري الأعظم بخطّ يده عبارات رتّبها كما يأتي:

بماد ماد أي محمد =

بشارة الأمة العظيمة

تخبرنا البشارات السابقة عن بركاتٍ تكون في ذريّة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ولا يمكن أن تكون هذه البركات كلّها خاصّة حصرًا بنَسْلِ إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (بني إسرائيل) المولود من سارة؛ لأنّ لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ابنٌ من هاجَرَ.

وما تبارك إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بين أمم الأرض إلّا بدعوة تجديد الرسالة الإبراهيمية، والعودة إلى نقائها الأوّل. ولا يمكن أن تكون بشارةُ الوحي لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهاجر بأمّة عظيمة، بشارة بأمّة عرب الصحراء المشركين بالله؛ فإنّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما أُرْسِلَ إلّا لِكَسْرِ الأصنام. إنّ فَهْمَ البشارة أنّها بأمّةٍ من الوثنيّين أو من أتباع الأنبياء المزيّفين، لا يستقيم؛ لأنّه يُهْدِرُ معنى البشارة، التي هي: الخبرُ السّارُّ.

يقول ابن سيراخ: «لا تَشْتَهِ كثرةَ أولادٍ لا خيرَ فيهم، ولا تَفْرَحْ بالبنين المنافقين، ولا تُسَرَّ بكثرتهم إذا لم تكن فيهم مخافةُ الرَّبِّ.. ولدٌ واحد يتّقي الربَّ خير من ألفٍ منافقين، والموتُ بلا ولدٍ خيرٌ من الأولاد المنافقين» (ابن سيراخ ١٦/ ١-٣). ولمّا جَاءَ صَمُوئِيلُ إِلَى شَاوُلَ قَالَ لَهُ شَاوُلُ: «مُبَارَكٌ أَنْتَ لِلرَّبِّ. قَدْ أَقَمْتُ كَلاَمَ الرَّبِّ» (١صموئيل ١٥/ ١٣). فالبركة مقترنة بسماع كلام الله، والعمل به.

ولذلك قال تعالى: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ [الصافات: ١١٣]. وهو ما يُثبته سفر التكوين نفسه؛ إذ قال الربّ لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «سِرْ أَمَامِي **وَكُنْ كَامِلًا**، فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأُكَثِّرَكَ كَثِيرًا جِدًّا» (تكوين ١٧/ ١-٢). كما

= أي جِدّا جِدّا

لجوى جدول

٤٠٠ ٣ ٤

أي شعب عظيما

أي محمد ٩٢

ثم وضع في ذيلها الجملة الآتية:

«انظر يا زكي. كيف أنّ الله في كلمةٍ من كلامه تعالى فيها أسرار مدموجةٌ،وآياتٌ عظيمةٌ؟ حرَّرَهُ العبد الفقير إسحق الكاهن السامري».(محمد لطفي جمعة، ثورة الإسلام وبطل الأنبياء، بيروت: دار القلم، ٢٠٢٠، ص ٣٥٥-٣٥٦).

لا أستطيع الجزم بصحّة هذا المنهج في قراءة «ماد ماد» أو «مِئود مِئود»، ولكن يبقى هذا الأمر مثيرًا إذا جاء عن أهل الكتاب أنفسهم. وهو يحتاج مزيدَ تحريرٍ.

قال له الربّ: «وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟ أَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ **أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلًا**». وهذا النَّسْلُ العظيم، والقويُّ لم يُعرف إلّا بعد البعثة النبويّة في مكة.

وبسبب ذلك قال علي بن ربن الطبري -المهتدي إلى الإسلام-: «لو لم يظهر النبيّ ﷺ لبطلت نبوّات الأنبياء في إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خاتم الأنبياء بالضرورة؛ لأنّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يُخلف وعده، ولا يكذّب خبره، ولا يخيب راجيه. ولقد كان بشّر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهاجر رحمة الله عليها، ببشارات بيّنات سارّات، ولم نرها تمّت وظهرت إلّا بظهور النبيّ ﷺ»[١].

اعترافات المفسّرين النّصارى واليهود

اعترف عددٌ من أعلام النصارى واليهود قديمًا وحديثًا أنّ البشارة بنسل إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، هي بشارةٌ بأمّة الإسلام، ومن هذه الشهادات:

- نقل الحبر والمفسّر بَحْيي بن أشر بن حلوا **בחיי בן אשר אבן חלואה** (١٢٥٥-١٣٤٠) -أحد أشهر المفسّرين اليهود في الأندلس- في تفسيره لنصّ تكوين ١٧/ ٢٠: «وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً»، عن الحبر حننئيل **חֲנַנְאֵל** قوله:[٢]

ראינו שנתאחרה הבטחה זו להם אלפים של"ג שנה	نلاحظ أنّ هذه النبوءة قد تحقّقت لهم بعد ٢٣٣٣ سنة.

وعلّق الحِبر شَعووعل **שעוועל** (١٩٠٦-١٩٨٢) بقوله: «هذا رقم دقيق بالنظر إلى أنّ إبراهيم قد اختُتن عام ٢٠٤٧ بعد الخلق. وقد تأسّس الدين الإسلامي عام ٤٣٧٤ بعد الخلق. أضِف إلى ذلك عشر سنوات أخرى حتى يبدأ الإسلام في الانتشار في جميع أنحاء العالم؛ وستصل إلى الرقم ٢٣٣٣ بعد ختان إبراهيم، تاريخ هذا التنبؤ»[٣].

---

(١) علي بن ربَّن الطبري، الدين والدولة في إثبات نبوّة النبيّ محمّد ﷺ، ص١٣٠.

(2) Baḥya ben Asher ben Ḥlava, *Bereshit-Chayey* (Sole North American distributor, Lampda Publishers, 1998), p.272.

وأيضا:

<https://www.sefaria.org/Rabbeinu_Bahya%2C_Bereshit.17.20.3?lang=bi&with=all&lang2=en >.

(3) Ibid

- أشار أغابيوس (محبوب) بن قسطنطين -أُسْقُفُ مَنْبِجَ في القرن العاشر الميلادي، صاحب أول تاريخ نصرانيٍّ باللغة العربيّة- إلى وثيقةٍ أصدرها الإمبراطور البيزنطيّ هرقل المعاصر للرسول ﷺ، أَمَرَ فيها حُكّامه في مصر وسوريا وأرمينيا أَلَّا يقاوموا العرب لأنّهم وَعْدُ الله في إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[(١)].
- جاء في تفسير الكتاب المقدس -الذي أشرفَ عليه جون دومّلو- التصريح أنّ نصّ تكوين ١٦/ ١٠: «وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ»، هو «وَعْدٌ تَحَقَّقَ في الجنسِ العربيّ»[(٢)].
- قال القسّيس والمفسّر جون جل[(٣)]: «وَأَجْعَلُه أُمَّةً كَبِيرَةً: كما هو الأمر مع أُمّة التُّرك[(٤)]. والإمبراطورية التركية كثيرًا ما يطلق عليها في كتابات اليهود اسم مملكة إسماعيل»[(٥)].

يد الإسماعيليّين

جاء في نصّ البشارة بإسماعيل ونَسْلِهِ: «يَدُهُ على كلّ واحدٍ، ويدُ كلّ واحدٍ عليه» (تكوين ١٦/ ١٢). والقارئ للعهد القديم؛ سيجد أنّ اسم الهاجريّين (أبناء هاجر) مقترن بالهزائم لا الانتصارات:

- «وَفِي أَيَّامِ شَاوُلَ عَمِلُوا حَرْبًا مَعَ الْهَاجَرِيِّينَ فَسَقَطُوا بِأَيْدِيهِمْ وَسَكَنُوا فِي خِيَامِهِمْ فِي جَمِيعِ جِهَاتِ شَرْقِ جِلْعَادَ». (أخبار الأيام الأول ٥/ ١٠).
- «وَعَمِلُوا حَرْبًا مَعَ الْهَاجَرِيِّينَ وَيَطُورَ وَنَافِيشَ وَنُودَابَ، فَانْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ. فَدُفِعَ

---

(1) Hans Küng, *Islam: past, present and future* (Oxford: Oneworld, 2007), p.8.

سواء صحّ وجود هذه الوثيقة أم لا، فهي دالة على فهم النصارى زمن الفتوحات الأولى أنّ مباركة الذريّة لم تتمّ إلّا بظهور الإسلام.

(2) “A promise fulfilled in the Arab race” John Dummelow, *A Commentary on the Holy Bible*, p.25.

(٣) جون جل John Gill (١٦٩٧-١٧٧١): قسيس ولاهوتي معمداني إنجليزي.

(٤) الترك: مصطلح كان يُطلق على المسلمين في القرون الأخيرة حتى القرن التاسع عشر.

(5) John Gill, *An Exposition of the Old Testament* (London: Mathews and Leigh, 1810), 1/125.

لِيَدِهِمِ الْهَاجَرِيُّونَ وَكُلُّ مَنْ مَعَهُمْ لأَنَّهُمْ صَرَخُوا إِلَى اللهِ فِي الْقِتَالِ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ لأَنَّهُمُ اتَّكَلُوا عَلَيْهِ». (أخبار الأيام الأول ٥/ ١٩-٢٠).

وأما الإسماعيليّين؛ فيقول فيهم معجم الكتاب المقدس الذي أشرف عليه هاستنجز[١] -بعد الإشارة إلى أنّه كان لإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ اثني عشر ولدًا نشأتْ عنهم قبائل، وإثارة هذا المعجم الشكّ في صحّة هذه النسبة- إنّ خبر الإسماعيليّين قد اختفى بعد قصّة إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ[٢]؛ أي لم يُذكر إلّا نادرًا.

ولذلك قال ابن تيمية: «مَعْلُومٌ أَنَّ يَدَ بَنِي إِسْمَاعِيلَ قَبْلَ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ تَكُنْ فَوْقَ أَيْدِي بَنِي إِسْحَاقَ، بَلْ كَانَ فِي بَنِي إِسْحَاقَ النُّبُوَّةُ وَالْكِتَابُ، وَقَدْ دَخَلُوا مِصْرَ زَمَنَ يُوسُفَ مَعَ يَعْقُوبَ، فَلَمْ يَكُنْ لِبَنِي إِسْمَاعِيلَ فَوْقَهُمْ يَدٌ ثُمَّ خَرَجُوا مِنْهَا لَمَّا بُعِثَ مُوسَى، وَكَانُوا مَعَ مُوسَى أَعَزَّ أَهْلِ الْأَرْضِ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ عَلَيْهِمْ يَدٌ ثُمَّ مَعَ يُوشَعَ بَعْدَهُ إِلَى زَمَنِ دَاوُدَ، وَمَلَكَ سُلَيْمَانُ الَّذِي لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ مِثْلَهُ وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ بُخْتُنَصَّرَ فَلَمْ يَكُنْ لِبَنِي إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمْ يَدٌ ثُمَّ بُعِثَ الْمَسِيحُ وَخُرِّبَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ الْخَرَابَ الثَّانِيَ، حَيْثُ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ، وَمِنْ حِينَئِذٍ زَالَ مُلْكُهُمْ وَقَطَّعَهُمُ اللهُ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا، وَكَانُوا تَحْتَ حُكْمِ الرُّومِ وَالْفُرْسِ، لَمْ يَكُنْ لِلْعَرَبِ عَلَيْهِمْ حُكْمٌ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ لِوَلَدِ إِسْمَاعِيلَ سُلْطَانٌ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ -لا أَهْلِ الْكِتَابِ، ولا الْأُمِّيِّينَ- فَلَمْ يَكُنْ يَدُ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ فَوْقَ الْجَمِيعِ، حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا؛ الَّذِي دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ حَيْثُ قَالَا: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فَلَمَّا بُعِثَ، صَارَ يَدُ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ فَوْقَ الْجَمِيعِ، فَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ سُلْطَانٌ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِهِمْ، وَقَهَرُوا فَارِسَ وَالرُّومَ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَقَهَرُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالصَّابِئِينَ. فَظَهَرَ بِذَلِكَ تَحْقِيقُ قَوْلِهِ فِي التَّوْرَاةِ» وَتَكُونُ يَدُهُ فَوْقَ الْجَمِيعِ وَيَدُ الْكُلِّ بِهِ «وَهَذَا أَمْرٌ مُسْتَمِرٌّ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ»[٣].

---

(١) جيمس هاستنجز James Hastings (١٨٥٢-١٩٢٢): قسيس وناقد كتابي أسكتلندي اشتهر بمعجمه للكتاب المقدس وموسوعته في الأديان.

(2) James Hastings, *et al*., *Dictionary of the Bible* (New York: C. Scribner's sons, 1909), p.392.

(٣) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ٥/ ٢٢٣-٢٢٥.

كما فسّر يوحنّا بن الفنكي[1] المعاصر للصحابة الكرام (توفي قبل عام ١٠٠هـ)، نصّ: «يَدُهُ عَلَى كُلٍّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ»، بقوله: «... وتحققَتْ نبوءة موسى، عندما قال: «يده على الجميع، ويد الجميع عليه». لأنّ يد العرب قد أَخْضَعَتْ جميع الشُّعوب»[2].

اعتراض١:

قَصَرَت التوراة النبوّة على بني إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ إذ جاء فيها: «وَلكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَةِ» (تكوين ١٧/ ٢١). كما أنّ العهد مع إسحاق، عهدٌ أَبَدِيٌّ (تكوين ١٧/ ١٩).

الجواب:

أولا: يزعم هذا الاعتراض أنّ الله لمّا أراد تبشير إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إمامَ الموحّدين، أَخْبَرَهُ أنّ النبوة التي يُعرف بها الإله الحقُّ، ويُعبد بها، ستكون فقط في نَسْلِ إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأمّا إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فسيكون له نَسْلٌ كثيرٌ من الكافرين بالله. وهذا ليس من البشارة بشيء؛ إذ لن يَسْعَدَ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالعِلمِ أنَّ نَسْلَهُ سيكون حَطَبَ جهنّم.

ثانيا: التوراة التي يذهب عددٌ من النقاد أنها مجموع وثائق مختلفة تمَّ الجمع بينها بلا توفيقٍ جيّد[3]، **تتناقض هنا**؛ إذ إنّنا نقرأ في تكوين ١٧/ ٩-١١: «قَالَ الله لإِبْرَاهِيم: «وَأَمَّا أَنْتَ

---

(١) يوحنا ابن الفنكي ܝܘܚܢܢ ܒܪ ܦܢܟܝܐ (القرن السابع): كاتب نصراني نسطوري. من مؤلفاته "كتاب النقاط البارزة" الذي أرّخ فيه لتاريخ البشرية من البدء حتى زمنه.

(٢) الجزء ١٥ من كتابه: النقاط البارزة، يوحنا الفنكي. وقد ترجم هذا الفصل إلى الإنجليزية سبستيان بروك. والاقتباس مصدره من هذه الترجمة:

Sebastian P. Brock, *Studies in Syriac Christianity: history, literature, and theology* (Aldershot: Variorum, 1992), p.73.

(٣) لا نتحدّث هنا عن النظرية الكلاسيكية للوثائق الأربعة، وإنما عن نظرية الوثائق في عمومها وتنوعها. فقد ظهرت نظرية "neo-documentary hypothesis" في العقود الأخيرة، ومن أعلامها باروخ Baruch Schwartz من الجامعة العبرية في فلسطين المحتلة. انظر في نقد الاعتراض على نظرية الوثائق في العقود الأخيرة:

Baruch J. Schwartz, 'Does Recent Scholarship's Critique of the Documentary Hypothesis Constitute Grounds for Its Rejection?', in *The Pentateuch: international perspectives on current research*, eds. Thomas B. Dozeman *et al*. (Tübingen, Germany: Mohr Siebeck, 2011), pp.3-16

فَتَحفَظُ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ. هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ». فالعهدُ هنا لِنَسْلِ إبراهيم كلّه، دون تخصيصٍ. وقد جاءت هذه البشرى لإبراهيم لمّا لم يكن عنده ولدٌ سوى إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. ومعلومٌ أنّ العرب (أبناء إسماعيل) كانوا يَخْتَتِنُونَ قبل الإسلام.

ثم بعد بضعةِ أَسْطُرٍ جاءت بشارة الربِّ لإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنّ زوجته سارة ستُنْجِبُ ولدًا: «قَالَ إِبْرَاهِيمُ للهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!». فَقَالَ اللهُ: «بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. وَلكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَةِ». (تكوين ١٧/ ١٨-٢١). فتمّ تخصيص العهد لاحقًا في مخالفةٍ للحديث الأَوّل الذي جعل العهدَ في عامّة ذريّة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

ثم نقرأ بعد ذلك مباشرة: «فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ صَعِدَ الله عَنْ إِبْرَاهِيمَ. فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ ابْنَهُ، وَجَمِيعَ وِلْدَانِ بَيْتِهِ، وَجَمِيعَ الْمُبْتَاعِينَ بِفِضَّتِهِ، كُلَّ ذَكَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ، وَخَتَنَ لَحْمَ غُرْلَتِهِمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ كَمَا كَلَّمَهُ اللهُ» (تكوين ١٧/ ٢٢-٢٣). وهنا خَتَنَ إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إسماعيلَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، والخِتانُ -كما علمتَ- علامة العهد. وأهمّ ما في هذا العهد يُوضّحه العدد ٧ من الفصل ١٧ نفسه: «وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ» .... ومعنى «أكون إلها لِنَسْلِكَ» هو أن يتّخذ نَسْلُكَ إلهَ إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ معبودَهم.

ثم إنّنا نقرأ في الفصل التالي -تكوين ١٨/ ١٩-: «وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟ لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلًا، لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ». وهو كلام يُفهم منه -ضرورة- أنّ البشرى لبني إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كلّهم إن أطاعوا الأمر والتزموا الحقّ، وليست خاصّة بإسحاق عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الذي لم يولد بعد[1].

---

(١) جاء خبر ولادة إسحاق عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لاحقًا في الفصل ٢١ من سفر التكوين.

ثالثا: ورد في تكوين ١٨/ ١٠-١٢: «قَالَ [الربّ]: «إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ». وَكَانَتْ سَارَةُ سَامِعَةً فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَهُوَ وَرَاءَهُ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الأَيَّامِ، وَقَدِ انْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَالنِّسَاءِ. فَضَحِكَتْ سَارَةُ فِي بَاطِنِهَا قَائِلَةً: «أَبَعْدَ فَنَائِي يَكُونُ لِي تَنَعُّمٌ، وَسَيِّدِي قَدْ شَاخَ؟»». وهو نصٌّ يدلّ على أنّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وسارة ما كانا على عِلْمٍ أنّهما سَيُرْزَقان بولد (إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)؛ حتّى إن سارة عَجِبَتْ من الأمر. وذاك لا يأتلِفُ مع الوعد السّابق من الربّ لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنّه سيرزقُ ولدًا من زوجته سارة؛ فلزم القول إنّ الوعد السّابق لإسحاق مُلَفَّقٌ.

رابعا: حِرْمانُ إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من البركة وإعطاؤها إلى إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأنّه ابنُ الأَمَةِ لا الحُرَّةِ، لا نَجِدُ له حِكْمةً في سياق القصّة.

يقول القسّيس المهتدي إلى الإسلام إبراهيم خليل فليبس، بعد أن نقل نصّ تثنية ٢١/ ١٥-١٧[1]: «ومع هذه الصراحة في النصّ، إلّا أن التوراة أَغْفَلَتْ هذا المبدأ المنصِفَ، وصارت تُعطي من البداية إلى النهاية النَّصيب المضاعفَ من المجد لابن المحبوبةِ أو الحُرَّةِ، فَأَعْطَتْ إسحاقَ ابن سارة الزّوجة الحُرّة، وهو الابنُ الثاني لإبراهيم أَعْطَتْهُ حقّ البكوريّة، وأَيَّدَتْهُ بالنصّ القائل: «ولكن عهدي أُقيمه مع إسحاق الذي تَلِدُهُ لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية» (تكوين ١٧/ ٢١) وأن هذا التصرّف يجعل التوراة والكتاب المقدّس متناقضًا مع الشريعة، ومجانبًا للعدل. فإن النّصيبَ المضاعَفَ وحقّ البُكوريّة تخصُّ إسماعيل وسُلالَتَه، ولا يمكن أن تكون الحالة الاجتماعية الممجوحة لأَمَةٍ بكونها جاريةِ سارة أن تُبْخَسَ هذه الحقوق على الإطلاق»[2].

خامسا: يرى اليهود أنّ العهد مع إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لا يتضمّن قَصْرَ النّبوّة على نَسْلِه، وإنّما هو عهدٌ أن تستمرَّ فيهم النبوّة على مدى أجيالٍ كثيرةٍ.

---

(١) ««إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ امْرَأَتَانِ، إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةٌ وَالأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ، فَوَلَدَتَا لَهُ بَنِينَ، الْمَحْبُوبَةُ وَالْمَكْرُوهَةُ. فَإِنْ كَانَ الابْنُ الْبِكْرُ لِلْمَكْرُوهَةِ، فَيَوْمَ يَقْسِمُ لِبَنِيهِ مَا كَانَ لَهُ، لا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ ابْنَ الْمَحْبُوبَةِ بِكْرًا عَلَى ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ الْبِكْرِ، بَلْ يَعْرِفُ ابْنَ الْمَكْرُوهَةِ بِكْرًا لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ، لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ. لَهُ حَقُّ الْبَكُورِيَّةِ».

(٢) إبراهيم خليل أحمد، محمّد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن (القاهرة: دار المنار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ص٣٨.

وقد صرّح مُعَظَّم اليهود في القرون الوسطى (موسى بن ميمون) بقوله في رسالته إلى اليمن: «إنّ عدم إيماننا بنبوّة عمرو وزيد؛ لا يعود لكونهما ليسا من بني إسرائيل؛كي نلجأ لتسويغ مذهبنا بنصّ الكتاب المقدّس: «من وسطك من إخوتك» (تثنية ١٨/ ١٨) -كما يظنُّ العوامّ-؛ إذ إنّ أيوب وزوفار وبلدد وإليفاز وإليهو كلُّهم أنبياء عندنا، **رغم أنّهم ليسوا من إسرائيل**. وكذلك فإنّ حنانيا بن عزور نبيّ كاذب؛ رغم أنّه من إسرائيل. وإنّما نحن نُصدّق النبيَّ أو نُكذّبه من جهة مُعْتَقَدِه، لا من جهه بيان جِنْسِه»[١].

وهو ما أَكَّدَهُ نتنئيل الفيومي[٢] في كتابه: «بستان العقول»؛ إذ بَيَّنَ أنّ الله يرسل أنبياء إلى الناس بلغتهم؛ سواء كانوا من بني إسرائيل أم لا. وقد اعترف هو نفسه بنبوّة محمّد ﷺ، وإنْ زعم أنّها خاصّةٌ بالعرب[٣].

سادسا: الاستدلال بأبديّة العهد، بمعنى قَصْر الأمر على نَسْلِ إسحاق عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، حُجّة على النصارى أيضًا؛ لأنّ دين الكنيسة قد خرج من نَسْلِ إسحاق إلى الأمم. وقد قال يسوع لبني إسرائيل: «لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ الله يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ». (متّى ٢١/ ٤٣).

ثم إنّ بولس نفسه يقرّر أنّ العهد القديم مُخْبِرٌ أنّ رسالة السماء ستُعطى آخر الزمان إلى غير بني إسرائيل: «لكِنَّنِي أَقُولُ: أَلَعَلَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا؟ بَلَى! «إِلَى جَمِيعِ الأَرْضِ خَرَجَ صَوْتُهُمْ، وَإِلَى أَقَاصِي الْمَسْكُونَةِ أَقْوَالُهُمْ». لكِنِّي أَقُولُ: أَلَعَلَّ إِسْرَائِيلَ لَمْ يَعْلَمْ؟ أَوَّلًا مُوسَى يَقُولُ: «أَنَا أُغِيرُكُمْ بِمَا لَيْسَ أُمَّةً. بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُكُمْ». ثُمَّ إِشَعْيَاءُ يَتَجَاسَرُ وَيَقُولُ: «وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي، وَصِرْتُ ظَاهِرًا لِلَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا عَنِّي». أَمَّا مِنْ جِهَةِ إِسْرَائِيلَ فَيَقُولُ: «طُولَ النَّهَارِ بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى شَعْبٍ مُعَانِدٍ وَمُقَاوِمٍ»» (الرسالة إلى روما ١٠/ ١٨-٢١).

وقد أشار بولس في قوله السّابق إلى مجموعةٍ من النصوص في العهد القديم، رأى أنّها دالّة على انتقال الوحي من بني إسرائيل إلى غيرهم:

---

(1) Moses Maimonides, *Epistle to Yemen*, X.

(٢) نتنئيل الفيومي נתנאל פיומי (1090-1165): الابن الأكبر للحبر "فيومي". عالم يهوديٌّ عُيّن "ناجيدا" ليهود اليمن في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي.

(3) Nathanael ibn al-Fayyumi, *The Bustan Al-ukul*, tr. David Levine (Columbia University Press, 1908), pp.104-105

مزمور ١٩/ ٤: «فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ. جَعَلَ لِلشَّمْسِ مَسْكَنًا فِيهَا».

تثنية ٣٢/ ٢١: «هُمْ أَغَارُونِي بِمَا لَيْسَ إِلهًا، أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ. فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا، بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ».

إشعياء ٦٥/ ١-٢: «أَصْغَيْتُ إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا. وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي. قُلْتُ: هأَنَذَا، هأَنَذَا. لأُمَّةٍ لَمْ تُسَمَّ بِاسْمِي. بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيق غَيْرِ صَالِحٍ وَرَاءَ أَفْكَارِهِ».

وقد أكّد آباء الكنيسة أنّ هِبَة النبوّة قد انتقلت من اليهود إلى أتباع يسوع. ومن ذلك قول جستين الشهيد في منتصف القرن الثاني -في حواره مع اليهودي تريفو-: «عليك أن تفهم أنّ الهِبات التي أُعطِيتْ لقومك من قبلُ من بين الأمم، قد انتقلتْ الآن إلينا»[١].

سابعا: يستدلُّ النصارى لخروج الأمر من بني إسرائيل بقول إشعياء: «انصُتُوا إِلَيَّ يا شَعْبِي، وَيَا أُمَّتِي اصْغِي إِلَيَّ: لأَنَّ شَرِيعَةً مِنْ عِنْدِي تَخْرُجُ، وَحَقِّي أُثَبِّتُهُ نُورًا لِلشُّعُوبِ» (إشعياء ٥١/ ٤). وهو نص حجّة للمسلمين لا النصارى؛ لأنّه لم تظهر في النصرانية شريعة للأمم، وإنّما ألغى بولس العمل بالشريعة.

ويربط الناقد ج.إ. روسكاب[٢] بين البشارة لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونصّ إشعياء ٥١/ ٤؛ فقال: «إنّها تصل إلى «شعوب ... السّواحل» التي تنتظره أيضًا؛ إذ إنّ نطاق عهده مع إبراهيم لم يكن فقط شخصيًّا وقوميًّا. لقد كانت بركته عالميّة (تك ١٢/ ١-٣)»[٣].

كما ربط الناقد غاري سميث[٤] بين خروج الوحي الإلهيّ للأمم في إشعياء ٥١/ ٤

(1) Justin the Martyr, *Dialogue with Trypho*, 82.1.

(٢) جيمس روسكاب James Rosscup: رئيس قسم شرح الكتاب المقدس في Talbot Theological Seminary.

(3) J. E. Rosscup, *An Exposition on Prayer in the Bible: Igniting the Fuel to Flame Our Communication with God* (Bellingham, WA: Logos Research Systems, Inc., 2008), p.1118.

(٤) غاري سميث Gary Smith (١٩٤٣-): أستاذ الدراسات المسيحية في Union University. كما درّس العهد القديم والعبرية في Midwestern Baptist Theological Seminary.

والبشارة الواردة في الفصل ٤٢ من سفر إشعياء[1]، والمخبرة عن شريعةٍ جديدة تخرج في أرض قيدار، أرض العرب التي سبق شرحها.

ثامنا: لمّا حضر يعقوبَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الموتُ، وَصَّى بَنِيْهِ وبارَكَهُم، وتحدّث عن كلّ ولدٍ. وقال عن بنـيه جميعًا في شخص يهوذا: «لا يزول صولجان الملك من يهوذا ولا مشترع من صُلْبه حتى يأتي شيلوه فتُطِيْعُه الشُّعوب» (سِفر التكوين ٤٩/ ١٠). فهذا الحاكم المنتظَرُ، القائم بأمر الله، تُطيعه كلّ الشّعوب؛ بما يعني أنّ رسالتَهُ عالميّة، وهي ليست قاصرةً على بني إسرائيل. ومجيئه مرتبطٌ بزوال المُلْكِ من سبط يهوذا، وقد زال منذ زمنٍ.

اعتراض٢:

القول إنّ ذريّة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من هاجَرَ هم المسلمون، يعارض حقيقةَ أنّ المسلمين من أعراقٍ مختلفة، وليسوا فقط من نَسْلِ إسماعيل ابن هاجَرَ!

الجواب:

البشارة لا تُخبر أنّ نَسْلَ هاجرَ سيكون وَحْدَهُ أمّة الإسلام، وإنّما معناها أنّ مِنْ نَسْلِ هاجرَ ستظهر جماعةٌ عظيمةٌ تكون مؤمنةً. أي إنّ البشارة لا تذكر أنّ المؤمنين سيكونون من نَسْلِ هاجَرَ فقط، وإنّما هي تشير إلى أنّ الله سيبارك نسلِ هاجر، وتكون منه جماعةٌ مسلمةٌ عظيمةٌ. فالبشارة مُخبِرةٌ أنّ الهاجَرِيّين ستكونُ منهم أُمَّةٌ مؤمنةٌ عظيمةٌ، لا أنّهم الأمّة المؤمنة الوحيدة.

ومن المهمّ هنا الإشارة إلى أنّ اللَّقَبَ الذي كان غالبًا على وصف المسلمين من طرف النّصارى منذ البعثة وعلى مدى القرون الوسطى، هو لقب «الهاجَرِيُّون» "ܗܓܪܝܐ" [هَجْرَايا] عند السّريان، وἈγαρηνοί [أَجرينوي] عند الناطقين باليونانية؛ نسبةً إلى هاجَرَ جَدَّةِ العَرَبِ. كما كانوا يُسَمَّوْنَ أيضًا بالإسماعيليّين.

(1) G. Smith, *Isaiah 40-66*. New American Commentary (Nashville, TN: Broadman & Holman Publishers, 2009), p.394.

الخلاصة:

● يؤمن النصارى -كالمسلمين- أنّ الملكوت سينزع من بني إسرائيل ويُعطى إلى غيرهم. ويستدلّون لذلك بنصوص من العهد القديم.

● دلّت التوراة على بشارة الله سبحانه إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بثلاث بشارات: الكثرة في الذريّة، والبركة فيهم، والقوّة في أيدهم. ولا بركة في أمّة كافرة؛ فلزم من ذلك حمل البشارة على التوحيد والإيمان. ولم تتحقّق البشارات الثلاث في الإسماعيليين إلّا مع بعثة محمّد ﷺ.

الفصل الرابع

مكة، أرض الحج المباركة

روى ابْن عَبَّاس، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بوَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟» فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَابطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى الله بالتَّلْبِيَةِ»، ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى، فَقَالَ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟» قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَى، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي»[1].

وقال ﷺ أنّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ -بعد نزوله آخر الزمان- يُهلّ بالحج أو العمرة أو بهما معًا: «وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بفَجِّ الرَّوْحَاءِ، حَاجًّا أو مُعْتَمِرًا، أو لَيَثْنِيَنَّهُمَا»[2].

لقد دلّ الخبر النبويّ أنّ الكعبة كانت قِبْلَةَ كثير من الأنبياء، على اختلافٍ بين الشُّرَّاح حول عددِ مَنْ حَجَّ منهم. قال ابن تيمية: «... وَحَجِّ الْبَيْتِ الْعَتِيق الَّذِي بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَن، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى حَجِّهِ وَحَجَّتْهُ الْأَنْبِيَاءُ، حَتَّى حَجَّهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَيُونُسُ بْنُ مَتَّى وَغَيْرُهُمَا»[3].

فهل في الكتاب المقدّس إخبارٌ عن الحج إلى مكّة؟

الجواب في المزمور ٨٤/ ٤-٨:

طوبى للسّاكنين في **بيتك**، أبدًا يُسبّحونك. سلاه.	אַשְׁרֵי, יוֹשְׁבֵי **בֵיתֶךָ**- עוֹד יְהַלְלוּךָ סֶּלָה.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات (ح/ ٢٤١).

(٢) رواه مسلم، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ إِهْلَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَهَدْيِهِ، (ح/ ٢٢٨٣).

(٣) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ص ٣٦٣- ٣٦٤.

طوبى لأناس عِزُّهم بك. **طرق بَيْتِكَ في قلوبهم**.	אַשְׁרֵי אָדָם, עוֹז-לוֹ בָךְ; **מְסִלּוֹת, בִּלְבָבָם**.
عابرين في وادي **البكاء**، يُصَيِّرُوْنَهُ ينبوعًا. أيضًا ببركات يغطون مورة.	עֹבְרֵי, בְּעֵמֶק **הַבָּכָא**- מַעְיָן יְשִׁיתוּהוּ גַּם-בְּרָכוֹת, יַעְטֶה מוֹרֶה.
يذهبون **من قوة إلى قوة**. يرون قدام الله في صهيون.	יֵלְכוּ, **מֵחַיִל אֶל-חָיִל**; יֵרָאֶה אֶל-אֱלֹהִים בְּצִיּוֹן.
يا ربَّ إله الجنود، اسمعْ صلاتي، واصغِ يا إلهَ يعقوب. سلاه.	יְהוָה אֱלֹהִים צְבָאוֹת, שִׁמְעָה תְפִלָּתִי; הַאֲזִינָה אֱלֹהֵי יַעֲקֹב סֶלָה.

يتحدّث هذا النص من المزمور عن أهم معالم الحج:

أولا: مضمون المزمور ٨٤

اتَّفَقَتْ عامّة التفاسير النصرانية أنّ المزمور ٨٤ متعلّق بالحجّ إلى بيت الله. ومن ذلك قول الناقد مارفن إ. تايت[١] في التعريف بهذا المزمور: «يُعبّر المزمور ٨٤ عن شوقِ الحاجّ لِفَرَحِ المشاركة في معابد الربّ. إنه مزمور للحجّ، يمكن قراءته بشكلٍ مفيدٍ مع المزامير الأخرى التي تُعَبِّرُ عن التَّوْقِ لمعبد الله»[٢]. وقال الناقد جيوفري غروغان[٣]: «من الواضح أن هذه أغنيةُ حجٍّ للاستخدام في أعياد الحجّ»[٤]. وهو ما ذكره أيضًا أوجين بانييه[٥] [٦].

ثانيا: مقصد الحجاج

القرآن: الحج يكون إلى الكعبة، بيت الله. قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ

(١) مارفن.إ. تايت Marvin E. Tate: ناقد كتابي أمريكي. أستاذ تفسير العهد القديم في Southern Baptist Theological Seminary.

(2) Marvin E. Tate, *Psalms 51-100* (Dallas: Word, Incorporated, 2002), p.361

(٣) جيوفري غروغان Geoffrey Grogan (١٩٢٥-٢٠١١): لاهوتي ومفسّر أمريكي. درّس Glasgow Bible College.

(4) G. W. Grogan, *Psalms. The Two Horizons Old Testament Commentary* (Grand Rapids, MI; Cambridge, U.K.: William B. Eerdmans Publishing Company, 2008), p.148.

(٥) أوجين أ. بانييه Eugène A. Pannier: أستاذ الأسفار المقدسة، وعميد كليّة اللاهوت في ليل، بفرنسا.

(6) Eugène A. Pannier, *Les Psaumes d'après l'Hébreu en Double Traduction avec Indications Métriques* (Lille: R. Giard, 1908), p.232.

ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦].

المزمور ٨٤: «بيتك» "**ביתך**": أي بيت الله.

ثالثا: اسم المكان الذي يوجد فيه بيت الله

القرآن: بيت الله الكعبة موجود في بكّة، التي هي مكّة. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

المزمور ٨٤: بيت الله في "**הַבָּכָא**" «هبكا».

رابعا: طبوغرافية الأرض التي فيها بيت الله

القرآن: مكّة طبوغرافيًّا على صورة وادٍ. قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

المزمور ٨٤: "**עֵמֶק הַבָּכָא**" «عِيمِق هبكا»؛ أي وادي بكّة.

خامسا: الطبيعة الزراعية للأرض المحيطة ببيت الله

القرآن: أرض الحج المباركة، جدباء. قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

المزمور ٨٤: قال كالفن في تفسيره لمزمور ٨٤/ ٦ –وإن كان يفسّر النص رمزيًّا، دون داعٍ–: «ليس هناك شكّ في أن الصحاري الجافة والجرداء هي المقصد في هذا النصّ، فعند السَّفَرِ يجب تحمُّل الكثير من المشاقّ والحاجة، لا سيما الحاجة إلى الماء»[1].

سادسا: أَجْرُ مَنْ ينزل عند بيت الله

القرآن: بكّة أرضُ بركةٍ لمن يأتيها حاجًّا. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

المزمور ٨٤: "**גַּם־בְּרָכוֹת יַעְטֶה מוֹרֶה**": النصّ في ترجمة الفاندايك: «أَيْضًا بِبَرَكَاتٍ يُغَطُّونَ مُورَةَ». وهي ترجمة للأصل العبري منكرة؛ فلا معنى لمورة هنا؛ لأنّ النص لم يذكر بلوطة مورة (تكوين ١٢/ ٦، تثنية ١١/ ٣٠) أو تل مورة (القضاة ٧/ ١)؛ ولذلك لم تعتمد

---

(1) Jean Calvin, *On the Christian Faith: Selections from the Institutes, Commentaries, and Tracts* (Liberal Arts Press, 1957), p.163.

أيُّ ترجمة إنجليزية مشهورة كلمة «مورة» هنا. وقد اختارت الترجمة السبعينيّة: «لأنّ المشرّع يمنح هناك بَرَكَتَهُ» "γὰρ εὐλογίας δώσει ὁ νομοθετῶν"، وقريب من ذلك قالت ترجمة الفولجاتا اللاتينيّة: "benedictione quoque amicietur doctor"[١].

سابعا: النَّبْعُ الذي يَتَفَجَّرُ عند بيت الله

الحديث النبوي: مكّة هي التي تَفجّر فيها بئر زمزم عندما كانت فيها هاجر مع ابنها إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بلا ماء. ثم هو يسقي بعدها الحجّاج.

المزمور ٨٤: «يُصَيِّرُونَهُ يَنْبُوعًا»: ورد في الهامش النقدي لترجمة New English Translation: «جاء في النصّ العبري الماسوري: «النبع الذي يصنعونه». لكن هذا الوجه لا معنى له. العديد من المخطوطات العبرية التي تعود إلى القرون الوسطى، بالإضافة إلى الترجمة السبعينيّة، يُفهم منها أنّ الله هو الفاعل، وأنّ الوادي موضوعُ فِعْلِهِ: «إنه [=الله] يجعله [=الوادي] ينبوعًا»».. ولذلك اختارت ترجمة New English Bible: «يجدون ماءً من الينبوع»[٢]. ونِسْبَةُ الفِعْلِ إلى الله تدلُّ على تمحور الحديث هنا حول زَمْزَمَ الذي نبع بمعجزةٍ إلهيّةٍ.

ثامنا: السَّعْيُ بين جَبَلَيْنِ أَحَدُ أركان الحجّ

القرآن: السّعي بين جَبَلِي الصَّفَا والمرْوَة من شعائر الحج. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]. وقال الرسول ﷺ: «اسْعَوا؛ فإنّ الله كتب عليكم السَّعْيَ»[٣].

المزمور ٨٤: "יֵלְכוּ, מֵחַיִל אֶל-חָיִל". النصّ في ترجمة الفانדايك: «يذهبون من قوّةٍ إلى قوّةٍ»؛ وهي ترجمة ركيكةٌ، وقد جاءت الترجمة على صور أخرى مقبولة:

---

(١) ذهبت بعض التراجم الحديثة إلى ترجمة "מורה" [موره] إلى مطر لأنّ هذه الكلمة وردت في يوئيل ٢/ ٢٣ بما اختاره المترجمون أنه يعني المطر أو مطر الخريف/ المطر المبكّر. وهي ترجمة يُحتج بها على النصارى القائلين إنّ بكا تقع بالقرب من أورشليم في الطريق إلى الحج إلى الهيكل؛ لأنّ نزول المطر نادر عند موسم الحج إلى الهيكل (من منتصف سبتمبر إلى منتصف أكتوبر).

(2) “They find water from a spring”.

(٣) رواه أحمد (٦/ ٤٢١).

ترجمة الأخبار السارة	ينطلقون من جبل إلى جبل.
الترجمة العربية المشتركة	ينطلقون من جبل إلى جبل.
الترجمة العربية اليسوعية	من ذروة إلى ذروة يسيرون.
الترجمة الكاثوليكية	من ذروة إلى ذروة يسيرون.
ترجمة الشريف	يصعدون من علو إلى علو.

وذاك وصف يطابق السعي بين الصفا والمروة.

الاعتراضات:

استدلال المسلمين بمزمور ٨٤ على خبر الحجّ إلى مكة، حديثٌ؛ فإنّ السابقين لم يُشيروا إلى هذا المزمور في حديثهم عن البشارات؛ ولعلّ ذلك لأنّ دلالات النصّ لا تظهر إلّا بمراجَعَةِ الأصل العِبري. وقد ردّ المنصّرون في العقود الأخيرة على تفسير المسلمين لهذا المزمور من عددٍ من الأوجه، نذكرها هنا:

اعتراض ١: الكلمة في النص العبري تُنطق: «بخا» لا «بكة». فهي تُخَالِفُ «بكّة» العربية في الخاء والألف.

الجواب: حروف الكلمة العبرية: الباء والكاف والهاء. وسبب نُطْقِ الكاف خاءً هنا، متعلِّقٌ بموقعها من الكلمة؛ فإنّ القاعدة في النُّطق العِبريّ أنّه عندما يكون حرف الكاف في أوّل الكلمة؛ يُنطق كافًا، وإذا جاء في آخر الكلمة يُنطق خاءً. ولما جاء هذا الحرف هنا في الوسط، مسبوقًا بألفٍ طويلة قبله، يُنطق رخوًا خاءً. فالأمر متعلّق بقواعد النطق لا حقيقة حروف الكلمة، وهو لذلك لا يغيّر من حقيقة ما يقابلها في اللغات الساميّة الأُخرى التي لا تأخذ بقاعدة تغيير صوت حرف الكاف وبقية حروف (بجدكفت)، كالعربيّة. وذاك أشبه بِنُطْقِ بعض المصريّين القاف في اسم مقاطعة «الشرقية» قافًا، ونطق مصريّين آخرين لها همزة «الشرئيّة»؛ لعُرفِ قلب القاف همزة -نطقًا لا كتابة- في بعض مناطق مصر، كما في كلمة «قلب/ ألب» و«قرد/ إرد» و«قادر/ آدر»...

واختيار الحركات في «بكا» هنا، مجرد اجتهاد من اليهود المتأخّرين، وليس على ذلك الاختيار دليل قاطعٌ. ولذلك لو وَضَعْتَ نقطةَ الشَّدَّة العِبريّة داخل الكاف؛ لَنَطَقْتَ الحرف

كافًا مشدّدة كما في «بكّة» العربيّة. ونُقَطُ الشَّدَّةِ في العِبرية لم تكن تُكتب في المخطوطات القديمة.

ثم إنّ عامّة النّصارى الذين يُنكرون دلالة النصّ على مكة، يرون أنّ الكلمة تعني «بكاء»؛ في مطابقة لكلمة بكاء العربية التي هي بالكاف لا الخاء.

وأمّا الهاء آخر الكلمة العربية فصامتةٌ أو خفيفةٌ،كما أنّ نُطْقَنَا لمكة أو بكة بالعِبرية دون وَصْلٍ لها بما بعدها يجعل الهاء صامتةً.

اعتراض٢: مزمور ٨٤/ ٦ لا يَذْكُرُ مكانًا اسمهُ: بكة، وإنّما يتحدث عن «وادي البكاء». وهذا أَمْرٌ واضح تشهد له الترجمة العرية الأشهر (ترجمة الفاندايك)!

الجواب:

أَوَّلًا: لم يكن النصّ واضحًا للمفسّرين والنقّاد. ولذلك قال ألبرت بارنز في مزمور ٨٤/ ٦: «عابرين في وادي بكا Who passing through the valley of Baca: هذا العدد هو من أعسر الأعداد في كتاب المزامير. وقد كان -طبعًا- عرضة لتفسيرات متباينة جدًا»[١].

ثانيا: تعريب كلمة «بكا» على أنّها تعني بكاء، لا يستقيم لأنّ فعل بكى في العبرية آخره هاء ה لا ألف א.[٢]

ثالثا: أهم الترجمات الإنجليزية (للبروتستانت والكاثوليك واليهود) تحتفظ بكلمة "בכא" بالحروف اللاتينيّة دون ترجمتها Baca، مع اعتماد الحرف الكبير[٣] في أولها، دلالة على أنّها اسمُ عَلَمٍ، مثل: New International Version وNew American Bible وNew American Standard Bible وKing James Bible و New English Translation وJPS Tanakh.

رابعا: أشار كثير من الكُتّاب إلى أنّ «بكا» في مزمور ٨٤/ ٦ تشير إلى نباتٍ يُسمّى

---

(1) Albert Barnes, *Notes, critical, explanatory, and practical, on the Book of psalms* (London: Edward Knight), 2/376.

(2) F. Hossfeld, E. Zenger, L. M. Maloney and K. Baltzer, *Psalms 2: A commentary on Psalms 51-100* (Minneapolis, MN: Fortress Press, 2005), p.355.

(3) Capital letter.

«بكا»، يَنْبُتُ بصورةٍ خاصّةٍ في وادي مكّة، وقد سُمي بهذا الاسم؛ لأنّه إذا جُرِحَ يُخرِجُ سائلًا كأنّه الدَّمْعُ.[1] ويُسمّى هذا النبات «بلسم مكة».

وقد جاء في دائرة المعارف الكتابية تحت مادة «بلسان»: «أما البلسان الحقيقيّ الذي ذَكَرَهُ المؤلفون القدماء فهو «بلسم مكة» الذي ما زالت مِصْرُ تستورِدُهُ من شبه الجزيرة العربية كما كان الأمر قديمًا، وهو عَصِيرُ الشّجرة المعروفة علميًّا باسم "Balsamodendron Apobalsamum"، والتي تنمو في جنوب الجزيرة العربية وفي الحبشة»[2].

وتُضِيف دائرة المعارف الكتابية: «وشجرة البلسان لا تنمو الآن في فلسطين، وقد بحث عنها دكتور بوست وغيره من علماء النّبات في الغَوْرِ وفي جلعاد، ولم يعثروا لها على أَثَرٍ، كما لم يعثروا عليها فيما حول أريحا التي يذكر بليني أنها كانت موطن الشجرة. ويقول إسترابو إنها كانت تنمو حول بحر الجليل وكذلك حول أريحا ولكنهما وغيرهما من الكتّاب القدماء اختلفوا في وصف الشجرة مما يدل على أنهم كانوا ينقلون عن مصادر غير موثوق بها»[3].

ولعلّ أفضل من لخّص الحديث في حقيقة وادي بكّة، وأنّه لا علاقة له بالبكاء، الناقد ألكسندر كركباترك[4] في تعليقه على بكة في المزمور ٨٤ إذ ذكر أنّ كلمة «بكا» «لا تعني البكاء في أي مكان استُخدمت فيه، حيث يتمّ استخدام كلماتٍ ذات شكلٍ مختلفٍ. ربما تُشير هذه الكلمة هنا -كما في ٢ صموئيل ٥/ ٢٣- إلى نوعٍ ما من شجر البلَسم، أُطلِقَ عليه هذا الاسم بسبب «دُموع» السائل الذي ينضح منه. أَخَذَ وادي بكا أو أشجار البلسم اسمه

---

(1) C. B. Moll, Briggs, *A commentary on the Holy Scriptures: Psalms* (Scribner, Armstrong & Company, 1872), p.464.

(٢) ويليم بباوي، وآخرون، دائرة المعارف الكتابية (القاهرة: دار الثقافة)، ٢/ ١٨٩

(٣) المصدر السابق.

(٤) ألكسندر فرنسيس كركباترك Alexander Francis Kirkpatrick (١٨٤٩-١٩٤٠): أستاذ العبرية في جامعة كمبردج. أشرف على تفسير الكتاب المقدس، المسمّى: "Cambridge Bible for Schools and Colleges".

من الأشجار التي نَمَتْ فيه، مثل وادي إيلاه أو ترنبث (صموئيل الأولى ١٧/ ٢)، ووادي السنط[١] أو أكاسياس. يُقال إنّ أشجار البلسم تحبُّ المواضع الجافّة، وتنمو بوفرةٍ على سبيل المثال في **وادي مكة القاحل**. وهذه هي النقطة المرجعية بوضوح. كان وادي بكا واديًا جافًّا وأَجْرَدَ مَرَّ فيه الحجّاجُ في طريقهم إلى القُدْسِ. لكن الإيمان يُحوّله إلى مكان ينابيع»[٢].

نحن هنا إذن أمام مجموعةِ تقريراتٍ لا تنطبق إلّا على مكّة:

- المعنى المباشر لكلمة «بكا» لا علاقة له بالبكاء.
- نبات البكا يُعرف بكثرة في مكة حتّى إنّ مكّة اشتهرت به. وهو ما أقرّ به كثير من المفسّرين الآخرين في هذا المقام، ومنهم أ.س. جننجز،[٣] وفرنز ديليتش[٤] القائل عند تفسير هذا العدد عن هذا النّبات إنه منتشِرٌ بكثرة في أودية مكة الجافة[٥]. وكذلك أَكَّدَهُ كارل مول[٦] بالعبارة نفسها[٧].
- سبب تسمية وادي بكا وجودُ نباتِ البكا فيه. وهو ما قَرَّرَهُ أيضًا المفسّر اليهوديّ ابن عزرا في شرحه للنصّ الذي نحن بصدده:

اسم مكان، أو واد حيث تسمى الأشجار بكئيم.	שם מקום, או עמק שם אילנים הנקראים בכאים.

- وادي بكة أرض قاحلة ظهر فيها فجأة نبات البكة.

---

(١) "وَيَكُون فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ الْجِبَالَ تَقْطُرُ عَصِيرًا، وَالتِّلاَلَ تَفِيضُ لَبَنًا، وَجَمِيعَ يَنَابِيعِ يَهُوذَا تَفِيضُ مَاءً، وَمِنْ بَيْتِ الرَّبِّ يَخْرُجُ يَنْبُوعٌ وَيَسْقِي وَادِيَ السَّنْطِ." (يوئيل ٣/ ١٨).

(2) Alexander Francis Kirkpatrick, *The Book of Psalms: books II and III* (Cambridge: The University Press, 1895), p.507.

(3) A. C. Jennings, The *Psalms with Introductions and Critical Notes* (London: Macmillan, 1885), p.76.

(٤) فرنز ديليتش Franz Delitzsch (١٨١٣–١٨٩٠): لاهوتي وعالم عبرية ألماني.

(5) “is very common in the arid valley of Mecca”

(٦) كارل مول Karl Moll (١٨٠٦–١٨٧٨): لاهوتي ألماني بروتستاني.

(7) Karl Moll, *The Psalms* (New York: Scribner, Armstrong & Company, 1872), p.464.

- وادي بكة له علاقة بالمسير إلى الحجّ.

لم يهتد كركباترك إلى أنّ «بكا» هي مكة، وظنّ أنها منطقة قريبة من القدس؛ فهو مُفَسِّرٌ نصرانيٌّ، لكنّه وضع العناصر التي تحصر وادي بكا في وادي مكّة. وقد أنكر الناقد أندرسون أن يكون هناك وادٍ في الطريق إلى الحج إلى أورشليم، جافّ، وفيه هذا النبات، بل أنكر أيضًا أن يكون قد ظهر هذا النبات في فلسطين.[(١)]

اعتراض٣:

مزمور ٨٤/ ٦ يتحدّث عن وادي الرفائيّين، وهو يقع في منطقة تبعد حوالي ٣- ٤ أميال جنوبي غربي أورشليم. وقد جاء خبره في ٢صموئيل ٥/ ٢٢-٢٣: «ثُمَّ عَادَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ فَصَعِدُوا أَيْضًا وَانْتَشَرُوا فِي وَادِي الرَّفَائِيِّينَ [רְפָאִים]. فَسَأَلَ دَاوُدُ مِنَ الرَّبِّ، فَقَالَ: «لاَ تَصْعَدْ، بَلْ دُرْ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَهَلُمَّ عَلَيْهِمْ مُقَابِلَ أَشْجَارِ الْبُكَا».

وبما أنّ وادي البكا لا يبعد أكثر من خمس أميال عن أورشليم؛ أمكن لكاتب المزامير أن يذكر حُجَّاجًا يجتازون وادي البكا للمثول أمام الله في صهيون (الأعداد ٥- ٧)[(٢)].

الجواب:

أولا: وادي الرّفائيّين، اسمُه كما هو ظاهر مخالِفٌ لاسمِ وادي بكا. والمطابَقَةُ تقتضي وجودَ قرينةٍ. ولا قرينة.

ثانيا: يقول المفسّر كارل مول إنّ وَادِي الرَّفَائِيِّينَ يبعد أن يكون الوادي المقصود في مزمور ٨٤/ ٦ لأنّه يظهر من إشعياء ١٧/ ٥ أنّ هذا الوادي خَصِبٌ وليس قاحلًا كما هو وصف المزمور له؛ فقد جاء فيه: «وَيَكُون كَجَمْعِ الْحَصَّادِينَ الزَّرْعَ، وَذِرَاعُهُ تَحْصِدُ السَّنَابِلَ، وَيَكُونُ كَمَنْ يَلْقُطُ سَنَابِلَ فِي وَادِي رَفَايِمَ [רְפָאִים][(٣)]»[(٤)].

---

(1) A. A. Anderson, *Psalms* (London: Oliphants, 1972), 2/604 (Cited in M. E. Tate, *Psalms 51-100*, p.353).

(2) Sam Shamoun, Answering Dr. Jamal Badawi: Muhammad in the Bible

(٣) اسم هذا الوادي في الأصل العبري في إشعياء ١٧/ ٥ و٢صموئيل ٥/ ٢٢ واحد (רְפָאִים)، لكنّ ترجمة الفانديك العربية عربته على صورتين مختلفتين دون داع: رفَائِيِّينَ ورفايم!

(4) Carl Bernhard, *The Psalms* (New York: Scribner, 1872), p.464.

اعتراض ٤:

قال القمصُ عبد المسيح بسيط: «يرجع أَصْلُ تسمية ذلك المكان بوادي البكاء (إلى) سِفر القضاة: «وصعد ملاك الربّ من الجلجال إلى بوكيم (הבכים– Bochim = الباكين – the weepers) وقال. قد أصعدتكم من مصرَ وأتيت بكم إلى الأرض التي أَقْسَمْتُ لآبائكم وقلتُ لا أَنْكُثُ عهدي معكم إلى الأبد. وانتم فلا تقطعوا عهدا مع سكان هذه الأرض. اهدموا مذابحهم. ولم تسمعوا لصوتي. فماذا عملتم. فقلت أيضا لا أطردهم من أمامكم بل يكونون لكم مضايقين وتكون آلهتهم لكم شركًا. وكان لمّا تكلم ملاكُ الربّ بهذا الكلام إلى جميع بني إسرائيل أنّ الشعب رفعوا صوتهم وبكوا (ויבכו– wept = بكوا). فدَعَوا اسمَ ذلك المكان بوكيم (בכים – the weepers – Bokim). وذبحوا هناك للربّ» (قض٢/ ١ –٥). وكان هذا الوادي يقع شمال وادي هنوم، وهو وادٍ مجاور لجبل الهيكل بأورشليم، كان يمثّل المرحلة الأخيرة في السِّفر للآتين من أنحاء أرض الموعد، الشمال والغرب والجنوب لزيارة بيت الربّ في أورشليم والذي هو هيكل سليمان وليس أي مكان آخر»[١].

الجواب:

أولا: بوكيم مكانٌ لم يوصف أنه وادي.

ثانيا: هذا المكان يُسمى «بوكيم» لا «بكا».

ثالثا: لا يُعلم سببُ هذه التسمية. وقد ذهب أصحاب كتاب " The IVP Bible background commentary" إلى أنّ سبب التسمية بكاء بني إسرائيل بعد أن وَبَّخَهُم ملاكُ الله لأنهم لم يُطِيعُوا العهدَ وفشلوا في شنّ حربٍ شاملةٍ ضدّ الكنعانيّين[٢].

اعتراض ٥:

بكا مسبوقة بأداة التعريف العبرية، الهاء. وأداة التعريف العِبرية لا تدخُل على أسماء الأعلام.

---

(١) عبد المسيح بسيط أبو الخير، هل ورد اسم مكة فى الكتاب المقدس؟، نسخة إلكترونية.

(2) V. H. Matthews *et al.*, *The IVP Bible Background Commentary: Old Testament* (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2000), p.245.

الجواب:

الأصل في أسماء الأعلام أنّها مُعَرَّفةٌ بعَلَميّتها في العِبريّة التوراتية، لكنّها أحيانا تَقْبَلُ دُخولَ أداة التعريف، الهاء[1]. ومن أمثلة ذلك:

يشوع ٩/ ١: لبنان הַלְּבָנוֹן

وَلَمَّ سَمِعَ جَمِيعُ الْمُلُوكِ الَّذِينَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ فِي الْجَبَلِ وَفِي السَّهْلِ وَفِي كُلِّ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ إِلَى جِهَةِ لُبْنَانَ.	וַיְהִי כִשְׁמֹעַ כָּל־הַמְּלָכִים אֲשֶׁר בְּעֵבֶר הַיַּרְדֵּן בָּהָר וּבַשְּׁפֵלָה וּבְכֹל חוֹף הַיָּם הַגָּדוֹל אֶל־מוּל הַלְּבָנוֹן

تكوين ١٣/ ١٠: الأردن הַיַּרְדֵּן

فَرَفَعَ لُوطٌ عَيْنَيْهِ وَرَأَى كُلَّ دَائِرَةِ الأُرْدُنِّ.	וַיִּשָּׂא־לוֹט אֶת־עֵינָיו וַיַּרְא אֶת־כָּל־כִּכַּר הַיַּרְדֵּן

القضاة ١٩/ ١٤: جبعة הַגִּבְעָה

فَعَبَرُوا وَذَهَبُوا. وَغَابَتْ لَهُمُ الشَّمْسُ عِنْدَ جِبْعَةَ الَّتِي لِبَنْيَامِينَ.	וַיַּעַבְרוּ וַיֵּלֵכוּ וַתָּבֹא לָהֶם הַשֶּׁמֶשׁ אֵצֶל הַגִּבְעָה אֲשֶׁר לְבִנְיָמִן

اعتراض ٦:

مكّة لم تظهر إلّا في عصر متأخّر، بعد عصر المسيح؛ بما يمنع تصديق أنه قد أحيل إليها في المزمور!

الجواب:

تاريخ مكة أقدم من ذلك، بشهادة عرب الجاهلية، وشهادة المستشرقين. قال البروفسور إيان موريس –أستاذ تاريخ الشرق الأوسط، من جامعة سانت أندروز–: «هناك إجماع في الأوساط العلمية أن مكة هي مكورابا ... جاء اسم مكورابا من اسم عربي جنوبي قديم، مثل مكراب، بمعنى : معبد، لذلك فمكروبا في القرن الثاني الميلادي كانت مركزا دينيا مميزا قبل الإسلام»[2].

---

(1) Bill T. Arnold and John H. Choi, *A Guide to Biblical Hebrew Syntax* (Cambridge: Cambridge University Press, 2003), pp.30-31.

(2) Ian D. Morris, Mecca Before Islam: 2) Macoraba. MARCH 24, 2017
< http://www.iandavidmorris.com/mecca-before-islam-2-makoraba-macoraba/ >.

كما صرّح صاحب كتاب "تاريخ البلاد العربية، القديم والحديث" أنّ "القدم التاريخي للكعبة غير قابل للتشكيك فيه؛ إذ إنّ أصل الكعبة يمتد إلى ما قبل العصر المسيحي"[١].

اعتراض٧:

النصُّ يتحدّث عن صهيون أورشليم، لا صحراء العرب؛ إذ هو يذكر كلمة «صهيون» "**ציון**" صراحة.

الجواب:

أولا: كلمة "**צִיּוֹן**" [صيون] ليس لها معنى واحد في كلّ حال. ولا يحسن بالباحث أن يُسارع إلى تبني معنًى للكلمة قبل النظر. وقد جاء في موسوعة الكتاب المقدس: " The International Standard Bible Encyclopaedia" في مقال "Zion": «هناك اضطراب عظيم نشأ قديمًا بسبب طلبِ فهمٍ واضحٍ لتحديد المناطق المختلفة التي سُمّيَت "Zion" على مدى قرون»[٢].

ثانيا: كلمة "**ציון**" [صيون]، تعني «صهيون» بكسر حرف الصادي (الصّاد) **צ**، كما تعني «الأرض الجافّة» بفتح حرف الصادي (الصّاد) **צ**؛ ولمّا كان النصّ العِبري الأقدم دون حركات؛ كان الترجيح مردّه السياق. والناظر في السّياق يرى أنّ النص السابق يتحدّث عن أرضٍ قد صارت ينبوعًا، بما يدلُّ أنّها كانت قبل ذلك جَدْبًا. ولذلك فتعريب «صيون» بالأرض الجدب أَوْلى من «صهيون». وهو معنى الكلمة في:

- إشعياء ٣٢/ ٢: «كَسَوَاقِي مَاءٍ فِي مَكَانٍ يَابِسٍ [صَيون **צָיוֹן**]».
- إشعياء ٢٥/ ٥: «كَحَرٍ فِي يَبَسٍ [صَيون **צָיוֹן**]».

ولذلك فالأَوْلى ترجمة النصّ: «يُرون قدّام الله بأرضٍ غير ذات زَرْعٍ»[٣]. وقد عَلِمْتَ أنّ وصف مكّة أنها أرضٌ جدباءُ قد ورد في القرآن في دعوة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ

(1) Andrew Crichton, *The History of Arabia, Ancient and Modern* (Edinburgh: Oliver & Boyd, 1834), 1/100.

(2) James Orr, ed. *The International Standard Bible Encyclopaedia* (Chicago: Howard-Severance Company, 1915), 5/3150.

(٣) فيصل الكاملي، يجدونه مكتوبا عندهم (الرياض: مجلة البيان، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)، ص ١٤٠.

أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ثالثا: صهيونُ قد تُطْلَقُ مجازًا على أكثرَ من مكانٍ في الكتاب المقدّس. وقد جاء في «معجم الكتاب المقدس»: «في مرّاتٍ كثيرةٍ في المزامير وشعر العهد القديم تمّ ذكر صهيون بصورة رمزيّة كـ«التلّة المقدّسة»، مسكن الله، «**مدينة الربّ**»، وتظهر في العهد الجديد كـ«مدينة الله الحيّ، أورشليم السماويّة»[1].

وجاء في مادة "مزمور" في "دائرة المعارف الكتابية": "وقد عبّرت المزامير بكل وضوح عن رجاء إسرائيل، فيما يعرف باسم "أغاني صهيون" (**مز ٤٨، ٨٤**، ٨٧، ١٢٢). وصهيون هنا تتعدى معناها الضيق- أورشليم ومقادسها- لترمز لحالة البشر في المصالحة الروحية مع الله (مز ٨٧/ ٥- ٧)، كما تتخطي حدود اليهودية لتصبح مدينة عالمية بالنسبة إلى "الصالحين وإلى المستقيمي القلوب" (مز ١٢٥/ ٤). كما أن هذه المزامير التاريخية تتوقع **مملكة أرضية تتحقق بانتصار** الله النهائي في أواخر الأيام... وفي النهاية يصل التاريخ إلي ذروته، حين يتحدث عن أورشليم الجديدة (انظر رؤ ٢١/ ٢٢) الأبدية (مز ٤٨/ ٨، و١١-١٣)، وإليها تأتي كل شعوب الأرض لتسجد لله"[2].

رابعا: معلومٌ أنّ بيت الربّ الذي في أورشليم قد بناه سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد وفاة والده داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فلا يستقيم بذلك أن يكون حديث داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن بيتٍ للربِّ لم يوجد بعد.

اعتراض ٨:

المزمور ٨٤ منسوب إلى أبناء قورح. ولا يعتقد المسلمون نبوتهم. ولذلك لا يجوز للمسلمين الاحتجاج بهذا المزمور.

الجواب:

أولا: لا يعتقد علماء الإسلام أنّ النبوّة محصورة في الأنبياء الذين جاء ذكرهم في القرآن. ومعلوم أنّ علماء الإسلام قد أجمعوا على الاستدلال للبشارة بمحمد ﷺ بما جاء عن إشعياء ودانيال وحبقوق وغيرهم من أنبياء الكتاب المقدس الذين لا ذكر لأسمائهم في القرآن.

---

(1) *Dictionary of the Bible* (Brockhampton Press, 1995), p.252.

(٢) دائرة المعارف الكتابية، ٤/ ٢٤٣.

والقاعدة في هذا الباب، ما رواه البخاري وغيره عن الرسول ﷺ: «حدّثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج»[1]. قال الشافعي: «حدّثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوّزونه، فلا حرج عليكم في التحدّث به عنهم»[2].

ثانيا: الأصل العبري لمقدمة المزمور، غامضٌ لغةً: "לַמְנַצֵּחַ עַל־הַגִּתִּית לִבְנֵי־קֹרַח מִזְמוֹר". وهو في الترجمات العربية:

الفاندايك	لإمام المغنين على الجتية لبني قورح مزمور.
الكاثوليكية	لإمام الغناء على الجتية لبني قورح مزمور.
المشتركة	لكبير المغنين نشيد القطاف مزمور لبني قورح.
السارة	لكبير المغنين نشيد القطاف مزمور لبني قورح.
اليسوعية	لإمام الغناء على الجتية لبني قورح مزمور.

اللام التى يبدأ بها النص العبري وترجمته العربية، قد تدلّ على نسبة المزمور إلى بنى قورح، وقد تدلّ على أنّ هذا المزمور موجّه إلى بنى قورح. كأن تقول: «هذه الرسالة لك»؛ فقد يُفهم من ذلك أنّ هذه الرسالة ملكك، أو أنّها موجّهة إليك. والعبرية كالعربية في ذاك.

ولذلك قال المفسّر آدم كلارك عن علاقة بني قورح بهذا المزمور، بعد أن اشار إلى أنّهم كانوا مرنّمين في الهيكل (أخبار الأيام الثاني ٢٠/ ١٩): «ربما تم إرسال هذا المزمور إليهم ليُغنَّى، أو ربما يكون أحدهم مؤلّفه»[3]. وممن اختار نسبة هذا المزمور إلى داود عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، تفسير The Seventh-day Adventist Bible Commentary[4].

الخلاصة:

مكة –إذن– تتوفّر فيها صفات الأرض المذكورة في المزمور.

١. وادٍ بين مرتفعين.

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (ح/ ٣٤٦١).

(٢) نقله: ابن حجر، فتح الباري، (الرياض: ١٤٢١هـ)، ٦/ ٥٧٥.

(1) Adam Clarke, *The Holy Bible: Containing the Old and New Testaments* (New York: T. Mason & G. Lane, 1837), 3/483.

(4) F. D. Nichol, ed. *The Seventh-day Adventist Bible Commentary* (Herald Publishing Association, 1977), 3/827.

٢. أرض جدب.

٣. تظهر فيها لاحقًا الثمرات. وظهور الثمرات لا يكون إلّا بوجود الماء. وهو نبع المزمور، بئر زمزم.

٤. يجتمع فيها الناس. وهو اجتماع الحجّ.

إنّ كل الأوصاف الواردة في مزمور ٨٤/ ٤-١٠ تُوافِقُ أمر مكّة والحجّ إليها؛ ولذلك نقل اللاهوتيّ القسّ جورج بوش عن المفسّر روزِنْمولر قوله: «إنّ الجزء الأوّل من المزمور [الرابع والثمانين] لا يُمكن إيضاحُه بمثال خَيْرٍ من -ولا يُسَأْ فَهْمُ مقصدنا!- أولئك الذين يحجّون إلى مكّة»[١]... والحقُّ أنّ هذا المزمور لا ينطبق إلّا على الحجّ إلى مكّة!

ومن اللّافت للنّظر أنّ المفسّر اليهوديّ الشهير ابن عزرا (١٠٨٩-١١٦٧م) قد ذهب إلى أنّ «بئر لَحِي روئي» حيث بشّر الملَكُ هاجَرَ بولادة إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (تكوين ١٦/ ١٤)، هو البئر الذي يُدعى في زمانه، بئر زمزم (زموم)[٢] حيث يحجُّ عنده الإسماعيليّون[٣]. ومعلومٌ أنّ المسلمين يؤمنون أنّ بئر زمزم قد انْفَجَرَ عندما كانت هاجَرُ في مكّة، كرامةً لها.

---

(١) نقله فيصل الكاملي، يجدونه مكتوبا عندهم، ص١٣٣ عن:

George Bush, *Illustrations of the Holy Scriptures* (Philadelphia: J.B. Lippincott, 1865), p.396.

(٢) من الواضح أنّ كلمة "زموم" هنا تعني "زمزم"؛ فلا يوجد بئر زمن ابن عزرا باسم "زموم" كان العرب يحجّون إليه. فلا يوجد إلّا بئر واحد يحجّ إلى مكانه العرب زمنه، هو بئر زمزم. وقد حدث التباسٌ عند الناسخين بسبب تشابه حرف الزاي ז والواو ו العبريين. ولذلك قال الحبر أريه قبلان: "عرّف ابن عزرا هذا [البئر] أنّه زموم (أو زمزُم) حيث يقيم العرب احتفالًا سنويًا. وهو زمزم قرب مكة".

Aryeh Kaplan, *The Living Torah: The Five Books of Moses and the Haftarot* (Moznaim Publishing Corporation, 1981), p.45.

(٣) قال في تعليقه على تكوين ١٦/ ١٤: «لأنه في كلّ سنة يقيم الإسماعيليون احتفالات هناك. ولا يزال موجودًا إلى اليوم، ويُسمّى بئر زموم» "כי בכל שנה היו חוגגים הישמעאלים אל הבאר הזאת גם היום יקרא באר זמום ".

Abraham ben Meïr Ibn Ezra, *Be-reshit* (Hotsaʼat Mosad ha-Rav Ḳuḳ, 1976), p.24.

الفصل الخامس
تاريخ ظهور الرسول ودولته

قد علمتَ إنباء أسفارِ أهل الكتاب بالأرض التى يخرجُ منها النبيُّ المنتظرُ، وما فيه من صفاتٍ، فهل أخبرَتْ أسفارُ الكتاب عن زمن ظهوره؛ خاصّةً أنّ يهود الحِجاز في القرن السابع الميلادي كانوا ينتظرون في أيامهم نبيَّ آخرِ الزّمانِ، كما في خبر القرآن عنهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]؟

سنحتجّ هنا لبيان زمن ظهور نبيِّ آخر الزّمانِ بنَصَّيْن من الكتاب المقدّس، ونصَّيْن من خارجِه؛ دلالة على أنّ ميلاد محمد ﷺ في القرن السادس الميلادي موافِقٌ لنبوءات السّابقين.

المطلب الأول

الرؤيا الأُولى لدانيال

قال دانيال النبيّ: «كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيَايَ لَيْلًا وَإِذَا بِأَرْبَعِ رِيَاحِ السَّمَاءِ هَجَمَتْ عَلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ. وَصَعِدَ مِنَ الْبَحْرِ أَرْبَعَةُ حَيَوَانَاتٍ عَظِيمَةٍ، هذَا مُخَالِفٌ ذَاكَ. الأَوَّلُ كَالأَسَدِ وَلَهُ جَنَاحَا نَسْرٍ. وَكُنْتُ أَنْظُرُ حَتَّى انْتَتَفَ جَنَاحَاهُ وَانْتَصَبَ عَنِ الأَرْضِ، وَأُوقِفَ عَلَى رِجْلَيْنِ كَإِنْسَانٍ، وَأُعْطِيَ قَلْبَ إِنْسَانٍ. وَإِذَا بِحَيَوَانٍ آخَرَ ثَانٍ شَبِيهٍ بِالدُّبِّ، فَارْتَفَعَ عَلَى جَنْبٍ وَاحِدٍ وَفِي فَمِهِ ثَلَاثُ أَضْلُعٍ بَيْنَ أَسْنَانِهِ، فَقَالُوا لَهُ هكَذَا: قُمْ كُلْ لَحْمًا كَثِيرًا. وَبَعْدَ هذَا كُنْتُ أَرَى وَإِذَا بِآخَرَ مِثْلِ النَّمِرِ وَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةِ طَائِرٍ. وَكَانَ لِلْحَيَوَانِ أَرْبَعَةُ رُؤُوسٍ، وَأُعْطِيَ سُلْطَانًا.

بَعْدَ هذَا كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا بِحَيَوَانٍ رَابعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ جِدًّا، وَلَهُ أَسْنَانٌ مِنْ حَدِيدٍ كَبِيرَةٌ. أَكَلَ وَسَحَقَ وَدَاسَ الْبَاقِيَ بِرِجْلَيْهِ. وَكَانَ مُخَالِفًا لِكُلِّ الْحَيَوَانَاتِ الَّذِينَ قَبْلَهُ، وَلَهُ عَشَرَةُ قُرُونٍ. كُنْتُ مُتَأَمِّلًا بِالْقُرُونِ، وَإِذَا بِقَرْنٍ آخَرَ صَغِيرٍ طَلَعَ بَيْنَهَا، وَقُلِعَتْ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْقُرُونِ الأُولَى مِنْ قُدَّامِهِ، وَإِذَا بِعُيُونٍ كَعُيُونِ الإِنْسَانِ فِي هذَا الْقَرْنِ، وَفَم مُتَكَلِّمٍ بِعَظَائِمَ.

كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ وُضِعَتْ عُرُوشٌ، وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ. لِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ، وَعَرْشُهُ لَهِيبُ نَارٍ، وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقِدَةٌ. نَهْرُ نَارٍ جَرَى وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ. أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ، وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ. فَجَلَسَ الدِّينُ، وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ.

كُنْتُ أَنْظُرُ حِينَئِذٍ مِنْ أَجْلِ صَوْتِ الْكَلِمَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الْقَرْنُ. كُنْتُ أَرَى إِلَى أَنْ قُتِلَ الْحَيَوَانُ وَهَلَكَ جِسْمُهُ وَدُفِعَ لِوَقِيدِ النَّارِ. أَمَّا بَاقِي الْحَيَوَانَاتِ فَنُزِعَ عَنْهُمْ سُلْطَانُهُمْ، وَلكِنْ أُعْطُوا طُولَ حَيَاةٍ إِلَى زَمَانٍ وَوَقْتٍ.

كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لا يَنْقَرِضُ». (دانيال ٧/ ٢-١٤).

وقد جاء تفسير هذه الرؤيا كما سمعها دانيال، في الرؤيا نفسها:

«هؤُلَاءِ الْحَيَوَانَاتُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي هِيَ أَرْبَعَةٌ هِيَ أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ يَقُومُونَ عَلَى الأَرْضِ. أَمَّا قِدِّيسُو الْعَلِيِّ فَيَأْخُذُونَ الْمَمْلَكَةَ وَيَمْتَلِكُونَ الْمَمْلَكَةَ إِلَى الأَبَدِ وَإِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. حِينَئِذٍ رُمْتُ الْحَقِيقَةَ مِنْ جِهَةِ الْحَيَوَانِ الرَّابعِ الَّذِي كَانَ مُخَالِفًا لِكُلِّهَا، وَهَائِلًا جِدًّا وَأَسْنَانُهُ مِنْ حَدِيدٍ وَأَظْفَارُهُ مِنْ نُحَاسٍ، وَقَدْ أَكَلَ وَسَحَقَ وَدَاسَ الْبَاقِيَ بِرِجْلَيْهِ، وَعَنِ الْقُرُونِ الْعَشَرَةِ الَّتِي بِرَأْسِهِ، وَعَنِ الآخَرِ الَّذِي طَلَعَ فَسَقَطَتْ قُدَّامَهُ ثَلَاثَةٌ. وَهذَا الْقَرْنُ لَهُ عُيُونٌ وَفَمٌ مُتَكَلِّمٌ بِعَظَائِمَ وَمَنْظَرُهُ أَشَدُّ مِنْ رُفَقَائِهِ.

وَكُنْتُ أَنْظُرُ وَإِذَا هذَا الْقَرْنُ يُحَارِبُ الْقِدِّيسِينَ فَغَلَبَهُمْ، حَتَّى جَاءَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ، وَأُعْطِيَ الدِّينُ لِقِدِّيسِي الْعَلِيِّ، وَبَلَغَ الْوَقْتُ، فَامْتَلَكَ الْقِدِّيسُونَ الْمَمْلَكَةَ. فَقَالَ هكَذَا: أَمَّا الْحَيَوَانُ الرَّابعُ فَتَكُونُ مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ عَلَى الأَرْضِ مُخَالِفَةٌ لِسَائِرِ الْمَمَالِكِ، فَتَأْكُلُ الأَرْضَ كُلَّهَا وَتَدُوسُهَا وَتَسْحَقُهَا.

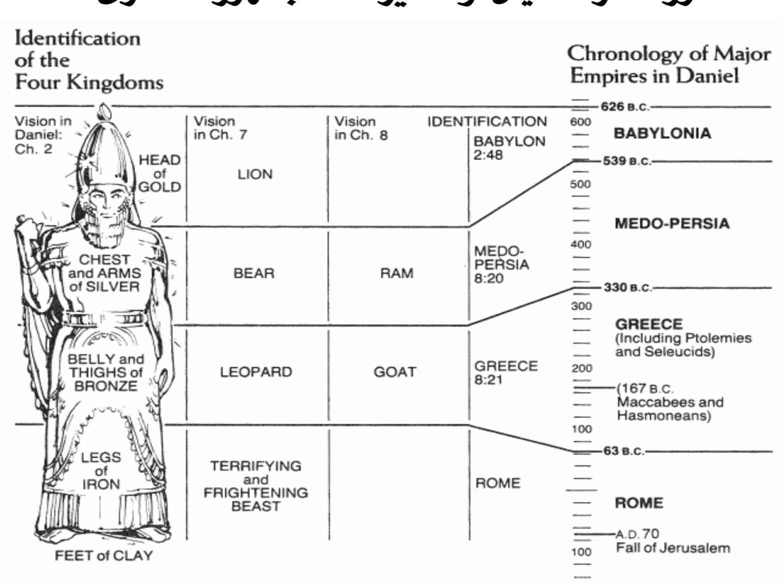
وَالْقُرُونُ الْعَشَرَةُ مِنْ هذِهِ الْمَمْلَكَةِ هِيَ عَشَرَةُ مُلُوكٍ يَقُومُونَ، وَيَقُومُ بَعْدَهُمْ آخَرُ، وَهُوَ مُخَالِفٌ الأَوَّلِينَ، وَيُذِلُّ ثَلَاثَةَ مُلُوكٍ. وَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ ضِدَّ الْعَلِيِّ وَيُبْلِي قِدِّيسِي الْعَلِيِّ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ يُغَيِّرُ الأَوْقَاتَ وَالسُّنَّةَ، وَيُسَلَّمُونَ لِيَدِهِ إِلَى زَمَانٍ وَأَزْمِنَةٍ وَنِصْفِ زَمَانٍ. فَيَجْلِسُ الدِّينُ وَيَنْزِعُونَ عَنْهُ سُلْطَانَهُ لِيَفْنَوْا وَيَبِيدُوا إِلَى الْمُنْتَهَى. وَالْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظَمَةُ الْمَمْلَكَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ تُعْطَى لِشَعْبِ قِدِّيسِي الْعَلِيِّ. مَلَكُوتُهُ مَلَكُوتٌ أَبَدِيٌّ، وَجَمِيعُ السَّلَاطِينِ إِيَّاهُ يَعْبُدُونَ وَيُطِيعُونَ. إِلَى هُنَا نِهَايَةُ الأَمْرِ. أَمَّا أَنَا دَانِيآلَ، فَأَفْكَارِي أَفْزَعَتْنِي كَثِيرًا، وَتَغَيَّرَتْ عَلَيَّ هَيْئَتِي، وَحَفِظْتُ الأَمْرَ فِي قَلْبِي» (دانيال ٧/ ١٧-٢٨).

خلاصة الرؤيا: رأى دانيال أربعة حيوانات كلّ منها يرمز إلى مملكة، المملكة الرابعة منها لها سلطان عظيم في الأرض، يظهر فيها عشرة ملوك، ثم يظهر فيها ملك يذلّ ثلاثة ملوك. وهو مَلِكٌ كافر، ينطق بالكُفْرِ، ويسعى إلى تغيير الأزمان «זִמְנִין» [زِمنين] والشريعة "דָּת" [دات]. ويبقى سلطانه زمنًا وأزمنة ونصف زمن. ثم يُنزع منه سلطانه، ويُقضى على حُكْمِه إلى الأبد. ويُقام ملكوتٌ جديد يكون له السلطان الأعلى، ويخضع له السلاطين إلى نهاية الزمان. وهذه المملكة رأسها «ابن الإنسان».

التفسير النصراني:

يرى النصارى أنّ «ابن الإنسان» في رؤيا دانيال، هو عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. وقد ذهب جمهور مفسّريهم (هيبوليتوس[١]، وجيروم، وكيرلس الأورشليمي[٢]، وثيودورت[٣]...) إلى أنّ المملكة الرابعة هي الإمبراطورية الرومانية[٤]. ثم اختلفوا اختلافًا شديدًا في تحديد الفَمِ المتكلّم بعظائم، والذي تنتصر عليه المملكة الأخيرة، ويأتي معه «ابن الإنسان». فذهب بعضهم إلى أن القرن الصغير هو بابا الفاتيكان، وقيل إنه محمد ﷺ، وقيل إنّها الدولة العثمانية، وقيل غير ذلك[٥]..

صورة ما رآه دانيال، وتفسيره عند جمهور النصارى[٦]



(١) هيبوليتوس Hippolytus (١٧٠-٢٣٥): لاهوتي ومفسّر للكتاب المقدس. رسّمه البابا بيوس الرابع قديسًا.

(٢) كيرلس الأورشليمي Cyril of Jerusalem(٣١٣-٣٨٦): أسقف أورشليم وأحد قديسي الكنيسة.

(٣) ثيودورت Theodoret(٣٩٣-٤٥٧): لاهوتي ومفسّر وأسقف. وقد كان من المشاركين في مجمع أفسس سنة ٤٣١م.

(4) K.Stevenson, and M. Gluerup, *Ezekiel, Daniel*. Ancient Christian Commentary on Scripture OT (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2008), p.242.

(5) See Matthew Henry, *Isaiah-Malachai* (Sands, Donaldson, Murray, and Cochran, 1758), p.562.

(6) K. L. Barker, *Expositorś Bible Commentary (Abridged Edition: Old Testament)* (Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1994), p.1381.

والإشكال الكبير هنا هو أن المفسّرين النّصارى لم يجدوا أيّ حدثٍ له علاقة «بعشرة ملوك وآخرُ بعدهم يفتك بثلاثة ملوك» من الممكن ربط ظهوره بظهور المسيح؛ ولذلك قال الناقد إرنست لوكاس: «لا يوجد اتّفاق حول تحديد شخصية هؤلاء الملوك العشرة»[1].

ولذلك اتّجه كثير منهم إلى القول إنّ الأحداث الأخيرة المتعلّقة بانهزام القرن الصغير ستقع بعد عودة المسيح. وهي دعوى لا تستقيم؛ لأنّ النصّ لم يذكر مجيء ابن الإنسان مرّتين، أُولى قبل هزيمة القرن الصغير؛ وثانية بعد ذلك، وإنّما ذُكِرَ أَمْرُ مجيء «ابن الإنسان» مرّة واحدة فقط.

كما زعم بعض الكتاب النصارى أنّ ملكوت قدّيسي العليّ ملكوتٌ روحيٌّ قد جاء أثناء حكم المملكة الرومانية، وقد انتصر في القلوب لا في الحروب. وهو تفسيرٌ فاسد؛ لأنّ تفسير الرؤيا يقول: «وَالْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظَمَةُ الْمَمْلَكَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ تُعْطَى لِشَعْبِ قِدِّيسِي الْعَلِيِّ. مَلَكُوتُهُ مَلَكُوتٌ أَبَدِيٌّ، وَجَمِيعُ السَّلاَطِينِ إِيَّاهُ يَعْبُدُونَ وَيُطِيعُونَ». فالمملكة الجديدة ذات سلطان من جنس المملكة الرابعة. وجميع السلاطين يخدمون هذا الملكوت ويطيعونه؛ دلالة على علوّ سلطانه الأرض. علمًا أنّ الأصل الآرامي لنصّ دانيال ٧/ ١٤: «فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ». لا يقول «إيّاه يعبدون» -كما في ترجمة الفاندايك العربية!- وإنّما يقول "לֵהּ יִפְלְחוּן" [لِيه يِفلِحون] أي: يخدمونه؛ ولذلك تواطأت الترجمات الإنجليزية على اعتماد فعل «خدم» "serve" لا «عبد» "worship". وهو ما يظهر في الترجمة المشتركة: «ويخدمهم جميع السلاطين ويسمعون لهم»، وذاك عين اختيار ترجمة الأخبار السارة. ثم إنّ دعوة يسوع لم تكن ثورة على الإمبراطورية الرومانية؛ فهو القائل: «اعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ» (مرقس ١٢/ ١٧). وجُند الرومان هم الذين صَلَبُوا يسوع -كما هو زعم الكنيسة-. فلم ينتصر يسوع على الإمبراطورية الرومانية، وإنّما هي التي انتصرتْ عليه.

---

(1) Ernest C. Lucas, Daniel, in J. H. Walton, *Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary* (Old Testament) Volume 4: Isaiah, Jeremiah, Lamentations, Ezekiel, Daniel (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2009), p.551.

ويُضاف إلى ما سبق أنّ الديانة النصرانية -في حقيقة الحال- لم تنتصر على الإمبراطوريّة الرومانية، وإنّما اخترقت المقدّسات الوثنية في البيئة الرومانيّة (اللاهوت، والليتورجيا، والرموز، والأعياد...) النصرانية. وهو ما شرحه شارل جنيبير -رئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس- في قوله -عند حديثه عن «ترومن» النصرانية-: «كان هذا الانتصار الذي يشهد به على الأخص تحوّل الدولة الرومانية إلى الدين الجديد في القرن الرابع، مرحلة مهمة من مراحل تطوّر المسيحيّة. والواقع أنّ المسيحيين كانوا قد دفعوا ثمن الانتصار، دفعوه غاليًا؛ إذ **نستطيع القول في شيء كثير من الجزم بأنّ مؤمني عصر الحواريين لم يكونوا لينظروا إلى هذا الانتصار، لو قدّر لهم ذلك، إلّا على أنّه نكبة كبرى**»[1].

التفسير الإسلامي:

اتّفق **عامة** المفسّرين النّصارى على أمرين:

الأمر الأول: وفقًا للتفسير الذي قدّمه الملاك، فإنّ كلّ واحد من الوحوش الأربعة يمثل إمبراطورية:

- الوحش الذي على شكل نسر مجنّح يمثّل الامبراطورية الكلدانية، التي كانت قوية نشطة؛ كالنّسر المنقضّ على عدوّه.
- الوحش الثاني يمثّل الامبراطورية الميديّة الفارسية التي امتدَّتْ غزواتها حتى البحر الأدرياتيكي وأثيوبيا، وهكذا تحمل بين أسنانها ضلعًا من جسم كلٍّ من القارّات الثلاث في نصف الكرة الشرقيّ.
- يرمز الوحش الثالث -بناء على طبيعته النّمريّة الشّرسة وذات القفزات السّريعة- إلى الزُّحوف العظيمة للإسكندر الأكبر، والذي انقسمت إمبراطوريّته بعد موته إلى أربع ممالك.
- اعتنى الملاكُ ببيان تفاصيل الوحش الرابع؛ فذكر أنّه وحشٌ كبير وهائلٌ، ويُرمز به إلى الإمبراطورية الرّومانيّة في عنفوان قوّتها وازدهارها.

---

(١) شارل جنيبير، المسيحية، نشأتها وتطورها، تعريب: عبد الحليم محمود (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٠)، ص١٨٢.

الأمر الثاني: الملوك العشرة الذين سيظهرون، سيحكمون بصورة متتابعة؛ الواحد بعد الآخر، ولا يكونون في زمن واحدٍ[1].

والتفسير الإسلامي ينطلق من الأمرين السابقين، وحَيْرَةِ النصارى في تحديد شخصيّة القرون العشرة؛ ليقدّم الجواب الذي يرفع الإشكال:

- تمثّل القرون العشرة الأباطرة العشرة الأوائل الذين اضطهدوا شعوبهم. وما على المرء إلّا أنْ يُقَلِّبَ صفحات أي تاريخ للكنيسة خلال القرون الثلاثة الأولى، وحتى زمن ما يسمى باعتناق قسطنطين الكبير النصرانيّة؛ فلن يعثر على شيء سوى أهوال الاضطهادات العشرة الشهيرة. وقد ذكر إدوارد جيبون في كتابه: «تاريخ انحدار الإمبرطورية الرومانية وسقوطها» أنّ مؤرّخي الكنيسة في القرن الخامس قد حدّدوا عدد الاضطهادات التي عانوها من الرومان بعشر، من نيرون إلى ديوكلتيانوس[2].
- القرن الصغير الذي طلع بين القرون العشرة، إمبراطور يظهر للوجود بعد الاضطهادات العشر، وينافسه على السُّلطة ثلاثة أباطرة. هذا القرن الصغير هو الإمبراطور قسطنطين.. وقد عاشت الإمبراطورية الرومانية في عهده صراعًا مريعًا بين أربعة متنافسين، وكان قسطنطين واحدًا منهم، وكانوا كلّهم يتصارعون من أجل اللّباس الأرجوانيّ (الإمبراطوريّ)، وهم قسطنطين ومكسنتيوس ومكسيمينوس دايا وليسينوس. قتل قسطنطين مكسنتيوس سنة ٣١٢ في معركة «جسر ميلفيو»، وقتل ليسينوس -إبّان تحالفه مع قسطنطين - مكسيمينوس دايا، وقتل قسطنطين ليسينوس سنة ٣٢٥م بعد أن دبّ الخلاف بينهما[3].

---

(1) J. J., Collins, F. M. Cross & A. Y. Collins, *Daniel: A commentary on the book of Daniel*. Hermeneia-a critical and historical commentary on the Bible (Minneapolis: Fortress Press, 1993), p.320.

(2) Edward Gibbon, *The History of the Decline and Fall of the Roman Empire* (Fleischer, 1829), 2/370.

(٣) انظر فيصل الكاملي، يجدونه مكتوبا عندهم، ص ١٦٣-١٦٥.

وحتى تزداد وثوقا أنّ القرن الصغير مخالف للآخرين، فهو:

- وحشٌ مخيفٌ ولكن له فَمٌ وعينان، أي يملك المنطق والقدرة على الكلام. وقد كانت خطورة قسطنطين الفتنة العقدية التي أثارها بين الطوائف التي تزعم انتمائها إلى دعوة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- هذا القرن له فَمٌ متكلّم بعظائم، وقد كان قسطنطين وثنيًّا، ثم أعلن تَنَصُّرَهُ.
- هذا القرن اضطهد قدّيسي العليّ. وهو ما فعله قسطنطين مع كلِّ من أعلنَ دعوة التوحيد ولم يتابعْ شيعة أثناسيوس الشِّركيّة المنتصرة في مجمع نيقية.
- هذا القرن يظنّ أنّه يغيّر الأوقات والسنة. وقد أعلن قسطنطين مرسومًا ليكون يوم الأحد (يوم الشمس Sun day، وقسطنطين عابد للشمس) يوم العطلة، لا يوم السبت كما في شريعة التوراة[1].
- هذا القرن أعلنَ الحرب على أولياء الله لمدة "עִדָּן וְעִדָּנִין וּפְלַג עִדָּן". وقد جاءت ترجمة هذا النصّ في التراجم العربية:

الترجمة الكاثوليكية	زمان وزمانين ونصف زمان.
الترجمة اليسوعية	زمان وزمانين ونصف زمان.
الترجمة المشتركة	ثلاث سنين ونصف سنة.
الأخبار السارة	ثلاث سنين ونصف سنة.
الشريف	ثلاث سنين ونصف.
ترجمة الحياة	ثلاث سنوات ونصف السنة.

فعبارة: «زَمَانٍ وَأَزْمِنَةٍ وَنِصْفِ زَمَانٍ» تُستعمَل في العرف القديم عادة بمعنى ثلاثة ونصف[2].

اتّفقت الترجماتُ السالفة مع عامة التفاسير أنّ النصّ يتحدَّثُ عن ثلاثة أوقات ونصف. واختار عدد منها تأويل الزمن الواحد أنّه يساوي سنة واحدة، رغم أنّ النصّ لا يستعمل كلمة «سنة» "שְׁנָא" [شنا] في الأصل الآرامي. وقد اختلف المفسرون في معنى «زمن» هنا؛

(١) انظر عبد الأحد داود، محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، ص ٧٣-٧٦.

(2) J. H. Walton, *Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary* (Old Testament) Volume 4: Isaiah, Jeremiah, Lamentations, Ezekiel, Daniel, p.552.

فهو في الأصل يعني «مدّة من الوقت» دون تحديد[1]؛ فقيل يوم، وقيل أسبوع، وقيل سنة، وقيل ألف سنة... وكل هذه الاحتمالات لا مصداق لها في التاريخ؛ فإنّه لم يقع أي حدث على يد أحد كبار أباطروة الرومان استغرق ثلاثة أيام ونصف، أو ثلاثة أسابيع ونصف، أو ثلاثة أشهر ونصف، أو ثلاثة سنوات ونصف، ليأتي بعد ذلك الخلاص لقديسي الربّ[2]، كما أنّ انتظار ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة بعد بدء حكم أحد الأباطرة الرومان لتحقّق النبوءة لا يستقيم؛ لأنّ النبوءة تفترض أن يستمرَّ إذلال المؤمنين ثلاث أزمنة ونصف في ظل الإمبراطورية الرابعة (الرومانية)؛ وقد انتهت هذه الإمبراطورية وحُكّامها منذ قرون بعيدة.

لم يبق إذن إلّا أن يكون الزمن الواحد معادلًا لعشر سنوات أو مئة سنة. ولا نجد في التاريخ ما يدعم انتصار المؤمنين بالله بعد حكم دام ٣٥ سنة لأحد أباطرة الرومان. ونجد في المقابل أنّه بعد ثلاثة قرون ونصف من زمن حكم قسطنطين بدأت أكبر الفتوحات الإسلامية في عصر بني أميّة في أوروبا وآسيا وإفريقيا.

(1) J. Edlin, *Daniel: A Commentary in the Wesleyan Tradition* (Kansas City, MO: Beacon Hill Press of Kansas City, 2009), p.186.

(٢) المفسرون الذين رأوا أن الفم المتكلّم بعظائم هو أنطيوخوس، أشاروا إلى تدمير أنطيوخوس الرابع للهيكل على مدى ثلاث سنوات. وهذه المدة لا تنصر مذهبهم لأنّ النبوءة دقيقة في أنّها ثلاثة أزمنة ونصف، في حين أنّ الهيكل قد دمّر بين ديسمبر ١٦٨ وديسمبر ١٦٥ ق.م. (H. C. Leupold، *Exposition of Daniel*, Grand Rapids، MI: Baker Book House، 1949، p.325). كما أنّه لم يأت خلاص قدّيسي الله إلى الأبد بعد سنة ١٦٥ ق.م.

المطلب الثاني
الرؤيا الثانية لدانيال

أَلْهَمَ الله تعالى الملك بختنصر رؤيا مناميّة كشف له فيها عن الدّول والممالك التي سَتَعْقُبُ مُلْكَهُ، ومصير كلّ دولة ومملكة إلى أن تظهر للوجود دولة يدوم ملكها وسلطانها إلى الأبد. ولم يشأ الملك الإفصاح عن رؤياه لئلا تُفسّر على حسب هواه؛ فلا يظفر بحقيقتها؛ لذلك أمر بإحضار الكهنة والمنجمين من أقاليم المملكة وسألهم عن الرؤيا وتأويلها. فقالوا له اذكرها لنا حتى نبيّن تأويلها، فأمر بقتلهم جميعًا.

وكان دانيال من ضمن هؤلاء، واستمهل الملك في أمرهم. ورَغِبَ إلى الله تعالى في إِطْلاعِهِ على الرؤيا وتأويلها؛ فأطلعه الله تعالى عليها؛ فجاء إلى نبوخذ نصر، وقال له:

«أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنْتَ تَنْظُرُ وَإِذَا بِتِمْثَال عَظِيمٍ. هذَا التِّمْثَالُ الْعَظِيمُ الْبَهِيُّ جِدًّا وَقَفَ قُبَالَتَكَ، وَمَنْظَرُهُ هَائِلٌ. رَأْسُ هذَا التِّمْثَالِ مِنْ ذَهَبٍ جَيِّدٍ. صَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ. بَطْنُهُ وَفَخْذَاهُ مِنْ نُحَاسٍ. سَاقَاهُ مِنْ حَدِيدٍ. قَدَمَاهُ بَعْضُهُمَا مِنْ حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَزَفٍ.

كُنْتَ تَنْظُرُ إِلَى أَنْ قُطِعَ حَجَرٌ بِغَيْرِ يَدَيْنِ، فَضَرَبَ التِّمْثَالَ عَلَى قَدَمَيْهِ اللَّتَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ وَخَزَفٍ فَسَحَقَهُمَا. فَانْسَحَقَ حِينَئِذٍ الْحَدِيدُ وَالْخَزَفُ وَالنُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ مَعًا، وَصَارَتْ كَعُصَافَةِ الْبَيْدَرِ فِي الصَّيْفِ، فَحَمَلَتْهَا الرِّيحُ فَلَمْ يُوجَدْ لَهَا مَكَانٌ. أَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي ضَرَبَ التِّمْثَالَ فَصَارَ جَبَلًا كَبِيرًا وَمَلأَ الأَرْضَ كُلَّهَا.

هذَا هُوَ الْحُلْمُ. فَنُخْبِرُ بِتَعْبِيرِهِ قُدَّامَ الْمَلِكِ. أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَلِكُ مُلُوكٍ، لأَنَّ إِلهَ السَّمَاوَاتِ أَعْطَاكَ مَمْلَكَةً وَاقْتِدَارًا وَسُلْطَانًا وَفَخْرًا. وَحَيْثُمَا يَسْكُنُ بَنُو الْبَشَرِ وَوُحُوشُ الْبَرِّ وَطُيُورُ السَّمَاءِ دَفَعَهَا لِيَدِكَ وَسَلَّطَكَ عَلَيْهَا جَمِيعِهَا. فَأَنْتَ هذَا الرَّأْسُ مِنْ ذَهَبٍ. وَبَعْدَكَ تَقُومُ مَمْلَكَةٌ أُخْرَى أَصْغَرُ مِنْكَ وَمَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مِنْ نُحَاسٍ فَتَتَسَلَّطُ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ.

وَتَكُونُ مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ صَلْبَةٌ كَالْحَدِيدِ، لأَنَّ الْحَدِيدَ يَدُقُّ وَيَسْحَقُ كُلَّ شَيْءٍ. وَكَالْحَدِيدِ الَّذِي يُكَسِّرُ تَسْحَقُ وَتُكَسِّرُ كُلَّ هؤُلاَءِ. وَبِمَا رَأَيْتَ الْقَدَمَيْنِ وَالأَصَابعَ بَعْضُهَا مِنْ خَزَفٍ وَالْبَعْضُ مِنْ حَدِيدٍ، فَالْمَمْلَكَةُ تَكُونُ مُنْقَسِمَةً، وَيَكُونُ فِيهَا قُوَّةُ الْحَدِيدِ مِنْ حَيْثُ إِنَّكَ رَأَيْتَ الْحَدِيدَ مُخْتَلِطًا بِخَزَفِ الطِّينِ. وَأَصَابعُ الْقَدَمَيْنِ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَزَفٍ، فَبَعْضُ الْمَمْلَكَةِ يَكُونُ قَوِيًّا وَالْبَعْضُ قَصِمًا. وَبِمَا رَأَيْتَ الْحَدِيدَ مُخْتَلِطًا بِخَزَفِ الطِّينِ، فَإِنَّهُمْ يَخْتَلِطُونَ بِنَسْلِ النَّاسِ، وَلكِنْ لا يَتَلاَصَقُ هذَا بِذَاكَ، كَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ لا يَخْتَلِطُ بِالْخَزَفِ.

وَفِي أَيَّامِ هؤُلاَءِ الْمُلُوكِ، يُقِيمُ إِلهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا، وَمَلِكُهَا لا يُتْرَكُ لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هذِهِ الْمَمَالِكِ، وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ. لأَنَّكَ رَأَيْتَ أَنَّهُ قَدْ قُطِعَ حَجَرٌ مِنْ جَبَل لا بِيَدَيْنِ، فَسَحَقَ الْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ وَالْخَزَفَ وَالْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ. الله الْعَظِيمُ قَدْ عَرَّفَ الْمَلِكَ مَا سَيَأْتِي بَعْدَ هذَا. اَلْحُلْمُ حَقٌّ وَتَعْبِيرُهُ يَقِينٌ»». (سفر دانيال ٢/ ٣١- ٤٥).

خلاصة هذه النبوءة أنّ ممالك أربعة ستقوم، وأثناء حكم المملكة الرابعة تظهر مملكة جديدة تسحق بقية الممالك وتبقى إلى الأبد.

التفسير النصراني:

ما هي المملكة الرابعة؟

يجيبنا عامة المفسّرين والمؤرّخين القدامى والمحافظين المعاصرين أنّها المملكة الرابعة (يوسيفوس (القرن١)، وجيروم (القرن الخامس)، Miller (1994)، Longman (1999)، Wood (1973)، Young (1494)، Yamauchi (1980)، Wallace (1979)، Baldwin (1978))[1].

وقد انتصر القمص عبد المسيح بسيط لهذا المذهب، بقوله: «يشير الحديد إلى القوة الصلبة الجبارة التي لا تُقهر، وهو يسحق ويفنى كل ماعداه من معادن أخرى، كما يشير إلى السيادة والتسلط. وقد رُمز بالحديد هنا إلى المملكة الرومانية لقوتها الشديدة التي سحقت بها كل إمبراطوريات التي سبقتها»[2].

---

(1) Eugene Carpenter, *Cornerstone Biblical Commentary, Volume 9: Ezekiel & Daniel* (Carol Stream, IL: Tyndale House Publishers, 2010), p.347.

(٢) عبد المسيح بسيط، هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبي آخر يأتي بعد المسيح؟، نسخة إلكترونية.

ويؤكّد الأسقف توماس نيوتن هذا التفسير بقوله: «كلّ الكتّاب الأوائل، يهود ونصارى، يتّفقون مع جيروم في تفسيره المملكة الرابعة بالروم»[1].

ما هي المملكة الأخيرة التي ستهزم الإمبراطورية الرومانية؟

يقول القمص عبد المسيح بسيط: «المملكة الخامسة، مملكة القدّيسين: ثم جاءت المملكة الخامسة، في أيام الرابعة وليس بعدها، وهي مملكة غَزَتْ جميع هذه الإمبراطوريات وسادت عليها، ولكن روحيًّا!! فلم تدمر هذه الإمبراطوريات وتلغي حكوماتها وسيطرتها كما فعلت كل إمبراطورية مع سابقتها، بل غزتهم جميعًا روحيًّا. إنها مملكة المسيّا، المسيح المنتظر، والتي بدأت في أيام الإمبراطورية الرابعة واستمرّت في وجودها أيضًا، إذ تقول النبوّة في الحلم والرؤيا «وَفِي أَيَّامِ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ يُقِيمُ إِلَهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا وَمَلِكُهَا لا يُتْرَكُ لِشَعْبٍ آخَرَ وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هَذِهِ الْمَمَالِكِ وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ» (دانيال٢/ ٤٤). أنها مملكة المسيح الروحية التي انتشرت بالكرازة بالإنجيل للخليقة كلها وليس بقوّة السيف والجيوش «لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!» (متى ٢٦/ ٥٢). وليست مثل الممالك الأخرى التي انتشرت بالغزوات والمعارك الحربية وقوه الجيوش!!»[2].

ويردّ شيخ الإسلام ابن تيمية على هذه الدّعوى بقوله عن هذه البشارة: «فهذا نَعْتُ محمّد لا نعت المسيح؛ فهو الذي بُعِثَ بشريعةٍ قويّةٍ، ودَقَّ جميع ملوك الأرض، وأُمَمَهَا؛ حتى امتلأت الأرض منه ومن أُمّتِه في مشارق الأرض ومغاربها»[3].

ونضيف: إنّ طبيعة دعوة المسيح لا تسمح بالتحريض على تحطيم الامبراطورية الرومانية، فهي لم تدعُ إلى إقامة دولة أو إنشاء إمبراطورية. كما أنّ أناجيل النصارى لا تضمّ تصورًا سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو اجتماعيًّا لدولة المسيح وشعبها. بخلاف ما جاء في

---

(1) Thomas Newton, *Dissertations on the Prophecies* (London: Longman & Company, 1832), p.183.

نقله فيصل الكاملي، يجدونه مكتوبا عندهم، ص ١٤٧.

(٢) عبد المسيح بسيط، هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبي آخر يأتي بعد المسيح؟، نسخة إلكترونية.

(٣) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق علي ناصر وآخرون، ٥/ ٢٧٧.

قرآن نبي الإسلام ﷺ وسنّته، من تفصيل لجميع نواحي الدولة التي تحكم بالوحي، ولكن يصرّ القمصُ بسيط على أنّ ما جاء في سفر دانيال هو بشارة بـ«يسوع المخلّص» الذي ولد أيام الإمبراطورية الرومانية، والذي تبنّت هذه الإمبراطورية «مِلَّتَهُ» منذ القرن الرابع .

وقد أضاف القمصُ قائلا: «وكانت الإمبراطورية الرومانية أكثر استمرارية من الإمبراطوريّات التي سبقتها، فقد دامت واستمرّت ٥٠٠سنة كإمبراطورية مُوَحَّدةً وغير مُنْقَسِمة، سواء عندما كانت وثنيّة أو بعدما تحولّت إلى المسيحية، واستمرت بقسمَيْهَا الشرقيّ والغربيّ إلى سنة ١٤٥٣م عندما استولى الأتراك على القسطنطينية، واستمرَّ القسم الغربي المسيحيّ منها من خلال بقية دول أوربا حتى اليوم، وهذه الدُّول نَقَلَتْ حضارتها وديانتها المسيحية وجزءًا كبيرًا من شعبها إلى الأمريكتين وأستراليا بعد اكتشافهما، حتى صاروا كجزء منها، بل ونقلوا حضارتهم وديانتهم المسيحية إلى كلّ المسكونة. ولم تتوقف المسيحية عن الانتشار بظهور الإسلام حتى يمكن أن يقال أنه حلَّ محلّها، بل العكس تمامًا، حيث ينضمُّ إلى المسيحية في كل بلاد العالم، حاليًّا، مئات الألوف في اليوم الواحد، كما أن نسبة نموّ المسيحية في العالم اليوم هي ٦,٩٪، بما يعادل نسبة نمو السّكان ثلاثة أضعاف»[1].

التفسير الإسلامي:

ما قررّه القمصُ عبد المسيح بسيط، لا يستقيمُ لأسبابٍ، أهمّها:

- بشارة النبيّ دانيال تشير إلى ملكوتٍ جديدٍ يُحطّم الممالك السابقة، ولا تَذْكُرُ تحوّل الملكوت الرابع إلى ملكوتٍ جديد، كما يزعم القسُّ بسيط!
- كيف تكون المملكة الأخيرة هي دولة الرومان -على زعم القسّ- وهي «تَسْحَقُ وَتُبِيدُ جَمِيعَ هَذِهِ الْمَمَالِكِ»، ومع ذلك يخبرنا القمصُ بسيط في الآن نفسه أنّ الأتراك (المسلمين) قد استولوا على الجانب الشرقي من هذه الإمبراطورية..
- جاء في البشارة الدانياليّة أنّ المملكة الأخيرة «تخْلُدُ إلى الأَبَدِ». وهذا يمنع وَصْلَ مملكة الرومان بها؛ لأنّها قد اندثرَتْ، وما عاد أحدٌ يطالب بإعادتها إلى الوجود .

(١) عبد المسيح بسيط، هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبي آخر يأتي بعد المسيح؟، نسخة إلكترونية.

- زَعمُ القمصُ بسيط أنّ دول أوروبا وأمريكا وأستراليا تمثّل دولةَ المسيح المخلّص، يخالفه تبرّؤ هذه الدول في دساتيرها وفي واقعها القيمي من أنّ تكون دولًا دينيّة[1].

- أدرك النّصارى أنّ تفسير المملكة الرابعة بالمملكة الرّومانية يتعارض مع واقع ادّعاء القوم أنّ النصرانيّة هي التي تعقب المملكة الرابعة؛ فذهب بعضُهم إلى أنّها المملكة اليونانية؛ لتكون المملكة الجديدة التالية لها هي المملكة الرومانيّة التي تبنّت في القرون الوسطى النصرانية ديانة رسميّة للدولة..

- ختم المسيح نفسه النزاع، ورفع مبرّر الاختلاف؛ بقوله: «ليست مملكتي من هذا العالم؛ ولو كانت مملكتي من هذا العالم؛ لكان حُرّاسي يجاهدون لكي لا أُسَلَّمَ إلى اليهود». (يوحنّا ١٨/ ٣٦).

- لا يمكن أن يكون يسوع الأناجيل رأسًا على مملكةٍ أرضيّة؛ لأنّه من نَسْلِ يهوياقيم؛ فقد جاء في متّى ١/ ١١ في نسب يسوع: «وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ». ويوشيا والد يوهوياقيم، ويكنيا ولدٌ ليهوياقيم، كما هو في أخبار الأيام الأول ٣/ ١٥-١٦: «وَبَنُو يُوشِيَّا: الْبِكْرُ يُوحَانَانُ، الثَّانِي يَهُويَاقِيمُ، الثَّالِثُ صِدْقِيَّا، الرَّابعُ شَلُّومُ. وَابْنَا يَهُويَاقِيمَ: يَكُنْيَا ابْنُهُ وَصِدْقِيَّا ابْنُهُ»..

وقد تلاعب مؤلّف إنجيل بقائمة نسبِ المسيح؛ بأن أسقط اسم يهوياقيم بين يوشيا ويكنيا؛ لأنّ الربَّ مَنَعَ أن يكون من نَسْلِ يهوياقيم مَلِكٌ في المستقبل؛ فقد جاء في سِفر إرمياء ٣٦/ ٣٠: «لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ عَنْ يَهُويَاقِيمَ مَلِكِ يَهُوذَا: لا يَكُونُ لَهُ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ».

- الدولة الأخيرة، هي دولة الإسلام التي حَكَمَتْ نصف العالم.

(1) See Francis A. Schaeffer, *How Should We Then Live?: The Rise and Decline of Western Thought and Culture* (Old Tappan, New Jersey: Fleming H. Revell Co.,1976)

المطلب الثالث
أسبوع ميلاد صاحب الملكوت الأخير

دعوانا أنّ دولة «الملكوت الأخير» هي دولة الإسلام، تجد دعمًا من بعض الكتب الدينية اليهودية القديمة التي لا تعترف بها الكنيسة اليوم. ومنها كتاب ديني قديم اسمه «عهد موسى» اكتُشِفَ سنة ١٨٦١ م في مدينة ميلانو الإيطالية داخل مكتبة Ambrosian Library، وتعود مخطوطَتُه إلى القرن السادس الميلاديّ، وهي باللغة اللاتينيّة عن أصلٍ عِبريّ أو آرامي[1].

يُخبرنا هذا السِّفر أنّ موسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ أعطى لتابعه يوشع بن نون «كتابًا قبل موته يُنْبِئُ بما سيحدث لليهود في العصور اللَّاحقة». ومما جاء فيه أنّ الله سيرسل النبيَّ المنتظر ليقيم الملكوت الإلهيَّ بعد ٢٥٠ أسبوعًا من وفاة موسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ. والأسبوع في اصطلاح أهل الكتاب أنفسهم هو ٧ سنين.

يقول النص في ترجمته الإنجليزية: " for from my death and burial until his coming there will pass 250 times" أي «لأنّه من موتي [أي موت موسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ] ودَفْنِي حتّى مجيئِهِ سيمضي ٢٥٠ زمنًا».

وقد عَلَّقَ المترجم جيمس تشارلزورث[2] مباشرة بعد هذا النص بقوله: «أي ٢٥٠ أسبوعًا من السّنين، أي ١٧٥٠ سنة»[3]. وهو تفسير يسير على منهج جمهور النقاد في تفسير

---

(1) The Assumption of Moses.

(٢) جيمس هـ. تشارلزورث James H. Charlesworth (١٩٤٠-): ناقد كتابي أمريكي. أستاذ لغة العهد الجديد وأدبياته في Princeton Theological Seminary.

(3) "i. e. 250 year-weeks, or 1,750 years.". James H. Charlesworth, *The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament* (Oxford: Clarendon, 1963), 2/423.

معنى «زمن»؛ فقد قال الناقد م.ر. جيمس: «الأزمنة هنا تؤخذ عادة على أنّها أسابيع من السنين، وهذا يعطينا ١٧٥٠ [سنة]»[1].

لا يُعرف التاريخ الدقيق لموت موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ وكلُّ ما نعلمه أنّه عاش عُقودًا بعد الخروج من مصر إثر هلاك فرعونها في البحر. وعامّة الباحثين على أنّ زمن الخروج كان عند وفاة رمسيس الثاني أو ابنه مرنبتاح؛ وقد مات الأول في حدود سنة ١٢١٤ ق.م.، ومات الثاني سنة ١٢٠٣ ق.م.

وقد مات موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أثناء تِيْهِ بني إسرائيل الذي استغرق ٤٠ سنة كما هو سفر التثنية ٣٤. ويوافقه ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: «أُرسِلَ مَلَكُ الموتِ إلى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فلمّا جاءه صَكَّهُ فرجع إلى ربّه، فقال: أَرْسَلْتَنِي إلى عبدٍ لا يريد الموت فردّ الله عليه عَيْنَهُ وقال ارْجِعْ فقل لَهُ: يَضَعْ يَدَهُ على مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ ما غَطَّتْ به يَدُهُ بكلّ شَعْرةٍ سَنَةٌ، قال أي ربِّ ثمّ ماذا؟، قال: ثمّ الموت قال فالآن، فسأل الله أن يُدْنِيْهِ من الأرض المقدّسة رَمْيَةً بحجر. قال رسول الله ﷺ: فلو كنت ثم لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إلى جانب الطريق عند الكثيب الأَحْمر»[2].

ولمعرفة زمن ظهور نبيّ آخر الزمان، سنحسب ١٧٥٠ سنة بعد وفاة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، مع مراعاة احتمال أن يكون فرعون الخروج رمسيس الثاني أو ابنه، وأنّ موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مات أثناء التيه الذي استمرّ أربعين سنة:

زمن ميلاد النبي المنتظر:

١٧٥٠- (١٢١٤+عقود بقاء موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع بني إسرائيل في أرض التيه) = ٥٣٦م+ سنوات بقاء موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع بني إسرائيل في أرض التيه.

أو: ١٧٥٠- (١٢٠٣+ عقود بقاء موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع بني إسرائيل في أرض التيه) = ٥٤٧م+ سنوات بقاء موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع بني إسرائيل في أرض التيه.

---

(١) نقله فيصل الكاملي، يجدونه مكتوبا عندهم، ص ١٠٧، عن:

M.R. James, *The Biblical Antiquities of Philo*, p.289.

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، (ح/ ٣٢٢٦)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، (ح/ ٦٠٣٣).

=يظهر نبي آخر الزمان في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، قبل ٥٨٧م (٥٤٧+٤٠).

وقد ولد محمد ﷺ سنة ٥٧١م. ولم يَعرف التاريخ صاحب سلطان دينيٍّ كَسَرَ أصنام الأمميّين (غير بني إسرائيل) كما يقول هذا السِّفر، وعَظَّمَ الله ربَّ بني إسرائيل والعالمين في تلك الفترة، غيرُ محمّد ﷺ.

المطلب الرابع

قرن ميلاد صاحب الملكوت الجديد[1]

سِفر «رؤيا إبراهيم» كتابٌ يهوديٌّ يتحدّث عن قصّة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. وهو يعود إلى القرن الأول قبل الميلاد أو القرن التالي بعده، وكُتب بالعبريّة أو الآراميّة، لكن لم يبق منه غير مخطوطات باللغة السّلافية. ظلّ فترة طويلة مُبَجَّلًا عند الكنيسة السّلافيّة. وهو يضمُّ مادّةً أقدم من زمن كتابته[2].

جاء في سفر رؤيا إبراهيم أنّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رأى في المنام رجلًا يعبد صنمًا، وكان أمامه مذبح، وعلى المذبح غلام مذبوح بين يدي الصّنَمِ. وكلُّ ذلك واقعٌ عند بناء عظيمٍ جميل.

سأل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الربَّ عن تفسير المنام؛ فأجابه الربّ أنّ هذا البناء هو الهيكل، وأنّ الصَّنَمَ هو تمثالٌ ينصبه ناسٌ يخرجون من صُلْبِه آخر الزّمان، وأنّ من يَسْفِكُ الدَّمَ هو من يُدَنِّسُ الهيكلَ.

ثم ظهر على جهة الشمال أناسٌ فُجَّارٌ قتلوا بعض أهل اليمين وسَبَوا البقيّة، وأَحْرَقُوا الهيكل. فبَيَّنَ الربُّ لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنّ سبب ما نال أهل اليمين ما فعلوه من شرّ واتّخاذهم الصَّنَمَ ومَكْرهم في الهيكل.

---

(١) الحديث في هذه البشرى ملخص عن كتاب فيصل الكاملي، يجدون مكتوبا عندهم، ص ٦٣–٩٨. فمن أراد التوسّع، وتتبع الرد على الاعتراضات؛ فعليه بمراجعته؛ فقد وفّى الأمر حقّه.

(2) Isidore Singer, *et al.* eds , *The Jewish Encyclopedia* (New York: Funk and Wagnalls, 1916), 1/91-92; Wendell G. Johnson, ed. *End of Days: An Encyclopedia of the Apocalypse in World Religions* (California: ABC-CLIO, 2017), pp.15-16.

ثم بشّر الربُّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنّه بعد اثنتي عشرة ساعة من تَسَلُّطِ الفُجّار على أهل اليمين، سيخرج رجلٌ من الشّمال، من ناحية الأمميّين (غير الإسرائيليّين)، يجتمع عليه الناس لتمجيده، ويكون لهم فَرَجًا. وقد آذاهُ بعض اليمين، غير أنّ بعضهم الآخر بَجَّلَهُ. وكان الربُّ قد أخبر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل ذلك أنّ الساعة تُساوي مئة عامٍ.

وأوصافُ هذا الرجل الذي يخرج آخر الزمان تنطبق على نبيّ الإسلام ﷺ:

- فهو من الأمميّين.
- ظهر بعد ١٢ ساعة من السّبي البابليّ الذي كان في القرن السادس قبل الميلاد. وبإضافة ١٢٠٠ سنة بعد سنة ٥٨٦ ق.م. حيثُ حُرِقَ هيكل (مسجد) سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، نكون عند سنة ٦١٤م. وقد بُعث محمّد ﷺ سنة ٦١٠م. وإذا كان حساب الزّمن هنا بالقرون لا السنوات؛ فلا اعتبار لاختلافِ الزمن بأربع سنواتٍ.
- بعض الإسرائيليين آذَوْهُ، وآخرون منهم أسلموا.
- كانت بعثة محمّد ﷺ فرجًا للأمم؛ لأنّها رسالة عالمية، للناس كافة، بعد أن كانت رسالةُ أنبياءِ إسرائيل للإسرائيليّين وحدَهُم.

الخلاصة:

- جاءت البشارة بظهور أعظم شخصية في آخر الزمان، مع ظهور دولة تحارب دولة الرومان.
- تحيّر المفسرون النصارى بصورة كبيرة في بشارات آخر الزمان في العهد القديم؛ لحديثها عن بطل، صاحب حروب، يفرض العدل في الأرض. وما كان يسوع كذلك.
- لا تنطبق صفات صاحب الملكوت والدولة الجديدة إلّا على محمّد ﷺ.
- جاء في بعض النصوص غير الرسمية لأهل الكتاب الإخبار عن زمن ظهور نبي آخر الزمان في القرن السابع الميلادي.

الفصل السادس
البراكليتوس المنتظر عند يوحنّا

جاءت البشارة في إنجيل يوحنّا بظهور براكليتوس παράκλητος. وقد تنازع المسلمون والنصارى تعريف هذا البراكليتوس منذ زمن بعيد؛ فما هو خبره في إنجيل يوحنّا ؟ وما هي حقيقة هذا المبشَّر به؟:

«إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ **مُعَزِّيًا** [**παράκλητον**] آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لا يَرَاهُ ولا يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ». (يوحنّا ١٤/ ١٥-١٧).

«وَأَمَّا **الْمُعَزِّي** [**παράκλητος**]، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ». (يوحنّا ١٤/ ٢٦).

«وَمَتَى جَاءَ **الْمُعَزِّي** [**παράκλητος**] الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي». (يوحنّا ١٥/ ٢٦).

«لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لا يَأْتِيكُمُ **الْمُعَزِّي** [**παράκλητος**]، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ بِي. وَأَمَّا عَلَى بِرّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي ولا تَرَوْنَنِي أَيْضًا. وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ. إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ

بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. بَعْدَ قَلِيل لا تُبْصِرُونَنِي، ثُمَّ بَعْدَ قَلِيل أَيْضًا تَرَوْنَنِي، لأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الآبِ» (يوحنّا ١٦/ ٧-١٦).

كما جاء في الرسالة الأولى ليوحنّا ٢/ ١: «يَا أَوْلاَدِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ لا تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا **شَفِيعٌ** [**παράκλητον**] عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ».

استقرّ عامة النصارى على القول إنّ البراكليتوس في إنجيل يوحنّا هو روح القدس، في حين ذهب جمهور علماء الإسلام إلى أنّ البراكليتوس هو نبيّ الإسلام الذي بشّر به في المسيح في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

المطلب الأول
إشكالات في التفسير النصراني

يذهب عامّةُ النصارى إلى أنّ البراكليتوس الذي بشّر به المسيح، هو الروح القدس، الأقنوم الإلهي الثالث. وحجّتهم الأساسيّة نص يوحنّا ١٤/٢٦: «وَأَمَّا الْمُعَزِّي، **الرُّوحُ الْقُدُسُ**، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ». (يوحنّا ١٤/٢٦). والنصّ -كما يقولون- صريح في تعريف البراكليتوس أنّه الروح القدس.. فهل هذا التوجيه مقنع؟

البراكليتوس.. والتوظيف الإنجيليّ

عبارة «براكليتوس» معروفة في الأدبيّات السابقة لإنجيل يوحنّا، وهي تملك حمولة دلالية بعيدة عن الفهم الكنسيّ لنصوص إنجيل يوحنّا. لا تعني كلمة براكليتوس «المعزّي»،كما هو شائع في كتابات النّصارى العرب وفريق من الكُتّاب الغربيّين، ولم ترد بهذا المعنى في سياقات استعمالها في العهد الجديد، وإنّما هي بمعنى من يُستدعى للعَوْن؛ أي الدّفاع عن الغير لِدَفْعِ الإدانة عنه كما هو ظاهر في الكتابات اليونانية منذ القرن قبل الميلاد. وهو المعنى في الأدبيات اليهوديّة، ومن ذلك ما جاء في التلمود: «إذا أُخِذ المرء إلى مكان المحاكمة ليُحاكم، من الممكن أن ينجو إذا كان عنده مدافعون **פְּרַקְלִיטִין** [برقليطين] عظام»[1]. كما جاءت هذه الكلمة بمعنى فرعيٍّ للدّفاع، وهو الشّفاعة؛ ومن ذلك ما جاء في ترجوم أيوب ٣٣/ ٢٣:

---

(1) Babylonian Talmud. Shabbat 32a

إذا كانت للمرء فضائل، يَتَدَخَّلُ مَلَكٌ كشفيع **פרקליטא** [برقليطا] من بين ألفِ خَصْمٍ.	**אִין אִית עֲלוֹי זְכוּתָא מִזְדַמַן מַלְאֲכָא חֲדָא פְּרַקְלִיטָא מִן בְּנֵי אֲלֶף קַטֵיגוֹרְיָא**

كما أنّ كلمة براكليتوس قد استُعملت بمعنى المدافع أو المحامي في كتابات فيلو الفيلسوف اليهوديّ الذي كان يكتب باليونانية(١). ولذلك قال الأب متّى المسكين: «حسب مفهوم اللغة اليونانية القديمة واستعمالاتها، كما وردت في النصوص التفسيريّة، نجد المعنى ينحصر في الصّفة القضائية للشخص الذي يُمَكِّنُهُ القانون من الدّفاع والمحاماة والشفاعة عن الآخر، وقد وردت في اصطلاحاتُ الربّيّين اليهود بهذا المعنى»(٢).

دفع ما سبق الناقد يوهناس بِم(٣) أن يقول صراحة: «استخدام مصطلح براكليتوس في العهد الجديد، رغم أنّه لم يقع إلّا في الكتابات اليوحناويّة، **إلّا أنّه** لا **يترك أيّ انطباعٍ واحدٍ ثابت**(٤)، ولا يتناسب بسلاسةٍ مع تاريخ الكلمة كما هو موضّح [سابقًا]. في ١ يوحنّا ٢/ ١، حيث يُدعى يسوعُ المسيحُ: براكليتوس خُطاة المسيحيين أمام الآب، من الواضح أن المعنى هو «المحامي»، وصورة المحاكمة أمام محكمة الله هي التي تحدّد المعنى. في يوحنّا ١٦/ ٧-١١ (راجع ٢٦/ ١٥) نجد مرّةً أخرى فِكرة محاكمةٍ يظهر فيها الرّوحُ القدس (١٦/٨-١١). ومع ذلك، فإنّ الرّوحَ ليس هو المدافع عن التلاميذ أمام الله، ولا محامي الله أو المسيح عند البشر، والذي ينطوي على تحوّلٍ غيرِ مُبرّرٍ في الفكر... ما يقال عن إرسال هذا البراكليتوس ونشاطه وطبيعته (١٦/ ٧، ١٦/ ١٣-١٥، ١٥/ ٢٦، ١٤/ ١٤، ١٤/ ٢٦) **ينتمي إلى مجالٍ مختلف تمامًا**، وهنا (راجِع يسوع في ١٦/ ١٤) يبدو أن البراكليتوس كلمةٌ تحمِلُ المعنى العامّ لكلمة «معين». الشيء الوحيد الذي يمكن للمرء أن يقوله على وجه اليقين هو أنَّ معنى «المُعَزِّي» [...] لا يتناسبُ مع أيٍّ من مقاطع العهد الجديد. لا يُوْصَفُ يسوع ولا الرّوح بأنه «مُعَزٍّ»»(٥).

---

(1) Gerhard Kittel, ed. *The Theological Dictionary of the New Testament*, tr. Geoffrey W. Bromiley, Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, 1968, 5/800-803.

(٢) متى المسكين، الباراكليت الروح القدس، ص ١٢ (نقله أحمد حجازي السقا، (بيركليت) اسم نبي الإسلام في إنجيل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، القاهرة: مكتبة المطيعي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٤٠).

(٣) يوهناس بِم Johannes Behm (١٨٨٣-١٩٤٨): لاهوتي لوثري ألماني. درّس في جامعة جوتنجن.

(4) "… does not make any consistent impression."

(5) Gerhard Kittel, ed. *The Theological Dictionary of the New Testament*, tr. Geoffrey W. Bromiley, Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, 1968, 5/803-804.

فلكلمة بَراكليتوس استعمال قديم في التراث اليوناني السابق لا تلتئم مع هذه الكلمة في سياقِ نِسْبَتِها إلى الرّوح القدس؛ ولذلك ذهب عدد من النقّاد إلى التّشكيك في أصالةِ الصّورة التي عَرَضَ من خلالها صاحبُ إنجيل يوحنّا البراكليتوس، إذ رأوا أنّ البراكليتوس في صورته الأولى شخصٌ يظهر بعد المسيح لخلاصِ الناس، تمَّ الخلطُ بينه وبين الرّوح القدس لاحقًا. ومن هؤلاء Spitta وDelafosse وWindisch وSasse وBultmann وBetz[1].

ولعلّه كان هناك تراثٌ نصرانيٌّ عن البراكليتوس لم يصل الفِرَقَ النصرانية الأُخرى عن طريق إنجيل يوحنّا، وإنّما عن طريق آخر؛ فقد لاحظ أنتوني كاسوريلا[2] أنّ «الهرطقات المبكرة يبدو أنها قد حدّدت البراكليتوس على أنّه واحدٌ من شخصيّاتٍ (بشرية) مختلفة»[3]. وربّما أيضًا حدّدتْ بعض هذه الفرق شخصية البراكليتوس من إنجيل يوحنّا؛ لإيمانها بقانونية هذا الإنجيل.

عدم انطباق صفات الروح القدس على البراكليتوس:

يرى النّصارى اليوم أنّ الروح القدس هو البراكليتوس، وأنّه نزل على التلاميذ بعد خمسين يومًا من قيامة المسيح من الموت؛ فتكلّموا بلغات عديدة ما كانوا يعرفونها (أعمال الرسل ٢/ ٤). وذاك فهمٌ فاسد من أوجه:

- الرّوح القدس عند النصارى إلهٌ، وهو أحدُ الأقانيم الثلاثة، ولم يكن غائبًا عن المسيح؛ فقد نزل عليه عندما عمَّدَهُ يوحنّا المعمدان في نهر الأردن (متّى ٣/ ١٦، مرقس ١/ ١٠، لوقا ٣/ ٢٢، يوحنّا ١/ ٣٢). ولذلك لا يصحُّ أن يُقال إنّه الغائب المنتظر.
- جاء في لوقا ١١/ ١٣: «فَإِن كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ؟».

---

(1) Raymond Brown, *The Gospel according to John (XIII-XXI): Introduction, translation, and notes* (New Haven; London: Yale University Press, 2008), p.1135.

(٢) أنتوني كاسوريلا Anthony Casurella (١٩٤٦-٢٠٠١): قسيس أمريكي. أستاذ العهد الجديد في Western Evangelical Seminary.

(3) Anthony Casurella, *The Johannine Paraclete in the Church Fathers: A Study in the History of Exegesis* (Tübingen: Mohr, 1983), p.23

يعني هذا القول أنّ هبةَ الرّوح القدس رهينة طلب العبد وليست هي مقرونةً بزمنٍ معيّنٍ، كما أنّها ليست مشروطةً بذهاب المسيح.

- نزل الروح القدس على الحواريّين قبل يوم الخمسين،كما هو مذكور في إنجيل يوحنّا ٢٠/ ٢٢: «وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ»».
- اتصال الروح القدس بالمؤمنين عند النصارى واليهود لم يكن رهين ذهاب المسيح؛ فقد كان الروح القدس بين المؤمنين قبل زمن المسيح وأثناءه؛ فقد كان مع بني إسرائيل سابقًا، وكان مع أمّه مريم (لوقا ١/ ٣٥)...
- لم يأتِ الروح القدس بتعزية التلاميذ أو الرسل أو المحاماة عنهم. فقد وقع التلاميذ وأتباعهم تحت سوط العذاب من طرف السلطة الرومانية من جهة واليهود من جهة أخرى، دون عون خاص من الروح القدس.
- الروح القدس لم يَهْد النصارى ولم يُنر لهم طريق معرفة الله -سبحانه-؛ بل لقد دبَّ الخلاف الشديد بين الأتباع وظهرتْ فِرَقٌ عَقَدِيّةٌ كثيرة جِدًّا، كلٌّ منها يدّعي أنّه على طريق المسيح، ويزعم أنّ مخالِفِيْهِ هراطقةٌ ضالّين.
- إذا قلنا إنّ الروح القدسَ هو موضوع بشارةِ المسيح، فكيف من الممكن أن نفهمَ قول المسيح إنّ هذا الآتي يوبّخ العالم؟!
- ذكر المسيحُ أنّ التلاميذ ليس بإمكانهم إطاقة تلقّي الكثير من الحقائق الدينية في تلك الأيام: «إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ» (يوحنّا ١٦/ ١٢-١٣)؛ فكيف امتلك التلاميذ هذه القدرة بعد عشرةِ أيّام فقط من رَفْعِ المسيح، مع أنّ ظاهر كلام المسيح يُفيد أنّ جيل الحواريّين بأكمله عاجِزٌ عن فَهْمِ الكلام وتَحَمُّلِه؟!
- إذا كان التلاميذ لم يعرفوا الحقّ إلّا بعد رفع المسيح بأيّام بعد أن كانوا جاهلين به تمام الجهل، فلماذا كان المسيح يُكْثِرُ من الوَعْظِ والخطابة والمعجزات إذن؟
- كيف من الممكن فهم قول المسيح إنّ البراكليتوس لا يتكلَّمُ بِشيءٍ مِنْ عِندِهِ، بل يتكَلَّمُ بِما يَسمَعُ ويُخْبِر بِما سيَحدُث، في دائرة اعتقادِ النصارى أنّ الآب والابن والروح القدس هم ثلاثة أقانيم متوحّدة؟!

- تذكر البشارة بالبراكلتوس أنّه «يُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ»؛ وليس في العهد الجديد أنّ التلاميذ قد نَسُوا خبر المسيح، أو أنّ الروح القدس ذَكَّرهم بما نَسُوه.
- لا معنى لعبارة «يأخذ مما لي» في ضوء العقيدة النصرانية؛ إذ الرّوح القدس إلهٌ كامل من إلهٍ كامل؛ فلا يحتاج إلى غيره.
- التراث النصرانيّ في القرون الأولى لم يجتمع على فهم دلالة «البراكليتوس» على الروح القدس. تقول موسوعة "The International Cyclopædia": «في العصور المبكرة، اعتقد كثيرون أن البراكليتوس سيظهر شخصيًّا على الأرض، وتظاهر سمعان المجوسي وماني ومونتانوس وبعض الآخرين بأنهم البراكليتوس المنتظر»[1]. كما جاء في «موسوعة الدين والآداب» أنّ القول إنّ «البراكليتوس، روح الحقّ، شخصٌ أو غير ذلك، كان محلَّ جَدَلٍ حامٍ»[2]. أي إنّ النصارى اختلفوا اختلافًا جديًّا حول طبيعة البراكليتوس: هل هو شخصٌ (بشر) أم هو أقنومٌ إلهيٌّ.

(1) H. T. Peck, ed., *The International Cyclopædia* (New York: Dodd, Mead & Company, 1990), 11/275

(2) J. Hastings, *The Encyclopaedia of Religion and Ethics* (New York: Charles Scribner's Sons), 11/795.

المطلب الثاني
البرِكليتوس هو أحمد

اتّفق عامّة علماء الإسلام أنّ البركليتوس هو محمّد ﷺ، غير أنّهم اختلفوا في طريق توجيه ذلك من الناحية اللغوية؛ فقال عامة المتأخّرين إنّ الكلمة اليونانية وقع فيها تصحيفٌ بسيطٌ، حَوَّلَ معناها من «أحمد» إلى «شفيع» أو «محام»، وذهب أحد أعلام المفسّرين المتأخّرين إلى أنّه لا حاجة إلى افتراض أنّ كلمة «براكليتوس» مُصَحَّفة؛ فإنّ بشارة المسيح بـ«أحمد»، ليست بشارة بنبيّ اسمه أحمد، وإنما هي بشارة بمن وصِف أنه يُحمد. وذهب آخرون إلى مذاهب أخرى، كلّها ضعيفة، منها أن الكلمة سريانية وليست يونانية، وهي فرقليط ܦܪܩܠܝܛ بالسريانية، وذاك وجه لا حُجّة له؛ إذ إنّ براكليتوس كلمة يونانية معروفة قبل زمن الأناجيل، كما أنّ السريانية ليست فيها كلمة «فرقليط» ابتداءً!

ولذلك سنكتفي بعرض المذهبين الأوّلين؛ لوجاهتهما:

١.برِكليتوس = أحمد

يذهب كثير من الكتّاب المسلمين المتأخّرين إلى أنّ كلمة براكليتوس παράκλητος محرّفة قليلة في صوائتها[1]؛ فأصلها اليونانيّ الأوّل الذي قاله المسيح أو الذي تُرجم عن الآرامية الجليلية التي تكلّمها المسيح، هو: بِرِكليتوس περικλυτος. وتعني هذه الكلمة: «أحمد» من الحمد والمدح.

(1) Vowels.

قال الإمام الشوكاني: «وأحمد اسم نبيّنا ﷺ، وهو عَلَمٌ منقولٌ من الصّفة، وهي تحتمل أن تكون مبالغة من الفاعل؛ فيكون معناها أنّه أكثرُ حمدًا لله من غيره، أو من المفعول؛ فيكون معناها أنّه يُحْمَدُ بما فيه من خِصالِ الخير، أكثر ممّا يحمد غيره»[1].

والناظر في كلمة براكليتوس παράκλητος الموجودة في مخطوطات إنجيل يوحنّا، يُدرِكُ أنّه لو غيّرت هذه الكلمة في بعض صوائتها قليلًا فستصير بمعنى أحمد περικλυτος [بِرِكليتوس]. وقد اعترف بذلك كثير من النصارى والمنصّرين. ومن هذه الاعترافات:

- ذكر الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه «قصص الأنبياء» أنّه زَامَلَ في جامعة دار العلوم في مصر المستشرق المعروف الدكتور كارلو نلينو. وممّا كان بينهما، قول عبد الوهاب النجار: «قلت له–وأنا أعلم أنّه حاصل على شهادة الدكتوراه في آداب اليهود اليونانية القديم– ما معنى «بيريكلتوس»؟

فأجابني بقوله: إنّ القسس يقولون إنّ هذه الكلمة معناها «المُعَزّي».

فقلتُ: إنّي أسأل الدكتور كارلو نلينو الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة، ولستُ أسأل قسّيسًا.

فقال: إنّ معناها: «الذي له حَمْدٌ كثير».

فقلتُ: هل ذلك يوافق أَفْعَلَ التّفضيل من حمد؟

فقال: نعم!

فقلت: إنّ رسول الله ﷺ من أسمائه «أحمد».

فقال: يا أخي، أنت تحفظ كثيرًا، ثم افترقنا»[2].

- أَلَّفَ المنصّر ويليام سنت كلير تسدل[3] كتابًا ضد الإسلام، ترجمه إلى الإنجليزية المنصّر ويليام موير تحت عنوان «مصادر الإسلام». وقال فيه إنّه من الراجح جِدًّا أنّ

---

(١) الشوكاني، فتح القدير (بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ١٤١٤ هـ)، ٥/ ٢٦٣.

(٢) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء (القاهرة: مكتبة وهبة)، ص ٣٩٨.

(٣) ويليام سنت كلير تسدل ST. Clair William Tisdall (١٨٥٩–٩١٢٨): قسيس ومنصّر إنجليكاني بريطاني. له اهتمام خاص بدراسة اللغات الشرقية القديمة.

العرب قد الْتَبَسَ عليهم صوتيًّا اسم «براكليتوس» و«بِركليتوس»؛ فأخذوا كلمة «بِركليتوس» التي تعني أحمد على أنّها اسم المُبَشَّر به في إنجيل يوحنّا[1].

- قال القمص سرجيوس -وكيل البطريركية بالإسكندريّة- في كتابه الذي ردّ فيه على المسلمين قولهم ببشارة الكتاب المقدّس بنبيّهم ﷺ: «هل تنبّأت التوراة أو الإنجيل عن محمد»: «نعم أن (كذا) هناك في اليونانية كلمة أخرى، وهذا هجاؤها اليوناني περικλΗτος[2] ونطقها بالعربي بيركليتس وترجمتها إلى العربية: «المحمود أو المشهور»»[3].
- قال الأنبا أثناسيوس أُسقف بني سويف في تفسيره لإنجيل يوحنّا في كتاب «دراسات في الكتاب المقدس»: «إنّ لفظ بارقليط إذا حُرِّفَ نُطْقُه قليلًا يصير بيركليت ومعناه الحَمْدُ أو الشُّكر وهو قريبٌ من لفظِ أحمد»[4].

٢. تصحيف الاسم

يعترض النّصارى على القول بتصحيفِ صوائتِ كلمةِ براكليتوس؛ بقولهم إنّها دعوى تعارضها جميع مخطوطات إنجيل يوحنّا التي نملكها؛ إذ إنّها كلّها لا تشهد لصورة الكلمة كما يَدَّعيها المسلمون.

وجواب ذلك من وجهين:

أ. تأخُّر التراث المكتوب: أُلِّفَ إنجيل يوحنّا آخرَ القرنِ الأَوّل أو بداية الثاني. وهو كما يبدو نَقْلٌ لتراثٍ مسيحانيّ متأخّر، وبالتالي فاستلامُ التّراث اليوحنّاي هذا الاسم على وجه

---

(1) "There is in Greek another word which to the ear of a foreigner would have a nearly similar sound, namely, Periclete (praised or celebrated); and it is extremely probable that the people of Arabia, not familiar with Greek, mistook its meaning thus and named the promised one Ahmed, or "the praised."", W. St. Clair-Tisdall, *The Sources of Islam: A Persian Treatise*, translated and abridged by Sir William Muir (Edinburgh, Scotland: T. & T. Clark, 1901), p.63.

(٢) هكذا كتبها. ويبدو أنه أخطأ في نسخها.

(٣) سرجيوس، هل تنبّأت التوراة أو الإنجيل عن محمد (د.ن، ١٩٤٧م)، ص١١.

(٤) الأنبا إثناسيوس، دراسات في الكتاب المقدس، ص ١١٩ (نقله أحمد حجازي السقا، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، ٢/ ٢٧٢).

الغلط في صوائته؛ محتمل، ولا نكارة فيه؛ لِسَبَبَيْنِ: أولّهما غرابة اسم «أحمد» في أدبيّات القرن الأول؛ وثانيهما شُهرة كلمة البراكليتوس بمعنى المحامي؛ فانحرفَ التّراث من المعنى الأَوّل إلى الثاني بخفاء وسُرْعةٍ، خاصّةً أنّ المسيح قد يكون حديثه عن البِركليتوس بالآرامية (على قول جمهور النقاد)؛ فلمّا حدثت الترجمة الْتبَسَ على السّامعين الاسم غير المألوف لأحمد مع كلمة المحامي/ الشّفيع الشهيرة.

ب. شرعيّةُ التّخمين الحدْسِيّ conjectural emendation: يَتَّفِقُ جمهور النقّاد في دراسات النّقد النّصيّ على قبول التّخمين الحَدْسِيّ أثناء سَعْيِهم لاستعادة النصّ الأصليّ أو النصّ الأقدم للوثيقة التي يدرسونها. والعلماء متوسّعون في ذلك بصورة كبيرةٍ عند دراسة العهد القديم، ويَقْبَلُونَهُ في بعض الأحيانِ عند دراسة العهد الجديد. وحقيقةُ التّخمينِ الحدسيّ استعادة ما سقط من الكلام من كلّ المخطوطات المتاحة أو إسقاط ما زِيْدَ في كلّ المخطوطات، أو إصلاحِ ما غُيِّرَ في كلّ المخطوطات؛ أي إنّ النصّ الأصليّ غير موجودٍ في جميع المخطوطات المتاحة.

ومن أمثلة النوع الأول نص ٢بطرس ٣/ ١٠ حيث اقتُرح أنّه قد سَقَطَتْ أداة النّفي ουχ من جميع المخطوطاتِ اليونانية المتاحة للنصّ، وقداختار النص النقدي اليوناني NA28 إضافة أداة النفي التي لا توجد إلا في الترجمة القبطية الصعيدية.

وتُكتَشَف الأرض والأعمال التي عليها.	καὶ γῆ καὶ τὰ έν αὐτῇ ἔργα εὑρεθήσεται.

ومن أمثلة النوع الثاني، نصّ ١كورنثوس ١٤/ ٣٤-٣٥؛ حيث تضع كثيرٌ من الترجمات الحديثة هذا النصّ بين قوسين [ ] دلالة على أنّه غير أصليّ رغم أنه موجود في كلّ المخطوطات المتاحة.

ويمثّل نص أفسس ١/ ١١ مثالًا للنوع الثالث؛ حيث اقتُرِح أنّ كلمة «جعلنا ميراثًا» "έκληρώθημεν" [إكليروثيمن] الموجودة في كلّ المخطوطات، هي تحريف للكلمة الأصلية έπληρώθημεν [إبليروثيمن][1].

والالتباس في الصوائت في العهد الجديد معلوم، ومن أمثلته وجود أكثرَ من اسمٍ مكتوبًا

---

(1) Ryan Donald Wettlaufer, No Longer Written: The use of conjectural emendation in the restoration of the text of the New Testament, the Epistle of James as a case study (Leiden; Boston: Brill, 2013), pp.3-4.

على أكثرَ من صورةٍ، ومن ذلك اختلافُ المخطوطات في كتابة «النّاصرة» في نصّ متّى ٢/٢٣؛ فقد كتبتها: "Ναζαρα" [نَزَرَ] (في البردية ٧٠)، و"Ναζαρετ" [نزرت] (في المخطوطة السينائية والمخطوطة الفاتيكانية ومخطوطة بيزا)، و"Ναζαρεθ" [نَزَرِث]) في المخطوطة الإفرايمية ومخطوطة واشنطن)، و"Ναζαραθ" [نَزَرَث] (في مخطوطة Sangallensis)(١).

(1) NA28, p.5.

المطلب الثالث
البراكليتوس المحمود

ذهب العلامة المفسّر ابن عاشور إلى أنّ كلمة «أحمد» في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ ليست اسم علم، وله في ذلك تفصيل يَحْسُنُ نَقْلُهُ بِحَرْفِهِ.

قال -رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَا يُحْمَلُ قَوْلُهُ: اسْمُهُ أَحْمَدُ عَلَى مَا يَتَبَادَرُ مِنْ لَفْظِ اسْمٍ مِنْ أَنَّهُ الْعَلَمُ الْمَجْهُولُ لِلدِّلَالَةِ عَلَى ذَاتٍ مُعَيَّنَةٍ لِتُمَيِّزَهُ مِنْ بَيْنِ مَنْ لا يُشَارِكُهَا فِي ذَلِكَ الِاسْمِ لِأَنَّ هَذَا الْحَمْلَ يَمْنَعُ مِنْهُ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِمُطَابِقٍ لِلْوَاقِعِ لِأَنَّ الرَّسُولَ الْمَوْعُودَ بِهِ لَمْ يَدْعُهُ النَّاسُ أَحْمَدُ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَدْعُو النبيء مُحَمَّدًا ﷺ بِاسْمِ أَحْمَدَ لا قبل نبوته ولا بَعْدَهَا ولا يُعْرَفُ ذَلِكَ.

وأما ما وَقَعَ في الموطّأ والصّحيحَيْنِ عن محمّد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن النّبيء ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو الله بِهِ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ». فَتَأْوِيلُهُ أَنَّهُ أَطْلَقَ الْأَسْمَاءَ عَلَى مَا يَشْمَلُ الِاسْمَ الْعَلَمَ وَالصِّفَةَ الْخَاصَّةَ بِهِ عَلَى طَرِيقَةِ التَّغْلِيبِ. وَقَدْ رُوِيَتْ لَهُ أَسْمَاءٌ غَيْرُهَا اسْتَقْصَاهَا أبو بَكْرٍ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي «الْعَارِضَة» و«القبس».

فَالَّذِي نُوقِنُ بِهِ أَنَّ مَحْمَلَ قَوْلِهِ: اسْمُهُ أَحْمَدُ يَجْرِي عَلَى جَمِيعِ مَا تَحْمِلُهُ جُزْءَا هَذِهِ الْجُمْلَةَ مِنَ الْمَعَانِي.

فَأَمَّا لَفْظُ «اسْمٍ» فَأَشْهَرُ اسْتِعْمَالِهِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ثَلَاثَةُ اسْتِعْمَالَاتٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْمُسَمَّى. قَالَ أبو عُبَيْدَةَ: الِاسْم هُوَ المسمّى. وَنَسَبَ ثَعْلَبٌ إِلَى سِيبَوَيْهِ أَنَّ الِاسْمَ غَيْرُ الْمُسَمَّى (أَيْ إِذَا أُطْلِقَ لَفْظُ اسْمٍ فِي الْكَلَامِ فَالْمَعْنَى بِهِ مُسَمَّى ذَلِكَ الِاسْمِ) لَكِنْ جَزَمَ ابْنُ السَّيِّدِ الْبَطَلْيَوْسِيُّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ فِي مَعَانِي الِاسْمِ هَلْ هُوَ عَيْنُ

الْمُسَمَّى، أَنَّهُ وَقَعَ فِي بَعْضِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ أَنَّ الِاسْمَ هُوَ الْمُسَمَّى، وَوَقَعَ فِي بَعْضِهَا أَنَّهُ غَيْرُ الْمُسَمَّى، فَحَمَلَهُ ابْنُ السَّيِّدِ الْبَطَلْيَوْسِيُّ عَلَى أَنَّهُمَا إِطْلَاقَانِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِاخْتِلَافٍ فِي كَلَامِ سِيبَوَيْهِ، وَتَوَقَّفَ أبو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: لَيْسَ لِي فِيهِ قَوْلٌ. وَلِمَا فِي هَذَا الِاسْتِعْمَالِ مِنْ الِاحْتِمَالِ بَطُلَ الِاسْتِدْلَالُ بِهِ.

الِاسْتِعْمَالُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الِاسْمُ بِمَعْنَى شُهْرَةٍ فِي الْخَيْرِ وَأَنْشَدَ ثَعْلَبٌ:

لِأَعْظَمِهَا قَدْرًا وَأَكْرَمِهَا أبا وَأَحْسَنِهَا وَجْهًا وَأَعْلَنِهَا سُمَى

سَمًى لُغَةٌ فِي اسْم.

الِاسْتِعْمَالُ الثَّالِثُ: أَنْ يُطْلَقَ عَلَى لَفْظٍ جُعِلَ دَالًّا عَلَى ذَاتٍ لِتُمَيَّزَ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَمْثَالِهَا، وَهَذَا هُوَ الْعَلَمُ.

وَنَحْنُ نَجْرِي عَلَى أَصْلِنَا فِي حَمْلِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ عَلَى جَمِيعِ الْمَعَانِي الَّتِي يَسْمَحُ بِهَا الِاسْتِعْمَالُ الْفَصِيحُ كَمَا فِي الْمُقَدِّمَةِ التَّاسِعَةِ مِنْ مُقَدِّمَاتِ هَذَا التَّفْسِيرِ، فَنَحْمِلُ الِاسْمَ فِي قَوْلِهِ: اسْمُهُ أَحْمَدُ على مَا يَجْمَعُ بَيْنَ هَذِهِ الِاسْتِعْمَالَاتِ الثَّلَاثَةِ، أَيْ مُسَمَّاهُ أَحْمَدُ، وَذِكْرُهُ أَحْمَدَ، وَعَلَمُهُ أَحْمَدُ، وَلْنَحْمِلْ لَفْظَ أَحْمَدَ عَلَى مَا لا يَأْبَاهُ وَاحِدٌ مِنَ اسْتِعْمَالَاتِ اسم الثَّلَاثَةِ إِذَا قُرِنَ بِهِ وَهُوَ أَنَّ أَحْمَدَ اسْمُ تَفْضِيلٍ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَسْلُوبَ الْمُفَاضَلَةِ مَعْنِيًّا بِهِ الْقُوَّةُ فِيمَ هُوَ مُشْتَقٌّ مِنْهُ، أَيِ الْحَمْدِ وَهُوَ الثَّنَاءُ، فَيَكُونُ أَحْمَدُ هُنَا مُسْتَعْمَلًا فِي قُوَّةِ مَفْعُولِيَّةِ الْحَمْدِ، أَيْ حَمْدِ النَّاسِ إِيَّاهُ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ. «الْعُودُ أَحْمَدُ»، أَيْ مَحْمُودٌ كَثِيرًا.

فَالْوَصْفُ بِ أَحْمَدُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَعْنَى الْأَوَّلِ فِي اسْمٍ أَنَّ مُسَمَّى هَذَا الرَّسُولَ وَنَفْسُهُ مَوْصُوفَةٌ بِأَقْوَى مَا يَحْمَدُ عَلَيْهِ مَحْمُودٌ فَيَشْمَلُ ذَلِكَ جَمِيعَ صِفَاتِ الْكَمَالِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ وَالْخِلْقِيَّةِ وَالنَّسَبِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْدُودٌ مِنَ الكمالات الذاتية والعرضية.

وَيَصِحُّ اعْتِبَارُ أَحْمَدُ تَفْضِيلًا حَقِيقِيًّا فِي كَلَامِ عِيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أَيْ مُسَمَّاهُ أَحْمَدُ مِنِّي، أَيْ أَفْضَلُ، أَيْ فِي رِسَالَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ. وَعِبَارَاتُ الْإِنْجِيلِ تُشْعِرُ بِهَذَا التَّفْضِيلِ، فَفِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا فِي الْإِصْحَاحِ الرَّابِعَ عَشَرَ «وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْأَبِ (أَيْ مِنْ رَبِّنَا) فَيُعْطِيكُمْ (فَارْقَلِيطَ) آخَرَ لِيَثْبُتَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لا يَسْتَطِيعُ الْعَالِمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لِأَنَّهُ لا يَرَاهُ ولا يَعْرِفُهُ. ثُمَّ قَالَ: وَأَمَّا الْفَارْقَلِيطُ الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْأَبُ (الله) باسمي فَهُوَ

يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ»، أَيْ فِي جُمْلَةِ مَا يُعَلِّمُكُمْ أَنْ يُذَكِّرَكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ. وَهَذَا يُفِيدُ تَفْضِيلَهُ عَلَى عِيسَى بفضيلة دوَام شَرِيعَة الْمُعَبَّر عَنْهَا بِقَوْلِ الْإِنْجِيلِ «لِيَثْبُتَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ» وَبِفَضِيلَةِ عُمُومِ شَرْعِهِ لِلْأَحْكَامِ الْمُعَبِّرِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: «يُعَلِّمَكُمْ كُلَّ شَيْء».

وَالْوَصْفُ بِـ أَحْمَدُ عَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي فِي الِاسْمِ. أَنَّ سُمْعَتَهُ وَذِكْرَهُ فِي جِيلِهِ وَالْأَجْيَالِ بَعْدَهُ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ أَشَدُّ ذِكْرٍ مَحْمُودٍ وَسُمْعَةٍ مَحْمُودَةٍ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ «أَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَأَنَّ الله يَبْعَثُهُ مَقَامًا مَحْمُودًا.

وَوَصْفُ أَحْمَدُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَعْنَى الثَّالِثِ فِي الِاسْمِ رَمْزٌ إِلَى أَنَّهُ اسْمُهُ الْعَلَمُ يَكُونُ بِمَعْنَى: أَحْمَدَ، فَإِنَّ لَفْظَ مُحَمَّدٍ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ حَمَّدَ الْمُضَاعَفِ الدَّالِ عَلَى كَثْرَةِ حَمْدِ الْحَامِدِينَ إِيَّاهُ كَمَا قَالُوا: فُلَانٌ مُمَدَّحٌ، إِذَا تَكَرَّرَ مَدْحُهُ مِنْ مَادِحِينَ كَثِيرِينَ. فَاسْمُ «مُحَمَّدٍ» يُفِيدُ مَعْنَى: الْمَحْمُودِ حَمْدًا كَثِيرًا وَرُمِزَ إِلَيْهِ بِأَحْمَدَ.

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الْجَامِعَةُ الَّتِي أَوْحَى الله بِهَا إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ الله بِهَا أَنْ تَكُونَ شِعَارًا لِجِمَاعِ صِفَاتِ الرَّسُولِ الْمَوْعُود بِهِ ﷺ، صِيغَتْ بِأَقْصَى صِيغَةٍ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ إِجْمَالًا بِحَسَبِ مَا تَسْمَحُ اللُّغَةُ بِجَمْعِهِ مِنْ مَعَانِيَ. وَوُكِلَ تَفْصِيلُهَا إِلَى مَا يَظْهَرُ مِنْ شَمَائِلِهِ قَبْلَ بِعْثَتِهِ وَبَعْدِهَا لِيَتَوَسَّمَهَا الْمُتَوَسِّمُونَ وَيَتَدَبَّرَ مَطَاوِيهَا الرَّاسِخُونَ عِنْدَ الْمُشَاهَدَةِ وَالتَّجْرِبَةِ»[1].

ووفق ما قرّره ابن عاشور، تكون بشارة المسيح بشخص بعده، غيرُ متضمِّنة لاسمِهِ. وقد انتصر للمعنى نفسه المستشرق المعروف مونتجمري وات قبل سنوات قليلة من صدور تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، وذلك في مقالة بعنوان: «اسمه أحمد». وكان من أهمّ ما ادّعاه، أنّه لم يُسمَّ طفل من أطفال المسلمين باسم «أحمد» قبل سنة ١٢٥ هـ، على خلاف اسمه «محمّد» الذي سُمّي به كثير من المسلمين منذ عصر البعثة، وقد أسّس قوله على مراجعة بعض أقدم الكتب التراثية التي طبعت في أيّامه، وما ورد فيها من أسماء؛ ككتاب الخراج لأبي يوسف، والطبقات للواقدي الذي جاء فيه ذكر ١٦٠ شخصًا اسمه أحمد، لم يولد منهم قبل سن ٢٠٠ هـ سوى واحد فقط. وذاك -كما يقول- دال على

(١) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٨/ ١٨٢-١٨٥.

أنّ النّظر إلى «أحمد» باعتباره أحد أسماء الرسول، تراثٌ متأخّر؛ لغياب وَلَعِ المسلمين بالتسمّي بهذا الاسم. وأمّا ورود اسم أحمد في قلّة من أهل العصر الجاهلي؛ فلا تطعن –في رأيه– في غربة اسم «أحمد» عن العرف الإسلاميّ. كما ذكر أنّه لو أثبت مخالفه وجود اسم «أحمد» بضع مرات في العصر الإسلامي الأول؛ فلن ينقض ذلك دعواه؛ لأنّ المخالف في حاجة إلى إثبات أنّ هذه التسمية سببها تعظيم الاسم النبويّ. ولذلك ترجمَ وات آية سورة الصف، هكذا: «ومبشّرًا برسول يأتي من بعدي اسمه يستحقّ حمدًا أبلغ (من اسمي)» announcing the good tidings of a messenger who will come after me "whose name is more worthy of praise"، منبّهًا –كما يقول– إلى أن التراث الأول –كما نقله الطبري المعروف بتتبع أقوال المفسرين في كلّ مسألة– لم يُشِرْ إلى أنّ «أحمد» سورة الصّفّ، اسمٌ لنبي الإسلام ﷺ[1].

وعلى هذا المذهب، يُكتفى بالنّظر في صفات البراكليتوس لمعرفة حقيقته. وبالنّظر في النصوص؛ نجد أنّ حظّ نبيّ الإسلام ﷺ من اسم «الشفيع/المحامي» وصفات البراكليتوس، أوسع من حظّ الروح القدس:

١. الشّفاعة، والدّفاع عن الغير، وظيفة الأنبياء لا الأقانيم. وقد أطلقَ اليهود لفظ الفرقليط على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[2].

٢. «إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ». (يوحنّا ١٦/ ١٢-١٣).

أ. يدلّ هذا النص على أنّ من رسالة الوحي ما لم يحن أوانه ليعرض أمام الناس حتى يفهموه، أو أنّ الأمم لم تتهيّأ لالتزامه، وإن كان مفهومًا. قال الإمام القرافي: «قول المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إنّه روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقبلوه؛ لأنّهم لم يعرفوه؛ يشير إلى أنّه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بُعِثَ بالتوحيد في زمنٍ غَلَبَ فيه الجَهْلُ وعبادة الأوثان وبيوت النار»[3].

---

(1) W. Montgomery Watt, 'His name is Ahmad', *Muslim World*, Volume 43, Issue2 April 1953, pp.110-117.

(2) Gerhard Kittel, ed. *The Theological Dictionary of the New Testament*, tr. Geoffrey W. Bromiley, 5/802.

(٣) القرافي، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، تحقيق: بكر زكي عوض (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ص٤٢٥.

ب. جاء في الأناجيل وَصْمُ الحواريّين بِقِلّةِ الفَهْمِ أو عَدَمِهِ:

متّى ٨/ ٢٦: «فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا أَنْتُمْ خَائِفُونَ، يَاقَلِيلِي الإِيمَانِ؟» ثُمَّ نَهَضَ وَزَجَرَ الرِّيحَ وَالْبَحْرَ، فَسَادَ هُدُوءٌ تَامٌّ».

متّى ١٤/ ٣١: «فَمَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ فِي الْحَالِ وَأَمْسَكَهُ وَقَالَ لَهُ: «يَاقَلِيلَ الإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَكْتَ؟»».

متّى ١٦/ ٨: «وَعَلِمَ يَسُوعُ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ: «يَاقَلِيلِي الإِيمَانِ، لِمَاذَا تُحَاجُّونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لأَنَّكُمْ لَمْ تَتَزَوَّدُوا خُبْزًا؟»».

لوقا ٨/ ٢٥-٢٦: «فَتَقَدَّم تَلَامِيذُهُ وَأَيْقَظُوهُ قَائِلِينَ: «يَا سَيِّدُ، نَجِّنَا فَإِنَّنَا نَهْلِكُ!» فَقَالَ لَهُمْ: «مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ يا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟» ثُمَّ قَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيَاحَ وَالْبَحْرَ، فَصَارَ هُدُوٌّ عَظِيمٌ».

متّى ١٥/ ١٥-١٦: «فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «فَسِّرْ لَنَا هذَا الْمَثَلَ» فَقَالَ يَسُوعُ: «هَلْ أَنْتُمْ أَيْضًا حَتَّى الآنَ غَيْرُ فَاهِمِينَ؟»».

ونحن نلزم النصارى بهذه النصوص -التي لا نعتقد صِدْقَها- أنّ الحواريّين ليسوا هم من سيستقبل الرسالة بعد أيام من رفع المسيح!

٣. «وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ» (يوحنّا ١٦/ ١٣).

فما هو الحقُّ الذي أَرْشَدَ الرُّوح القدسُ الحواريّين إليه؟

وما الذي قاله الرُّوحُ القدسُ للحواريّين؟!

وما الذي أَخْبَرَ به؟!

وما الذي سَمِعَهُ لِيُخْبِرَ به؟!

لا شيء!

حتّى المجامعُ الكنسيّةُ التي قيل إنّها مؤيَّدةٌ بالرُّوح القدس، اخْتَلَفَتْ واضطربَتْ مرارًا!

وأمّا محمد ﷺ فقد أَرْشَدَ الصّحابة والبشرية إلى دين التوحيد وشريعة الصّلاح، وهو الذي أخبر بما أوحاه الله إليه. كما جاءت رسالته في بيان حقيقة الوحي الذي نزل على اليهود والنّصارى. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ [المائدة: ١٥].

٤. «كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ»(يوحنّا ١٦/ ١٣).

النبيّ נָבִיא [نبي] في التعريف التوراتي، هو الذي يُنْبِئُ عن الربِّ؛ أي يَتَكَلَّمُ (يُبَلِّغُ) كلَّ ما يسمعه من الربّ.

٥. «يُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ». (يوحنّا ١٦/ ١٣).

محمّد ﷺ، صاحب النبوءات المعروفة من بعثته إلى يوم القيامة. وأمّا روح القدس -على تصوّر النصارى-؛ فقد عجز أن يُفهم النصارى كثيرًا من نبوءات الكتاب المقدس!

٦. «ذَاكَ يُمَجِّدُنِي» (يوحنّا ١٦/ ١٤).

هل مَجَّدَ أَحَدٌ المسيح أكثر مما مجَّدَهُ محمّدٌ ﷺ؟

إنّ من يقرأ سورة مريم يُدِرْكُ -ضرورةً- المقام العالي والمنْزِلَ السّامي لعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الإسلام. كما جاء تمجيدُ المسيحِ أيضًا في الحديث النّبويّ. ومن ذلك ما رواه البخاريُّ وغيره عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال: «كلّ بني آدم يَطْعَنُ الشَّيطانُ في جَنْبَيْهِ بإِصبعه حين يُولد، غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن فطعن في الحِجاب»[(١)]. وأخرج الشّيخان عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «رأى عيسى ابنُ مريم رجلًا يَسْرِقُ. فقال له: أَسَرَقْتَ؟ قال: كلاّ، واللهِ! الذي لا إله إلّا هو. فقال عيسى: آمنتُ بالله وكَذَّبْتُ عَيْنِي»[(٢)].

وقد جاء هذا التكريم للمسيح في الإسلام، بعد أن امتلأ التلمود اليهودي بذمّ المسيح وتحقيره. وقد جَمَعَ جون كريستوف فجنزيل في كتابه "Tela Ignea Satanae" نُصوصًا يهوديّة كثيرة تُحَقِّرُ المسيحَ.. بل لقد ظهر كتابٌ يهوديٌّ في القرون الوسطى -على الراجح في تأريخه- يَحْكِي قصّة المسيح، اسمه «سِفر حياة يشو» "ספר תולדות ישו". وقد اقتبسَ منه بصورة كبيرةٍ مارتن لوثر في كتابه "Vom Schem Hamphoras" لإدانة اليهود. وهذا الكتاب يُمَثِّلُ خُلاصة التّشويه اليهوديّ للمسيح وأُمِّهِ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ. وأمّا أشهرُ كتاب علميٍّ في الموضوع؛ فهو كتاب «يسوع في التلمود» لبيتر شافر، وفيه كَشَفَ المؤلّفُ طريقة الأحبار في إلغاز حديثهم عن يسوع، بأسلوبهم الخاص[(٣)]؛ فإنّ اسم يسوع الأصلي قلّما يظهر في الكتب

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (ح/ ٣١١٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، (ح/ ٣٢٨٦)، ومسلم، كتاب الْفَضَائِلِ بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، (ح/ ٤٤٩٢).

(3) Peter Schäfer, *Jesus in the Talmud*, Princeton, N.J.; Woodstock, Oxfordshire: Princeton University Press, 2009.

التلمودية. وهو يُختصر دائمًا باسم «يشو» "ישו" الذي هو من تركيب الأحرف الأولى للكلمات الثلاث التالية: "יִמַּח שְׁמוֹ וְזִכְרוֹ" [يِمَّح شِمو وزكرو] أي: لِيُمْحَ اسمُه وذِكْرُه. ومن المؤلّفات العربية التي عُنِيَتْ بكشف صورة المسيح في التلمود، كتاب «تلفيق صورة الآخر في التلمود» لزياد منى[1].

من الافتراءات اليهودية المبكرة على المسيح وأُمّه:

- يسوع الناصري ابن زنا، وَلَدَتْهُ أُمُّه من علاقة مع الجندي الرُّومانيّ بندورا.
- وَلَدَتْهُ أُمُّه وهي في فترة الحيض.
- أُمُّهُ امرأةٌ ساقِطةٌ، وكانت مُصَفِّفةً لِشُعور النِّساء.
- كانت أُمُّه بَغِيًّا مُتَجَوِّلةً في الأسواق.
- الناصريُّ هو الذي يَتَّبِعُ تعاليمَ كاذِبةً، ويدعو إلى العبادة في اليوم التالي للسَّبْتِ.
- كان يسوعُ ساحرًا.
- تعاليم يسوع كفرٌ، وتلميذُه يعقوبُ كافرٌ.
- تعلَّمَ يسوعُ ما كان يقوله للنّاس على يد يوشيا بن برخيا. ولمّا علم يوشيا ما يقوله يسوع، حَرَمَهُ، وألقاهُ بين قرون ٤٠٠ كبشٍ.
- يسوع تَقَمَّصَتْهُ رُوح الشّيطانِ.
- دُفِنَ يسوع في جهنّم.

ولذلك قال إسرائيل شاحاك في كتابه الخطير: «الدّيانة اليهودية وموقفها من غير اليهود»: «ينبغي الإقرار من البداية أنّ التلمود والأدب التلمودي يحتويان على مقاطع عدوانية جِدًّا ووصايا موجّهة أساسًا ضد المسيحيّة على سبيل المثال، إضافةً للاتهامات الجِنسيّة البذيئة ضدّ يسوع. ينصُّ التلمود أنّ عقوبةَ يسوع في الجحيم هي إغراقُه في غائطٍ يَغْلِي»...[2].

ولم يَقْتَصِرْ أَمْرُ تلويث سُمعة المسيح وأُمِّهِ على اليهود، بل قد أَنْكَرَ عُذريّة مريمَ كثيرٌ من النقّاد النّصارى؛ وهو ما رَصَدَهُ أحد الباحثين النّصارى في أمريكا، بقوله: «تَشَكَّك كثيرٌ من من العلماء المسيحيّين البارزين لا فقط في نظرية الخلق لمدة ستة أيام، ولكن أيضًا في

---

(١) زياد منى، تلفيق صورة الآخر في التلمود، بيروت: قدمس للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

(٢) إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، تعريب حسن خضر (القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٤)، ص ٢٨.

العقائد المسيحيّة الكلاسيكيّة، مثل قيامة المسيح الجسديّة وولادته العُذريّة»[١]. وقد ظهر أَثَرُ ذلك في الكنائس نفسها؛ فقد نشرَتْ صحيفةُ الديلي نيوز بتاريخ ٢٢- ٥- ١٩٩٠ م أنّ كنيسةَ إسكتلندا قد حَذَفَتْ «عُذريّة مريم» من منشوراتها؛ بسبب انقسام القساوسةِ حول هذا الأمر!



The Daily News

DURBAN, TUESDAY, MAY 22, 1990

Virgin Birth omitted by Church of Scotland

LONDON: Direct reference to the Virgin Birth has been omitted from the Church of Scotland's new publication, A Statement of Faith, to "avoid potential division among the church's members".

The Rev David Beckett, secretary of the special working party that produced the publication, said the omission would move the Church of Scotland away from traditional Anglo-Catholic theology and towards the more liberal faction of the Church of England championed by the Bishop of Durham, David Jenkins.

The new document was debated by the Church of Scotland's annual General Assembly in Edinburgh. Designed to express the Westminster Confession, written in the 1640s, in a more up-to-date language, the church's Panel on Doctrine also took the opportunity to tailor the text on the Virgin Birth.

Said Mr Beckett: "We wanted to come up with a statement that was inclusive rather than divisive. One that would be welcomed by the whole church, not just those who accept the Virgin Birth as a historical fact.

وفي المقابل أظهر تفسير الكتاب المقدّس الجماعيّ الذي أشرفَ عليه دوملو الإعجاب بموقف نبي الإسلام ﷺ من عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بعد سَوْقِه للافتراءات اليهوديّة حول المسيح؛ فقد جاء فيه: «من المهمّ أنْ نلاحظ أنّ محمّدًا رفَضَ بكلّ احتقارٍ هذه الافتراءات اليهوديّة»[٢].

---

(1) Mark Galli, ‘The Virgin Birth: What’s the Problem Exactly?’, *Christianity Today*, December 20, 2017.
<https://www.christianitytoday.com/ct/2017/december-web-only/virgin-birth-whats-problem-exactly.html >.

(2) "It is interesting to notice that Mahomet indignantly repudiated these Jewish calumnies". John Dummelow, eds. *A Commentary on the Holy Bible*, p.668.

وجاء في الاجتماع التاسع والأربعين بعد المائة المنعقد بتاريخ ٢٨ أكتوبر ١٩٦٥م في الفاتيكان: «إنّ الكنيسة تَنْظُرُ بعين الإكرام والإجلال إلى المسلمين الذين يعبدون الله الأَحَدَ الحيَّ القيوم الرحمن القدير، فاطر السماء والأرض الذي كلّم البشر. فالمسلمون دأبهم الاستسلام من صميم نفوسهم لأحكام الله الخفيّة، كما استسلم للهِ إبراهيم الذي يَتَّخِذُونه لإيمانهم أُسوةً مستحبّةً. أَجَلْ إِنّهم لا يدينون بيسوع إلهًا، ولكنّهم يُجِلُّونه نبيًّا،كما أَنَّهم يُكرمون والدته العَذْراء مريم»[1].

٧. «وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ بِي» (يوحنّا ١٦/ ٨-٩).

وهذا دالٌّ على أنّ البراكليتوس له سلطانُ توبيخِ مُخالِفِي المسيح. ولم يكن ذلك حال الروح القدس يوم الخمسين وعلى مدى قرون حين كان النّصارى مضطهدين. وهو وَصْفٌ ينطبق عى محمّد ﷺ الذي وَبَّخَ النصارى واليهود لِضلالهم.

٨. «إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لا يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي» (يوحنّا ١٦/ ٧).

يُفهم من النص السالف، أمران:

أوّلهما أنّ البراكليتوس لا يأتي إلّا بعد رفعِ المسيح. و«الرُّوح القدس» قد أتى قبل «تجسّد» المسيح وأثناء حياته على الأرض. اقرأ مثلا:

- سفر صموئيل الأول ١٠/ ١٠: «وَلَمَّ جَاءُوا إِلَى هُنَاكَ إِلَى جِبْعَةَ، إِذَا بِزُمْرَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ لَقِيَتْهُ، فَحَلَّ عَلَيْهِ رُوحُ الله فَتَنَبَّأَ فِي وَسَطِهِمْ».
- سفر صموئيل الأول ١١/ ٦: «فَحَلَّ رُوحُ الله عَلَى شَاوُلَ عِنْدَمَا سَمِعَ هذَا الْكَلاَمَ وَحَمِيَ غَضَبُهُ جِدًّا».

---

(1) “The Church has also a high regard for the Muslims. They worship God, who is one, living and subsistent, merciful and almighty, the Creator of heaven and earth, who has spoken to men. They strive to submit themselves without reserve to the hidden decrees of God, just as Abraham submitted himself to God’s plan, to whose faith Muslims eagerly link their own. Although not acknowledging him as God, they venerate Jesus as a prophet, his Virgin Mother they also honor, and even at times devoutly invoke.” (Gavin D'Costa, ed., *The Catholic Church and the World Religions*, London: A&C Black, 2011, pp.90-91.).

- سفر إشعياء ٦٣/ ١١: «ثُمَّ ذَكَرَ الأَيَّامَ الْقَدِيمَةَ، مُوسَى وَشَعْبَهُ: «أَيْنَ الَّذِي أَصْعَدَهُمْ مِنَ الْبَحْرِ مَعَ رَاعِي غَنَمِهِ؟ أَيْنَ الَّذِي جَعَلَ فِي وَسَطِهِمْ رُوحَ قُدْسِهِ».
- لوقا ١/ ١٥: «لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ، وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لا يَشْرَبُ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ».
- لوقا ١/ ٤١: «فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ».
- لوقا ١/ ٦٧: «وَامْتَلأَ زَكَرِيَّا أَبُوهُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ».
- لوقا ٢/ ٢٥: «وكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سِمْعَانُ، وَهَذَا الرَّجُلُ كَانَ بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ».

يوحنّا ٢٠/ ٢١- ٢٢: «فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: «سَلاَمٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا» وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ».

وقد شهد المسيح أنّ الحصول على الروح القدس رهين طلبه من الربّ؛ دون انتظارٍ لرحيل المسيح: «فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ؟» (لوقا ١١/ ١٣).

وثانيهما أنّ البراكليتوس أفضل من المسيح؛ لأنّ مجيء البراكليتوس خير من بقاء المسيح. وليس الروح القدس أفضل من المسيح، بإجماع النصارى. وأمّا محمّد ﷺ فَسَيِّدُ ولدِ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. وهذا يتطابق مع فهم آية سورة الصفّ على الصّورة التي ذكرها ابن عاشور ومونتجمري وات؛ حيث النبي المبشَّرُ به، بِعْثَتُهُ تستحقُّ حمدًا أبلغ.

اعتراض١:

إنجيل يوحنّا صريح في وصف البراكليتوس أنه روح الحق (يوحنّا ١٥/ ٢٦). ونبي الإسلام بَشَرٌ وليس روحًا!

الجواب:

لا إشكال في وصف البراكليتوس أنّه «روح»؛ إذ إنّ العهد الجديد يستعمل كلمة «الروح» للحديث عن الأنبياء: «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لا تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ لأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ». (١يوحنّا الأولى ٤/ ١).

اعتراض٢:

روح القدس ينبثق من الآب (يوحنّا ١٥/ ٢٦)؛ فهو أحد أقانيمه. وليس نبيُّ الإسلام كذلك!

الجواب:

كلمة «ينبثق» في ترجمة الفانديك العربية تقابل "ἐκπορεύεται" في الأصل اليوناني، وتعني «سيخرج من». والمعنى أنّ الله سيرسله من عنده، لا أنّه جزء من الله.

اعتراض٣:

المسيح يقول إنّ روح القدس يمكث مع التلاميذ إلى الأبد. ونبيُّ الإسلام ظهر بعد قرون من وفاة التلاميذ.

الجواب:

يلزم من القول إنّ التلاميذ لم يعيشوا إلى الأبد، وأنّ روح القدس باقٍ عند التلاميذ إلى الأبد؛ فساد هذا القول. والنصارى هنا بين خيارين: إمّا الإقرار بالتناقض، أو القول إنّ مقصد البشارة أنّ رسالة البراكليتوس باقية إلى الأبد. فعلى الأوّل فلا جدال، وعلى الثاني؛ فهذا الوصف يَصْدُقُ في نبيّ الإسلام ﷺ ورسالتُه التي تبقى إلى الأبد دون نسخ. وهو ما يزداد وضوحًا بحديث المسيح عن «براكليتوس آخر». فذهاب البراكليتوس السابق، يعقبه ظهور براكليتوس جديد تبقى رسالته إلى آخر الزمان.

اعتراض٤:

المسيح سيرسل البراكليتوس. ولم يقل أحدٌ من المسلمين إنّ نبيّهم قد أرسله المسيح.

الجواب:

قول المسيح: «سأُرْسِلُهُ أنا إِلَيْكُمْ» (يوحنّا ١٥/ ٢٦)، يشرحه قوله: «وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا» (يوحنّا ١٤/ ١٦). فما للمسيح هنا من سلطان، إلا أنْ يدعوَ الله أن يرسل البراكليتوس.

اعتراض٥:

البراكليتوس لا يراه العالم ولا يعرفه، وأمّا الحواريُّون فيعرفونه. وذاك لا يَصْدُقُ على نبيّ الإسلام الذي لم يَعِشْ عصرَ الحواريّين؛ فَلِمَ يَعْرِفُه الحواريُّون؟

جواب:

أولا: لا يلزم من مخاطبة الحواريّين بالصيغة السالفة أنّ الأمر قائم في أيّامهم؛ فذلك من جِنْسِ قولِ المسيح لرؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع: «أَقُول لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَاب السَّمَاءِ» (متّى ٢٦/ ٦٤).

ثانيا: قال رحمت الله الهندي، جوابًا على الاعتراض السابق: «هذا أيضًا ليس بشيء، وهم أَحْوَجُ النّاس تأويلًا في هذا القول بالنسبة إلينا، لأنّ روح القدس عينُ الله عندهم والعالم يعرف الله أكثر من معرفة محمد ﷺ، فلا بدّ أن نقول إنّ المراد بالمعرفة المعرفة الحقيقية الكاملة، ففي صورة التأويل لا اشتباه في صدق هذا القول على محمد ﷺ، ويكون المقصود أن العالم لا يعرفه معرفة حقيقية كاملة، وأنتم تعرفونه معرفة حقيقية كاملة، والمراد بالرؤية المعرفة، ولذا لم يُعِدْ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لفظ الرؤية بعد لَفْظِ أنتم، بل قال وأنتم تعرفونه.

ولو حملنا الرؤية على الرؤية البصرية يكون نفيُ الرؤية محمولًا على ما هو المراد في قول الإنجيليّ الأول في الباب الثالث عشر من إنجيله، وأَنْقُل عبارته عن الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٥: ١٣/ ١٤: «فَلِذلك أَضْرِبُ لهم الأمثالَ لأنهم ينظرون ولا يبصرون، ويسمعون ولا يستمعون ولا يفهمون. وقد كمل فيهم تنبأ أشعيا حيث قال: إنكم تستمعون سمعًا ولا تفهمون وتنظرون نظرًا ولا تبصرون». فلا إشكال أيضًا. وأمثال هذين الأمرين وإن كانت معاني مجازية لكنها بمنزلة الحقيقة العرفية. ووقعت في كلام عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كثيرًا: في الآية السابعة والعشرين من الباب الحادي عشر من إنجيل متى هكذا: «وليس أحدٌ يَعْرِفُ الابنَ إلّا الأب ولا أحدٌ يَعْرِفُ الأَبَ إلّا الابن ومن أراد الابنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ».

وفي الآية الثامنة والعشرين من الباب السابع من إنجيل يوحنّا هكذا: «الذي أَرْسَلَني حقٌّ، الذي أنتم لستم تعرفونه».

وفي الباب الثامن من إنجيل يوحنّا هكذا: «لستم تعرفوني أنا ولا أبي، لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضًا، ولستم تعرفونه أي اللّه» الخ.

وفي الآية الخامسة والعشرين من الباب السابع عشر من إنجيل يوحنّا هكذا: «أيها الأب إنَّ العالمَ لَمْ يَعْرِفْكَ أَمَّا أنا فَعَرَفْتُكَ».

وفي الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنّا هكذا ٧-٩: «لو كنتم قد عرفتموني لعَرَفْتُم أبي أيضًا ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه). قال له فيلبس يا سيّد أرنا الأب وكفانا. قال له يسوع: أنا معكم زمانًا هذه مدّته ولم تعرفني يا فيلبس، الذي رآني فقد رأى الأب، فكيف تقول أنت أرنا الأب».

فالمراد في هذه الأقوال بالمعرفة المعرفة الكاملة وبالرؤية المعرفة، وإلّا لا تَصِحُّ هذه الأقوال يقينًا، لأن العوامّ من الناس كانوا يعرفون عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ فضلًا عن رؤساء اليهود، والكهنة، والمشايخ، والحواريّين، ورؤية الله بالبَصَرِ في هذا العالم ممتنعة عند أهل التثليث أيضًا»[1].

ثالثا: المخطوطات متضاربةٌ في زمن فعل الكينونة «كان» في نص يوحنّا ١٤/ ١٧: «رُوح الْحَقِّ الَّذِي لا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لا يَرَاهُ ولا يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ **وَيَكُونُ** فِيكُمْ»؛ فإنّ البردية ٦٦ (القراءة الأصلية) المخطوطة الفاتيكانية ومخطوطة بيزا ومخطوطة واشنطون على استعمال فعل الكينونة في صيغة الزمن المضارع: «يكون فيكم» ἐστιν [إستن]، في حين جاء فعل الكينونة في البردية ٧٥ والمخطوطة السينائية والمخطوطة السكندرية، وفي ترجمة لاتينية قديمة (المخطوطة g)، وترجمة الفولجاتا اللاتينية، والترجمتين الأرمينية والأثيوبية، وكثير من الآباء، وجل المخطوطات في المستقبل "ἔσται" [إستاي]: «سيكون فيكم».

وقد اختارت ترجمة New English Translation صيغة المستقبل. وقالت في هامشها: «عندما يفكر المرء في ما كان سيكتبه المؤلف؛ فإنّ صيغة المستقبل تقف على أرضيّةٍ أقوى بكثير. يشير السّياق المباشر (في كل من ١٤/ ١٦ وفي الفصل ككلّ) إلى المستقبل، ويَعُدُّ لاهوتُ الكتاب قدوم الرّوح حدثًا مستقبليًّا مُؤكّدًا (انظر على سبيل المثال ٧/ ٣٩ و٧/ ١٦). من الممكن أن يكون الفعل المضارع قد نشأَ... على الأرجح من خطأٍ في التَّصَوُّرِ؛ إذ كان النُّسّاخ يُفكّرون في الدّور الحالي للرّوح. على الرغم من أنّ القرار صعب، إلّا أنّ زمن صيغة المستقبل هو على الأصليّ على الراجح».

اعتراض٦:

مؤلّف إنجيل يوحنّا حدّد شخصية البراكليتوس بأنّها الروح القدس.

---

(١) رحمت الله الهندي، إظهار الحق (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ٤/ ١٢٠١-١٢٠٢.

الجواب:

أولا: سبق بيان أنّ صفات هذا المُبشَّر به لا تنطبق على الروح القدس؛ ولذلك فالنصارى بين ثلاثة خيارات لا تجتمع:

الخيار الأوّل: نقل مؤلّف إنجيل يوحنّا بشارة حقيقية بشخصية غير الروح القدس؛ لكنّ صاحب هذا الإنجيل حرّفها عَمْدًا، أو وَصَلَتْهُ مُحَرَّفةً، أو لم يَفْهَمْهَا؛ فَنَقَلَها مع تَخْلِيطٍ.

الخيار الثاني: أشار المفسّر ش.ك. بارت[١] إلى وجود ثلاث قراءات لنص يوحنّا ١٤/ ٢٦ في المخطوطات:

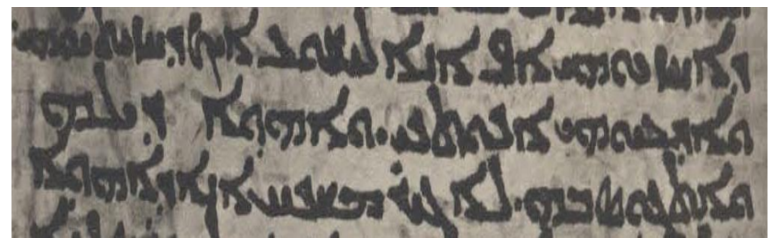
١. «روح القدس» في عامة المخطوطات.

٢. قراءة «روح» "ܪܘܚܐ" في المخطوطة السينائية السريانية التي تعود إلى القرن الرابع.

٣. قراءة «روح الحق» "τὸ πνεῦμα τῆς ἀληθείας" في بعض المخطوطات.

وعلّق بقوله عن قراءة «روح»: «هذه القراءة القصيرة قد تكون القراءة الأصلية؛ وهي تفسّر القراءتين الأخريين»[٢]. أي إنّه لا يوجد داع عند النسّاخ لإسقاط كلمة «القدُس» من نص يوحنّا ١٤/ ٢٦؛ في حين أنّ إضافة «القدُس» متوقّعة لتعيين شخص البراكليتوس، كما أنّ إضافة «الحق» متوقّعة لمطابقة نص يوحنّا ١٤/ ١٧: «رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ».

طرس المخطوطة السينائية السريانية



كلمة «روح» باهتة في النص الخلفي (وجه الصحيفة ١١٧ من المخطوطة)

---

(١) شارلز كنكزلي بارت Charles Kingsley Barrett (١٩١٧-٢٠١١): قسيس ولاهوتي بريطاني بارز. اشتهر بتفسيره لعدد من أسفار العهد الجديد؛ كإنجيل يوحنا وسفر أعمال الرسل.

(2) C. K. Barrett, *The Gospel According to St. John: An Introduction with Commentary and Notes on the Greek Text* (Philadelphia: Westminster John Knox Press, 1978), p.467.

النص الخلفي للمخطوطة مكتوبة[١]

الخيار الثالث: قد تُفهم هذه العبارة بمعنى «الروح ذات القداسة»؛ وصفًا للمسيح أنّه «قدّوس الله»[٢] "ὁ ἅγιος τοῦ θεοῦ" (يوحنّا ٦/ ٦٩)، وممّا قد يؤيّد ذلك أنّ الأصل اليوناني لنصّ يوحنّا ١٤/ ٢٦ يقول: "τὸ πνεῦμα τὸ ἅγιον"، وترجمتها حرفيًّا: «الروح القدس» لا «روح القدس»؛ إذ إنّ كلمة «روح» وكلمة «قدس» قد سُبقتا بأداة التعريف «تو» "τὸ"[٣]. وهو ما يعني أنّ النص يحتمل وجهًا آخر في الترجمة، وهو: «وأمّا البراكليتوس، الروح، المقدس، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ»؛ فإنّ كلمة "ἅγιον" [هجيون] تترجم عادة إلى الإنجليزية "holy" «مقدّس».

ومن أوجه استعمال «هجيون» بمعنى «مقدّس» وصفًا للأشخاص أو الأشياء:

مرقس ٦/ ٢٠:	لأَن هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يوحنّا عَالِمًا أَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ وَقِدِّيسٌ.	ὁ γὰρ Ἡρῴδης ἐφοβεῖτο τὸν Ἰωάννην, εἰδὼς αὐτὸν ἄνδρα δίκαιον καὶ ἅγιον
متّى ٢٧/ ٥٢:	وَقَام كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِين.	καὶ πολλὰ σώματα τῶν κεκοιμημένων ἁγίων ἠγέρθησαν

---

(1) Agnes Smith Lewis, *Some Pages of the Four Gospels re-Transcribed from the Sinaitic Palimpsest* (London: C.J. Clay, 1896), p.129.

(٢) ترجمة الفاندايك العربية محرّفة: "ابن الله الحيّ".

(٣) وردت عبارة «الروح القدس» في إنجيل يوحنا في ١/ ٣٣، ٧/ ٣٩، ١٤/ ٢٦، ٢٠/ ٢٠. ولم ترد العبارة في اليونانية معرّفة «الروح» «القدس» إلا في نصّنا هذا (يوحنا ١٤/ ٢٦). علمًا أن كلمة «القدس» لا أصل لها في أقدم مخطوطاتِ نصّ يوحنّا ٧/ ٣٩، ولذلك حُذِفَتْ في عامّة الترجمات الحديثة.

متّى مَكَان مُقَدَّس τόπῳ ἁγίῳ

٢٤/ ١٥:

متّى ٤/ ٥: الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَة τὴν ἁγίαν πόλιν

كما لاحظ النقّاد أنّ الضمير المستخدم في نص يوحنّا ١٤/ ٢٦ لهذه الروح، هو المُذَكَّرُ، لا المحايِدِ اليونانيّ. وفي هذا يقول القسّ فهيم عزيز عن البراكليتوس: «وهذه الكلمة تختلف عن كلمة الروح القدس في أنّ هذه الأخيرة تأتي في صيغة المحايد اليوناني، أي الذي لا هو مُذَكَّرٌ ولا هو مُؤَنَّثٌ (neuter). أمَّا اللَّفْظُ بارقليط فإنّه يأتي في المذكّر، وهذا يعني أنّه شخصيّة محدَّدةٌ»[1].

الخلاصة:

- البراكليتوس لا يمكن أن يكون الروح القدس؛ لأنّ صفاته لا تنطبق على روح القدس.
- البراكليتوس كلمة يونانية قد تكون محرّفة قليلًا عن كلمة يونانية أخرى تعني: «أحمد»، نقلها صاحب إنجيل يوحنا دون دقة في اللفظ والسياق، بسبب تشوّه التراث الذي وصله عن المسيح آخر القرن الميلادي الأوّل.
- البراكليتوس، كلمة تعني في اليونانية المدافع أو المحامي. وصفاته في إنجيل يوحنا تنطبق على محمّد ﷺ.

(١) فهيم عزيز، الروح القدس، ص ٨٧ (نقله جمال الشرقاوي، نبي أرض الجنوب في الأسفار اليهودية والمسيحية، القاهرة: دار هادف، د.ت.، ص٣٣٧).

الخاتمة

بعد تطوافنا السريع في مباحث البشارة بنبيّ الإسلام ﷺ في كتب اليهود والنصارى، ونَظَرنا في أسئلة المنصّرين؛ حقّ لنا أن نخلص إلى النتائج التالية:

١. أمرُ البشارة بالمبعوث لخلاص الناس، عظيم في النصرانية بصورة أعظم من مقابلها في الإسلام؛ فإنّ نصوص الأناجيل قد صرّحت بمواضع البشارة بيسوع في العهد القديم كما في نُسَخ القرن الأول الميلادي، بما يلزم من خطأ دعوى تعلّق تلك النصوص بيسوع؛ سقوط عقيدة إلهامية الأناجيل، في حين أنّ في الآيات القرآنيّة خبر البشارة بنبيّ الإسلام ﷺ كما في النصوص الأولى للوحي المنزّل على الأنبياء السابقين، لا كما هي -ضرورة- في القرن السابع الميلادي.

٢. البشارات التي ادّعتها الأناجيل عن يسوع في العهد القديم، كثيرة، وكلّها باطلة، ومدانة بإهمال سياق الكلام في أصله، أو تحريف النص العبري، أو حتّى اختلاق نص لا أصل له.

٣. ليس في العهد الجديد شيء في إثبات أنّ النبوّة قد خُتِمت بظهور يوحنا المعمدان أو يسوع. وأمّا اليهود فقد كانوا ينتظرون نبيّ آخر الزمان بعد عصر يسوع.

٤. آمن بولس أنّ الوحي سينتقل من بني إسرائيل إلى غيرهم. وأشار كبار الأحبار إلى صحّة النبوة خارج بني إسرائيل.

٥. يشترك المسلمون والنصارى في الإيمان بأنّ بعض نصوص العهد القديم تبشّر برأس دينهم (يسوع أو محمّد ﷺ). وهذا النوع من النصوص عظيم القيمة في بحث البشارات؛ لاتّفاق الطرفين أنّ هذه النصوص صادقة، ودلالتها بِشاريّة، ومضمونها

متعلّق «بالرجل» العظيم الذي على جميع الأمم اتباعه حتّى آخر الزمان. وقد بحثنا واحدة من هذه البشارات (إشعياء ٤٢/ ١-٢١). واكتشفنا أنّها تنطبق بصورة واضحة على نبيّ الإسلام ﷺ، وأنّ صاحب إنجيل متّى قد اضطر لتحريفها لتنطبق على يسوع.

٦. النصوص التوراتية التي تمّ بحثها في هذا الكتاب، تنتهي في مجموعها إلى الإشارة إلى نسب الرسول ﷺ، وأرضه، وعصره، وصفاته، وشريعته، وفتوحاته، وربّما اسمه. وهي بذلك كافية في إثبات حقيقة بشارة الأوّلين بنبيّ الإسلام ﷺ.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

نصٌّ وترجمات الكتاب المقدس

النصّ العِبريّ:

Rudolph Kittel, et al., **Biblia Hebraica Stuttgartensia**, Stuttgart: Deutsche Bibelgesellschaft, 1997

النصّ اليونانيّ:

Novum Testamentum graece: Greek-German; Greek text: Novum Testamentum Graece, greeted by Eberhard and Erwin Nestle, ed. by Barbara and Kurt Aland. 28. revised edition, Stuttgart: German Bible Society, 2013.

الترجمات العربية:

ترجمة الأخبار السّارّة

ترجمة الحياة

ترجمة الرهبانيّة اليسوعيّة

ترجمة الشّريف

ترجمة الفانדايك

الترجمة الكاثوليكيّة

الترجمة المشتركة

حسيب شحادة، الترجمة العربية لتوراة السامريين، القدس: الأكاديمية الوطنية الإسرائيلية للعلوم والآداب، ٢٠٠١

الترجمة الأعجمية القديمة:

Peshitta

Septuagint

Vulgate

الترجمات الأعجمية الحديثة:

JPS

King James Version

NET Bible First Edition

New American Bible

New English Bible

New English Translation

New International Version

New Living Translation

الكتب العربية

١. إبراهيم خليل أحمد، **محمّد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن**، القاهرة: دار المنار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢. أحمد عبد الوهاب، **النبوة والأنبياء فى اليهودية والمسيحية والإسلام**، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣. القرافي، **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة**، تحقيق: بكر زكي عوض، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٤. ابن القيم، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، جدة: دار القلم- دار الشامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٥. ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٦. ابن حبان، **الثقات**، الهند: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م.

٧. ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٨. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٩. علي بن ربَّن الطبري، **الدين والدولة في إثبات نبوّة النبيّ محمّد ﷺ**، تحقيق: عادل نويهض، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

١٠. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.

١١. أبو حيان، **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

١٢. أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

١٣. أحمد حجازي السقا، **(بيركليت) اسم نبيّ الإسلام في إنجيل عيسى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، القاهرة: مكتبة المطيعي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٤. أحمد حجازي السقا، **البشارة بنبيّ الإسلام في التوراة والإنجيل**، القاهرة: دار البيان، ١٩٧٧

١٥. أحمد عبد الوهاب، **اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطوّرات هامة في المسيحيّة**، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧.

١٦. إسرائيل شاحاك، **الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود**، تعريب حسن خضر، القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٤.

١٧. بذل المجهود في إفحام اليهود، **شموئيل بن يهوذا بن أيوب**، تحقيق: عبد الوهاب طويلة، دمشق: دار القلم ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

١٨. تواضروس الثاني، **مفتاح العهد الجديد**، الجزء الأول، البشائر الأربع، القاهرة: بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالقاهرة، ٢٠١٣.

١٩. الرازي، **مفاتيح الغيب**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.

٢٠. رحمت الله الهندي، **إظهار الحق**، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٢١. زخارى ميخائيل، **محمد رسول الله، هكذا بشّرت به الأناجيل**، القاهرة: عالم الكتب، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢٢. سرجيوس، **هل تنبّأت التوراة أو الإنجيل عن محمد**، د.ن، ١٩٤٧م.

٢٣. سعديا الفيومي، **تفسير التوراة بالعربيّة**، نقله إلى الخط العربي وقدم له وعلّق عليه: سعيد مطاوع وأحمد الجندي، القاهرة: العيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٥.

٢٤. السمعاني، **الأنساب**، تقديم وتعليق: عبد الله البارودي، بيروت: دار الجنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٥. الشوكاني، **فتح القدير**، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ١٤١٤ هـ.

٢٦. جمال شرقاوي، **نبيّ أرض الجنوب في الأسفار اليهودية والمسيحية**، القاهرة: دار هادف، د.ت.

٢٧. جمال شرقاوي، **المؤيّد القرآني، حلّ لُغْزِ البارقليط والمؤيّد**، القاهرة: مركز التنوير الإسلامي، د.ت.

٢٨. الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م.

٢٩. عبد الأحد داود، **محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى**، تعريب: محمد فاروق الزين، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٣٠. عبد الرحمن السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣١. عبد المسيح بسيط أبو الخير، **هل ورد اسم مكة فى الكتاب المقدس؟**، نسخة إلكترونية.

٣٢. عبد الوهاب النجار، **قصص الأنبياء**، القاهرة: مكتبة وهبة.

٣٣. فيصل الكاملي، **يجدونه مكتوبا عندهم**، الرياض: مجلة البيان، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٤. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٣٥. محمد خليفة، **ظاهرة النبوة الإسرائيلية**، القاهرة: دار الزهراء، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٣٦. محمد لطفي جمعة، **ثورة الإسلام وبطل الأنبياء**، بيروت: دار القلم، ٢٠٢٠.

٣٧. ويليم بباوي، وآخرون، **دائرة المعارف الكتابية**، القاهرة: دار الثقافة.

٣٨. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.

الكتب الإنجليزية

1. A.Anderson, **Psalms**, London: Oliphants, 1972.
2. A. Brinckman, **Notes on Islam**, London: Church Press Company, 1868.
3. Alexander Francis Kirkpatrick, **The Book of Psalms: books II and III**, Cambridge: The University Press, 1895.
4. A.C. Jennings, **The Psalms with Introductions and Critical Notes**, London: Macmillan, 1885.

5. A.Carson, **Matthew, The Expositor's Bible Commentary, Volume 8: Matthew, Mark, Luke**, Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1984.
6. A.Fishbane, **Haftarot**. **The JPS Bible commentary**, Philadelphia: The Jewish Publication Society, 2002.
7. A.Fitzmyer, **The Acts of the Apostles: A new translation with introduction and commentary**, New Haven; London: Yale University Press., 2008.
8. A.Hagner, **Matthew 1-13**. Word Biblical Commentary, Dallas: Word, Incorporated, 2002.
9. A.Thompson, **Deuteronomy: An Introduction and Commentary**, Tyndale Old Testament Commentaries, Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1974.
10. Adam Clark, **The Holy Bible, with a Commentary and Critical Notes**, London: Thomas Tegg, 1836.
11. Adam Clarke, **The Holy Bible Containing the Old and New Testaments**, New York: B. Waugh and T. Mason, 1832.
12. Agnes Smith Lewis, **Some Pages of the Four Gospels re-Transcribed from the Sinaitic Palimpsest**, London: C.J. Clay, 1896.
13. Albert Barnes, **Notes on the New Testament: Matthew & Mark**, London: Blackie & Son, 1884-5.
14. Albert Barnes, **Notes, Critical, Explanatory, and Practical, on the Book of the Prophet Isaiah**, Glasgow: Bell & Bain, 1845.
15. Albert Barnes, **Notes, critical, explanatory, and practical, on the Book of psalms**, London: Edward Knight.
16. Anna Bonta Moreland, **Muhammad Reconsidered: A Christian Perspective on Islamic Prophecy**, Notre Dame, Indiana University of Notre Dame Press, 2020.
17. Anthony Casurella, **The Johannine Paraclete in the Church Fathers: A Study in the History of Exegesis**, Tübingen: Mohr, 1983.
18. B. Moll, Briggs, **A commentary on the Holy Scriptures: Psalms**, Scribner, Armstrong & Company, 1872.
19. Baḥya ben Asher ben Ḥlava, **Bereshit-Chayey**, Sole North American distributor, Lampda Publishers, 1998.
20. Bill T. Arnold and John H. Choi, **A Guide to Biblical Hebrew Syntax**, Cambridge: Cambridge University Press, 2003.

21. C. K. Barrett, **The Gospel According to St. John: An Introduction with Commentary and Notes on the Greek Text**, Philadelphia: Westminster John Knox Press, 1978.
22. C. Tenney, **The Expositor's Bible Commentary, Volume 9: John and Acts**, Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1981.
23. C.Leupold, **Exposition of Daniel**, Grand Rapids, MI: Baker Book House, 1949.
24. Carl Bernhard, **The Psalms**, New York: Scribner, 1872.
25. Carol Bakhos, **Ishmael on the border: rabbinic portrayals of the first Arab**, Albany: State University of New York Press, 2006.
26. Charles Forster, **The Historical Geography of Arabia**, 1844.
27. Charles Fox Burney, **Outlines of Old Testament Theology**, London: Rivingtons, 1903.
28. Charles Gore, **A New Commentary on Holy Scriptures**, New York, Macmillan, 1962.
29. Chrysostom, **Homilies of the Gospel of Saint Matthew**.
30. Cyrus Adler, Isidore Singer, eds. **The Jewish Encyclopedia**, Funk & Wagnalls, 1909.
31. D. A. Carson, ed. **The Enduring Authority of the Christian Scriptures**, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing.
32. D. H. Stern, **Jewish New Testament Commentary: A companion volume to the Jewish New Testament**, Clarksville: Jewish New Testament Publications, 1996.
33. D. J. Williams, **New International biblical commentary: Acts**, MA: Hendrickson Publishers, 1990.
34. D. N. Freedman, ed. **The Anchor Yale Bible Dictionary**, New York: Doubleday, 1996.
35. D. L. Turner, **Baker Exegetical Commentary on the New Testament: Matthew**, Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2008
36. D.Turner and D. L. Bock, **Cornerstone biblical commentary, Vol 11: Matthew and Mark**, IL: Tyndale House Publishers, 2005.
37. Dale B. Martin, **New Testament History and Literature**, London: Yale University Press, 2012.
38. David Noel Freedman and Pam Fox Kuhlke , **What Are the Dead Sea Scrolls and Why Do They Matter?** , Grand Rapids, Mich.: W.B. Eerdmans, 2007.
39. David Aune, **Prophecy in Early Christianity and the Ancient Mediterranean World**, Grand Rapids: Eerdmans, 1983.
40. **Dictionary of the Bible**, Brockhampton Press, 1995.

41. Dummelow, **A Commentary on the Holy Bible**, New York: Macmillan Company, 1909.
42. Edersheim, **Life and Times of Jesus**, New York: Longmans, Green, 1906.
43. Edward Gibbon, **The History of the Decline and Fall of the Roman Empire**, Fleischer, 1829.
44. Eugene Charles Ulrich; *et al*., **The Biblical Qumran Scrolls: transcriptions and textual variants. Volume 1: Genesis-Kings**, *Boston*, (Mass.): Brill, 2013.
45. Eugene Carpenter, Cornerstone Biblical Commentary, Volume 9: **Ezekiel & Daniel**, Carol Stream, IL: Tyndale House Publishers, 2010.
46. F. Moore, **A critical and exegetical commentary on Judges**, New York: C. Scribner's sons, 1910.
47. F. Pfeiffer, Vos, H. F. and J. Rea, **The Wycliffe Bible Encyclopedia**, Moody Press, 1975, 2005.
48. Ferdinand Christian Baur, **The Church History of the First Three Centuries**, London: Williams and Norgate, 1878.
49. Fred Skolnik, ed. **The Encyclopaedia Judaica**, Detroit: Macmillan Reference USA in association with the Keter Pub. House, 2007.
50. Friedrich Heinrich Wilhelm Gesenius, **Gesenius's Hebrew and Chaldee lexicon to the Old Testament Scriptures**, London: Samuel Bagster, 1860.
51. G. K. Beale and D. A. Carson, **Commentary on the New Testament use of the Old Testament**, Grand Rapids, MI; Nottingham, UK: Baker Academic; Apollos, 2007.
52. G. K. Beale, **Handbook on the New Testament Use of the Old Testament: Exegesis and Interpretation**, Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2012.
53. G. Smith, **Isaiah 40-66. New American Commentary**, Nashville, TN: Broadman & Holman Publishers, 2009.
54. G. W. Grogan, **Isaiah**, Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1986.
55. G. W. Grogan, **Psalms. The Two Horizons Old Testament Commentary**, Grand Rapids, MI; Cambridge, U.K.: William B. Eerdmans Publishing Company, 2008.
56. Gavin D'Costa, ed., **The Catholic Church and the World Religions**, London: A&C Black, 2011.
57. George Adam Smith, **The Book of Isaiah: Isaiah XL-LXVI**, New York: Armstrong and son, 1902.

58. George Bush, **Illustrations of the Holy Scriptures**, Philadelphia: J.B. Lippincott, 1865.
59. Gerhard Kittel, ed. **The Theological Dictionary of the New Testament**, tr. Geoffrey W. Bromiley, Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, 1968.
60. H. Olshausen, **Biblical Commentary on the New Testament by Dr. Hermann Olshausen**, New York: Sheldon, Blakeman, & Co, 1859.
61. H. T. Peck, ed., **The international cyclopædia**, New York: Dodd, Mead & Company, 1990.
62. H. W. Attridge, **The Epistle to the Hebrews: A commentary on the Epistle to the Hebrews,** Philadelphia: Fortress Press, 1989.
63. H. Walton, **Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary (Old Testament) Volume 4: Isaiah, Jeremiah, Lamentations, Ezekiel, Daniel**, Grand Rapids, MI: Zondervan, 2009
64. H.L. Strack and G. Stemberger, **Introduction to the Talmud and Midrash**, Minneapolis: Fortress Press, 1992.
65. Hans Küng, **Islam: past, present and future**, Oxford: Oneworld, 2007.
66. Hava Lazarus-Yafeh, **Intertwined Worlds, Medieval Islam and Bible Criticism**, Princenton: Princenton University Press, 1992.
67. Herbert F Stevenson, **Three Prophetic Voices: studies in Joel, Amos, and Hosea**, Fleming H. Revell, 1971.
68. Hippolytus of Rome, **Refutation of All Heresies**.
69. Hossfeld, E. Zenger, L. M. Maloney and K. Baltzer, **Psalms 2: A commentary on Psalms 51-100**, Minneapolis, MN: Fortress Press, 2005.
70. Isidore Singer, *et al*. ed. **The Jewish Encyclopedia**, New York: Funk and Wagnalls, 1916.
71. J. Blenkinsopp, **Isaiah 40-55: A New Translation with Introduction and Commentary**, New Haven; London: Yale University Press, 2008.
72. J. E. Rosscup, **An Exposition on Prayer in the Bible: Igniting the Fuel to Flame Our Communication with God**, Bellingham, WA: Logos Research Systems, Inc., 2008.
73. J. Edlin, **Daniel: A Commentary in the Wesleyan Tradition**, Kansas City, MO: Beacon Hill Press of Kansas City, 2009
74. J. Nolland, **The Gospel of Matthew: A commentary on the Greek text**, Grand Rapids, Mich.; Carlisle: W.B. Eerdmans; Paternoster Press, 2005.

75. J. Skinner, **The Cambridge Bible for Schools and Colleges**, Cambridge: The University Press, 1905.
76. Jerome, **Preface to the Book of Hebrew Questions**.
77. Justin Martyr, **Dialogue with Trypho**.
78. J. H. Walton, **Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary** (Old Testament) Volume 4: **Isaiah, Jeremiah, Lamentations, Ezekiel, Daniel**, Grand Rapids, MI: Zondervan, 2009.
79. J. Eisenberg and E. Scolnic, **The JPS dictionary of Jewish**, Philadelphia, PA: Jewish Publication Society, 2001.
80. Jacob Z. Lauterbach, **Mekhilta De-Rabbi Ishmael**, PA: Jewish Publication Society, Jan 1, 2010.
81. James H. Charlesworth, **The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament**, Oxford: Clarendon, 1963.
82. James H. Charlesworth; Hermann Lichtenberger and Gerbern S. Oegema, **Qumran-Messianism: studies on the Messianic expectations in the Dead Sea scrolls**, Tübingen: Mohr Siebeck, 1998.
83. James Hastings, *et al*., **Dictionary of the Bible**, New York: C. Scribner's sons, 1909.
84. James Hastings, **The Encyclopaedia of Religion and Ethics**, New York: Charles Scribner’s Sons.
85. James Orr, ed. **The International Standard Bible Encyclopaedia**, Chicago: Howard-Severance Company, 1915.
86. Jean Calvin, **Commentaries on the Twelve Minor Prophets**, Edinburgh: Calvin Translation Society, 1846-1849.
87. Jean Calvin, **On the Christian Faith: Selections from the Institutes, Commentaries, and Tracts**, Liberal Arts Press, 1957.
88. Jeremy D. Lyon, **The Genesis Creation Account in the Dead Sea Scrolls**, OR: Wipf and Stock Publishers, 2019.
89. John Charles Fenton, **The Gospel of St. Matthew**, UK: Penguin 1963.
90. John Dominic Crossan, **Who killed Jesus?: exposing the roots of anti-semitism in the Gospel story of the death of Jesus**, San Francisco: HarperSanFrancisco, 1996.
91. John Dummelow, **A Commentary on the Holy Bible**, New York: Macmillan Company.

92. John Gill, **An Exposition of the Old Testament**, London: Mathews and Leigh, 1810.
93. John L. McKenzie, **Second Isaiah**, New York: Doubleday, Garden City, 1968.
94. John McClintock and James Strong, **Cyclopaedia of Biblical, theological, and ecclesiastical literature**, New York: Harper & Brothers, 1894.
95. John Paul II, **Crossing the Threshold of Hope**, New York: Knopf Doubleday, 2005.
96. Joseph Addison Alexander, **Commentary on Isaiah**, Grand Rapids, Mich. Kregel Publications, 1992.
97. Joseph Benson, **The Holy Bible with Notes**, London: J. Kershaw. 1825.
98. K. L. Barker, **Expositorś Bible Commentary** (Abridged Edition: Old Testament), Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1994.
99. K. McCarter, **I Samuel: A new translation with introduction, notes and commentary. Includes indexes**, New Haven; London: Yale University Press, 2008.
100. K.Stevenson, and M. Gluerup, **Ezekiel, Daniel. Ancient Christian Commentary on Scripture OT**, Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2008
101. Karl Moll, **The Psalms**, New York: Scribner, Armstrong & Company, 1872.
102. Kenneth L. Barker, D. Waylon Bailey, **Micah, Nahum, Habakkuk, Zephaniah**, Nashville: Broadman & Holman Publishers, 1998.
103. L. Barker, **Expositor's Bible Commentary**, *(Abridged)* Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1994.
104. L. Stephen Cook, **On the question of the "Cessation of Prophecy" in Ancient Judaism**, Tübingen Mohr Siebeck, 2011.
105. Lee Martin McDonald, **Forgotten Scriptures: The Selection and Rejection of Early Religious Writings**, Kentucky, Westminster John Knox Press, 2009.
106. M. F. Unger, et al. **The New Unger's Bible Dictionary**, Chicago: Moody Press, 1988.
107. M. Goodman and P.S. Alexander, eds. **Rabbinic Texts and the History of Late-Roman Palestine**, Oxford: Oxford University Press, 2010.
108. M.G. Easton, **Illustrated Bible Dictionary**, London: T. Nelson, 1894.
109. Marvin E. Tate, **Psalms 51-100**, Dallas: Word, Incorporated, 2002.
110. Matthew Henry, **Isaiah-Malachai**, Sands, Donaldson, Murray, and Cochran, 1758.
111. Moses Maimonides , **Epistle to Yemen**. Online edition.
112. Moses Maimonides, **The Epistles of Maimonides: Crisis and Leadership**, tr. and notes by Abraham Halkin, Philadelphia: Jewish Publication Society, 1993.

113. Nathanael ibn al-Fayyumi, **The Bustan Al-ukul**, tr. David Levine, Columbia University Press, 1908.

114. P. J. Achtemeier, **Harper's Bible Dictionary**, San Francisco: Harper & Row, 1985.

115. Peter C. Craigie, **The Book of Deuteronomy**, Wm. B. Eerdmans Publishing, 1976.

116. Peter Whiteley, **Frontier Mission**, Toronto: Anglican Book Center, 1963.

117. R. H. Charles, **The Book of Enoch**, Oxford: Clarendon Press, 1912.

118. R. Achtemeier, **Nahum-Malachi. Interpretation, a Bible commentary for teaching and preaching**, Atlanta: John Knox Press, 1986.

119. R. T. France, **The Gospel of Matthew**, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2007

120. Rasmussen, **NIV Atlas of the Bible**, Grand Rapids: Zondervan, 1989.

121. Raymond E. Brown, **The Sensus Plenior of Sacred Scripture**, OR: Wipf and Stock Publishers, 2008.

122. Raymond Brown, **The Birth of the Messiah: a commentary on the infancy narratives in the Gospels of Matthew and Luke**, New York: Doubleday, 1993.

123. Raymond Brown, **The Death of the Messiah**, New Haven: Yale University Press, 2010.

124. Raymond Brown, **The Gospel according to John (I-XII): Introduction, translation, and notes**, New Haven; London: Yale University Press, 2008.

125. Raymond Brown, **The Gospel according to John (XIII-XXI): Introduction, translation, and notes**, New Haven; London: Yale University Press, 2008.

126. René Salm, **The Myth of Nazareth: The invented town of Jesus**, Cranford, N.J.: American Atheist Press, 2008.

127. Reuven Firestone, **An Introduction to Islam for Jews**, Philadelphia: JPS/Jewish Publication Society, 2008.

128. Robert Charles, **The Book of Jubilees**, SC: Jazzybee Verlag.

129. Robert G. Hoyland, **Seeing Islam as others saw it: a survey and evaluation of Christian, Jewish, and Zoroastrian writings on early Islam**, Princeton, N.J.: Darwin Press, 1997.

130. Robert J. Miller, **Helping Jesus Fulfill Prophecy**, Cambridge: Lutterworth, 2017.

131. Ryan Donald Wettlaufer, **No Longer Written: The use of conjectural emendation in the restoration of the text of the New Testament, the Epistle of James as a case study**, Leiden; Boston: Brill, 2013.

132. Saint Chrysostom, **Homilies of the Gospel of Saint Matthew**. Online edition.
133. Sam Shamoun, **Answering Dr. Jamal Badawi: Muhammad in the Bible**. Online edition.
134. Samuel Pike, **A Compendious Hebrew Lexicon**, Cambridge: Hilliard & Metcalf, 1811.
135. Samuel Rolles Driver, **A Critical and Exegetical Commentary on Deuteronomy**, New York: Scribner, 1895.
136. Sebastian P. Brock, **Studies in Syriac Christianity: history, literature, and theology**, Aldershot: Variorum, 1992.
137. Sozomen, **The Ecclesiastical History**, London: H.G. Bohn, 1855.
138. T. C. Butler, **Word Biblical Commentary, Volume 8: Judges**, Nashville; Dallas; Mexico City; Rio De Janeiro; Beijing: Thomas Nelson, 2009.
139. T. K. Cheyne and J. Sutherland Black, eds. **Encyclopaedia Biblica**, London: Adam and Charles Black, 1902.
140. Tamar Zewi, **The Samaritan Version of Saadya Gaon's Translation of the Pentateuch**, Leiden: E.J. Brill, 2015.
141. Thomas B. Dozeman et al., **The Pentateuch: international perspectives on current research**, eds., Tübingen, Germany: Mohr Siebeck, 2011.
142. Thomas Kelly Cheyne and Sutherland Black, eds., **Encyclopædia Biblica**, London: Macmillan, 1901.
143. Thomas Newton, **Dissertations on the Prophecies**, London: Longman & Company, 1832.
144. Tim F. LaHaye and Edward E. Hindson, **The Popular Bible Prophecy Commentary: Understanding the Meaning of Every**, Eugene, Or.: Harvest House Publishers, 2006.
145. V. H. Matthews *et al.*, **The IVP Bible Background Commentary: Old Testament**, Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2000.
146. Victor P. Hamilton, **The Book of Genesis: Chapters 1-17**, Grand Rapids, Mich.: W.B. Eerdmans, 1990.
147. W. Argyle, **The Gospel According to Matthew**, Cambridge: Cambridge University Press, 1963.
148. W. St. Clair-Tisdall, **The Sources of Islam**: A Persian Treatise, translated and abridged by Sir William Muir, Edinburgh, Scotland: T. & T. Clark, 1901.
149. Walter C. Kaiser, et al., **Three Views on the New Testament Use of the Old Testament**, Grand Rapids, Mich: Zondervan, 2009.

150. Wayne A. Grudem, **Systematic Theology: An Introduction to Biblical Doctrine**, Grand Rapids, MI: Zondervan.com, 2000.
151. Wendell G. Johnson, ed. **End of Days: An Encyclopedia of the Apocalypse in World Religions**, California: ABC-CLIO, 2017.
152. Wieland Willker, **A Textual Commentary on the Greek Gospels**. Online edition.
153. Wilhelm Gesenius, **A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament**, Boston: Houghton Mifflin, 1888.
154. William Barclay, **The Gospel of Matthew**, London: Westminster John Knox Press, 1968.
155. William David Davies, Dale C. Allison, **A Critical and Exegetical Commentary on the Gospel According to Saint Matthew**, Bloomsbury Academic, 1988.
156. William David Davies, **Matthew 1-7**, New York: A&C Black, 2004.
157. William Smith, **Dictionary of the Bible**, Hartford: S.S. Scranton, 1908.

المقالات العربية

«القبطان المسلم»، وتلألأ من جبل فاران.. حقائق دامغة وتأويلات باطلة!، مقال على منتدى حراس العقيدة.

المقالات الإنجليزية

1. J. C. Reeves, ‘The Meaning of Moreh Sedek in the Light of 11QTorah’, **RQ** 13 (1988).
2. Ben Zion Wacholder, ‘The Date of the Mekilta De-Rabbi Ishmael’, in **Hebrew Union College Annual** , 1968, Vol. 39 (1968).
3. Jonathan McLatchie, Is the Bible Without Error? Inspiration, Inerrancy, and Christian Epistemology, **Cross Examined**.
4. Mark Galli, ‘The Virgin Birth: What’s the Problem Exactly?’, **Christianity Today**, December 20, 2017.
5. W. Montgomery Watt, ‘His name is Ahmad’, **Muslim World**, Volume 43, Issue2 April 1953.

الكتب الفرنسية

1. Eugène A. Pannier, **Les Psaumes d'après l'Hébreu en Double Traduction avec Indications Métriques**, Lille: R. Giard, 1908.
2. Marc Girard, **Les Psaumes Redécouverts: de la structure au sens**, Fides, 1994.
3. Pierre E. Bonnard, **L'Évangile selon saint Matthieu**, Genève: Labor et Fides, 2002.

الكتب العِبريّة

1. Nehemiah Rabban, **Yesha‘yahu hasheni: nevu’ato, ’ishiyuto ushemo**, Jerusalem: Kirath Sepher, 1971.
2. Maimonides, **Mishneh Torah**.
3. Saadiah Gaon, **Sefer ha-Emunot ve-ha-De`ot**, Jerusalem 1970
4. **Pirqei de-Rabbi Eliʿezer.**